

الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبَدَائِعُ وَالنَّهَائِجُ

٥٥٣

الجزء الثاني

الطبعة الثامنة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

بيروت - لبنان

نُصِّطَ وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشرح
قامت بها هيئة باعتراف الناشر

مكتبة المحارف
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة الأربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ،
فقدّمها فأقام بها أشهراً ثم خرج معتمراً ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبنى في بني
سنة مسجداً ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابراً
وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصراً عثمان بن عفان ، وخاطبهما خطاباً غليظاً قبحه الله وأخزاه ،
واستقضى أبا إدريس الخولاني أظنه على اليمن والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج
بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بناء وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض بنيان
الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الخائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سدّه وأدخل في جوف
الكعبة ما فضل من الأحجار ، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما
ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكعبة وردم أسفل الشرقي حتى
جعله مرتفعاً كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي
الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله (ص) ، كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك
حديث عهدهم بكفر - وفي رواية - بجاهلية لنقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها باباً
شرقياً وباباً غريباً ، ولأنصقتها بالأرض ، فإن قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوها فيها الحجر ولم

يتمسوها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . فلما تمكن ابن الزبير بنائها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودنا لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجيز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة ، وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمرأ الأرباع معه على منازلهم حتى نزل براهيمز ، فلم يبق عليها إلا عشر آحقى جاء نعى بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرعى بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردمهم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فمدلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحلهم فركبوها ثم ساروا إلى بعض البلاد فلم يزالوا محتفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فانه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يولي طخارستان فخوفه منه أن يخلفه هناك فتركه مقبياً عنده . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن والجماعة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعترف في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفيين مع علي وكان يتعانا المزارع والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأسند ثمانية وسبعين حديثاً . وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أحدسهم في ترقوته نخير رسول الله (ص) ، بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه العطية ويشهد له يوم القيامة ، فاختار هذ ، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه رحمه الله .

أبو سعيد الخدري

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استصغر

يوم أحد ، ثم كن أول شاهدين الخلق ، وشهد مع رسول الله - ، ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه
أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ،
كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل
قبلها بعشر سنين فآله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن
عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « النبيون
قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر حتى ما يجد إلا السرة - وفي رواية -
إلا الباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلي بالتمل حتى يئذ القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه
بالرخاء » . وقال قتبية بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي
سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله - . يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على
المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستفتوا عن المسألة فانه من يستعف يعفه الله ومن
يستغن يغنه الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أيتيم
إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجبت » . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

عبدالله بن عمر

ابن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم
وهاجرا وعمره عشرة سنين ، وقد استنصر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازوه وهو ابن خمس
عشرة سنة فشهدا وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمهما زينب بنت مظعون
أخت عثمان بن مظعون ، وكان عبد الله بن عمر ربة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسيماً
يخضب بالصفرة ويحني شاربته ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراد
عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما من وقائع
الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مراراً
وكان عمره يوم مات النبي - ، ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقر به إلى الله
عز وجل ، وكان عبيده قد عرفوا ذلك منه ، فربما زام أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر طي تلك الحائل
أعنته ، فيقال له : إنهم يخدعونك ، فيقول : من خدعنا الله انخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً
فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون] واشترى
مرة بغيراً فأعجبه لما ركبته فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف
قال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال للثلام :

بأمولاي قد أعتقتني فهب لي شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً، واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلي فقاموا خلفه يصلون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! قال : أنتم أحرار لمن صليتم له ، فأعتقهم . والمقصود أنه مامات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وكانت تمضي عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وعلى يديه يقيم ، وبعث إليه مائة مائة ألف لما أراد أن يبيع ليزيد ، فما حال عليه الجول وعند منها شيء ، وكان يقول : إني لا أسأل أحداً شيئاً ، وما رزقني الله فلا أرد . وكان في مدة الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، وكان يتتبع آثار رسول الله ﷺ : يصلي فيها ، حتى أن النبي ﷺ نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب في أصلها الماء ، وكان إذا فاتته العشاء في جماعة أحياناً تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل إنه مات وهو في الفضل مثل أبيه ، وكان يوم مات خير من بقي ، ومكث ستين سنة يفتي الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي ﷺ ، وأحاديث كثيرة ، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم . وعنه خلق منهم بنوه حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظ ، وأسلم مولى أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاووس وعروة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع .

وثبت في الصحيح عن حفصة أن رسول الله ﷺ قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم الليل » . وكان بعد يقوم الليل ، وقال ابن مسعود : إن من أملاك شباب قریش لنفسه عن الدنيا ابن عمر . وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرماء ، وقال سعيد بن المسيب : مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه ، وقال الزهرى لا يمدل برأيه فانه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضي الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستان وعمانين سنة وأفقي في الاسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفي ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن بكار وآخرون : توفي سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم .

عبيد بن عمير

ابن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، الليثي ثم الخندعي ، أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة ، قال مسلم بن الحجاج . ولد في حياة النبي ﷺ ، وقال غيره ورآه أيضاً ، وروى عن أبيه ، وله صحبة ، وعن عمر وعلى وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وعبيد الله بن عمر وأم سلمة وغيرهم ،

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وورقة ابن معين وأبوزرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقة ويكي وكان يعجبه تذكيره ، وكان بليغا ، وكان يبكي حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جري قال : كان عبيد بن عمير إذا آخى أحداً في الله استقبل به القبلة فقال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمداً شهيداً علينا بالإيمان ، وقد سبقت لنا منك الحجة غير متناول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمير مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

أبو جحيفة

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي (س) ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي (س) ، لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسلمة بن كهيل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة وابتنى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين لله أعلم . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

سلمة بن الأكوع

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي (س) ، وبعده ، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

مالك بن أبي عامر

الأصبغي المدني وهو جد الإمام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً علماً ، توفي بالمدينة .

أبو عبد الرحمن السلمي

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

أبو معرض الأسدي

اسمه مقبرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي (س) ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتنحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

بشر بن مروان

الأموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة اللباب ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حجيرة ، وهو الذى قتل خالد بن حصين الكلبي يوم مرج راهط ، وكان لا يغلّق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يميز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فان هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقعت القرحة في عينه فقليل له يقطعها من المفصل فجزع فما أحس حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما احتضر جعل يبكي ويقول : والله لو ددت أنى كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أُل ما وليت ، فذكر قوله لابن حازم - أو لسعيد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنا لترى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فاذا هو يتململ على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والاطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها ، ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحمار - صائفة الودم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبي العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم الكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج لسطوته وقهره وقسوته وشهامته ، فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النجائب ، فقتل قريب الكوفة فاغتسل واغتضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فقتل دار الامارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا الذى كان قبله ، فلما سكّت أبنهم وأحبوا أن يسمعوا كلامه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، والله إن كان أمركم إليهمنى قبل أن آتى إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يتليكم بى ، ولقد سقط منى البارحة سوطى الذى أؤدبكم به ، فأنخت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صغيركم بكبيركم ، وحرمت بعبدكم ، ثم لأرضعنكم رضع الحداد الحديدية ، والخباز المعجينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وقيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهراً فأتى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعمامة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على الناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه الثام وقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضعُ العلمةُ تعرفونى

ثم قال : أما والله إني لأحل الشئ بحمله ، وأحنوه بنطه ، وأحرزه بفنله ، وإني لأرى رؤساً قد أينمت وأن اقتطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء تترقق بين المائم والهي ، قد شمعت عن سابقها فشمري ، ثم أنشد :-

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لقاها الليل بسواق حطم
لست براعى إبل ولا غنم ولا يجزأر على ظهر وشم
قد لقاها الليل بمضلي أروع خراج من القوي
مهاجر ليس بأعرابي

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغر بعمار ، ولا يقمع لى بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجربت من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنياته ثم عجم عيائها عوداً عوداً فوجدنى أمرها عوداً وأصلبها مغزاً فوجهنى إليكم ، فأنتم طالما ربقتم فى أودية الفتن ، وسلكتم سبيل النى ، واخترتم جدد الضلال ، أما والله لألحونكم لى العود ، ولأعصبنكم عصب السلة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الابل ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أخلق إلا فريت ، فإياى وهذه الجماعات وقبلا وقالا ، والله لتستقيمن على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده . ثم قال : من وجدت بعد ثالثة من بعث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سنفتك دمه وانتهبت ماله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمار أخذ كفا من حصى وأراد أن يمحسه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياء وأذمه ! فلما نهض الحاجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاغته . ويقال إنه قال فى خطبته هذه : شامت الوجوه إن الله ضرب [مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] وأنتم أولئك فاستروا

واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تدروا ، ولأعصبنكم عصب السله حتى تنقادوا ، واقسم بالله لنقبلنّ على الانصاف ولندعن الارجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أولأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والاولاد يتامى ، حتى تمشوا السهمى وتقلعوا عن هاوها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث مع تكبيراً فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به التهيب . وقد عصفت عجاجة تحتها قصف ، يابنى الكيعة وعبيد العصا وأبناء الأماء والأيامى ، ألا يربع كل رجل منكم على ظلمه ، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها وأدبا لما بعدها . قال فقام إليه عمير بن ضابى التميمى ثم الخظلى فقال : أصلح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال عمير بن ضابى التميمى ، قال : أسمعتم كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم . قال : ألسن الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان خبىس أبى وكان شيخا كبيرا ، قال أوليس هو الذى هو يقول :

هَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْقِنِي فَعَلْتُ وَوَلَّيْتُ الْبُكَاءَ حَلَالًا

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن فى قتلك صلاح المصريين ، ثم قال قم إليه يا حرسى فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فاضرب عنقه وانتهب ماله ، وأمر مناديا فنادى فى الناس ألا إن عمير بن ضابى تأخر بعد سماع النداء ثلاثا فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فمير عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مذحج ، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، وأخذوا منه كتاباً بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . وروى أن الحجاج لم يعرف عمير بن ضابى حتى قال له عنبة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفى نائباً على البصرة من جهته ، وأمره أن يشتد على خالد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحا ثم ركب الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة أبا ينفور ، وولى قضاء البصرة لزارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقر عمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة ونب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمير بن ضابى قام فى أهل البصرة فخطبهم فظيّر ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد الأكيد ، ثم

أتى برجل من بني يشكر فقبل هذا عاص ، فقال : إن بي فتقا وقد عذرتني الله وعذرتني بشر بن مروان ، وهذا عطائي . ردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز . وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة في أمراء الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أمير عبد الله بن الجارود في رؤس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فقوى بذلك وضعف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فهضا بين معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراءهم فالتقوا في العشر الآخر من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره ، فجاؤا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزمهم هزيمة منكرة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشر بن بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فجعل عبد الرحمن يمدد بالخليل بعد الخليل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل ، وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزیه فيه فنعاه عبد الملك إلى الناس بمنى ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجده بدا من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطعمه إلا ظاهراً ويعصيه كثيراً ، ثم تقولوا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة فحرك صالح بن مسرح أحد بني امرئ القيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ عبد الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والاقامة بها ، وكان له جماعة يلودون به ويعتقدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ويقص عليهم وكان مصفراً كثير العبادة ، وكان إذا قص يحمد الله ويثنى عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويبحث على ذكر الموت ويترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثنى عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه وينكر عليه أشياء من جنس ما كان ينكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، وينم الدنيا ذماً بالغا ، ويصغر أمرها ويحققره ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطنه في الخروج ويحنه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتواعدوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجلل والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سند ذكره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفي فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد : **العرباض بن سارية** رضي الله عنه السلمي أبو نجيح سكن حمص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر بن عنبسة ونزل الصفة ، وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله [ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم] الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله » ، خطبة وجاءت منها القلوب وزرفت منها العيون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سني ووهن عظمي فأقبضني إليك ، وروى أحاديث .

أبو ثعلبة الحشني

صحابي جليل شهد بيعة الرضوان وغزا حنيناً وكان ممن نزل الشام بدار ياغربي دمشق إلى جهة القبلة ، وقيل ببلاد قرية شرق دمشق فأنه أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناضر ، وقد روى عن رسول الله « . » أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامى وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الجرهمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحبار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيتفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تختنقون ،

فبينما هو ليلة يصلي من الليل إذ قبضت زوجته وهو ساجد . ورأت ابنته في المنام كأن أبها قد ماتت فانتهبت مذعورة فقالت لأُمها أين أبي ؟ قالت : هو في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فحركته فسقط جنبه فاذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته في أول إمرة معاوية فله أعلم . وقد توفي في هذه السنة .

الأسود بن يزيد

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعي من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهبت عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره . وكان يهل من الكوفة ، توفي في هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر ويصفر ، فلما احتضر بكى قليل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : مالي لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك مني ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه .

حمران بن أبان

مولى عثمان بن عفان كان من سبي عين النمر اشتراه عثمان ، وهو الذي كان يأذن الناس على عثمان توفي في هذه السنة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان في أولها في مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتمع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشبيب ابن يزيد أحد شجيمان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بتقوى الله وحثهم على الجهاد ، وأن لا يقتلوا أحداً حتى يدعوهم إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان فائب الجزيرة فأخذوها ففروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان فائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدى بن عدى بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار في ألف من حران إليهم ، وكانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما يعلموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة بالغة ، واحتوا على مافي معسكرهم ، ورجع فلهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جعونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم في ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج في نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما انتهوا إلى آمد توجه صالح في شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً في الباقي إلى الحارث ابن جعونة ، فقتل الناس قتلاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن

الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلا ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشيبب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سليمان عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى يمينته أبو الرواح الشاكري ، وعلى يسارته الزبير بن الأرواح النخعي ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبرا شديداً ، ثم انكشف سويد بن سليمان ، ثم قتل صالح بن مسهر أميرهم ، وصرع شيبب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصناً هناك ، وقد بقي معهم سبعون رجلا ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهراً ، فمارجهم الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على العصب والذلول من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعاً إلى المدائن ، واحتاز شيبب وأصحابه مافي معسكرهم ، وكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شيبب ، وكان مقتل صالح بن مسهر في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفها دخل شيبب الكوفة ومعه زوجته عزالة ، وذلك أن شيبباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسهر ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار فجاز المدائن فلم يزل منهم شيئاً ، فسار فأخذ حواجا للحجاج من كلوا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمس إلى الحجاج جهاز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شيبب ، ففروا على المدائن ثم ساروا في طلب شيبب فجعل يسير بين أيديهم قليلاً قليلاً وهو يريهم أنه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرهما وينهب ما فيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وشيبب لا يبالي بأحد وإن مامعه مائة وسنون فارساً ، وهذا من أعجب أتعجب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكاله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخاف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفاً منه ويتحصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم ، وشدب نازل بالمدائن بالدير ليس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له قليل له . قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثرث بهم ويقول للمحقان الذي يصنع له

الطعام : أجده وأنصحه وعجل به ، فلما استوى أكله ثم توضأ وضوءاً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة بتطويل وطمانينة ، ثم لبس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا ! حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدبر الذي هو فيه وهو يقول : أنا أبو المدله لاحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سعيد بن المجالد ، وحمل على الجيش الآخر الكثيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبته الحجاج إليها فدخلها العصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة ف ضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وتقصد محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرفهم ، منهم أبو سليم والدليلث بن أبي سليم ، وعدى بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت معروفة بالشجاعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجعلت تدم بني مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى مجال الطامن والضرب ، فبهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فساروا وراءه وهو بين أيديهم ينفس ويهز رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم رائدة بن قدامة ، قتله شبيب ، وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لحر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهزمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ، فمن أعيانهم عقيل بن شداد السلوي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والاسود بن ربيعة ، واستفعل . أمر شبيب وترزّل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شرذمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً . ووجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من

نقشها . وقال الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية : اختلف في أول من ضربها بالعمية في الاسلام فقال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الدرهم النقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير والدرهم رومية وكسروية ، قال أبو الزناد : وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين ، وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد : وعلى الوجه الآخر الله الصمد ، قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدرهم مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكمرة ، عليها الملك من جانب ، والله من جانب ، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب ، ثم خلصها بعده يوسف بن هيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية وذكر أنه قد كان للناس نقود مختلفة منها الدرهم البعلية ، وكان الدرهم منها ثمانية دنانق ، والطبرية وكان الدرهم منها أربعة دنانق ، واليماني دنانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البعلی والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال ، وذكروا أن المثقال لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا إسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم

وفيه ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو العباس . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى إمرة العراق الحجاج وعلى خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو عثمان النهدي القاضي باسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي (ص) رغب أجولاء والقادسية وتستر ، ونهوند ، وأذر بيجان وغيرهما ، وكان كثير العبادة زاهداً علماً يصوم النهار ويقوم الليل ، توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة .

صلة بن اشيم العدوي

من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصبهاء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلهون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فخذوا في النهار عن الطريق وناموا الليل فمضى يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يعني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو ، وبالليل ننام . ثم تبع صلة فلم يزل يتعبد معه حتى مات . ومرو عليه حتى يجزئونه فهم أصحابه أن يأخذوه بالسنة فقال : هتوني أكنفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخي لي إليك حاجة ،

قال : وما حاجتك ؟ قال أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه كشتكم . ومنهما حكاة جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فقتل الناس عند العتمة قتل لا رمتن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال قتران التمت أوعده جرواً حتى سجد فقلت : الآن يقتسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشيء فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له لثبيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بحمده لم أسمع بمنهاتها ثم قال : اللهم إني أسألك أن تجبرني من النار ، أو تنلي بجنتي أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وبني من القيرة شيء الله به عليم . قال : وذهبت بغلته بنقلها فقال : اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلتي بنقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقيتا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنعنا بهم طعنا وضرباً ، فقال العدو : رجلان من العرب صنعاً بنا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم - يعني أنزلوا على حكمهم - وقال صلة : جئت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعور ربّي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلفي فالتفت فإذا أنا بمنديل أبيض فإذا فيه دوخلة ملائكة رطباً فأكلت منه حتى شبع ، وأدركني المساء فلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا نخلات حسان فقال : إنهن لمن الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المنديل إلى امرأته فكانت تريه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت المروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأتيته فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أول النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم نزل ففكرتني فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت المروس . وقال له رجل : أدعو الله لي : فقال رغبتك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة ومعه ابنه فقال له : أي بني تقدم فقاتل حتى أحسبك ، فحمل فقاتل حتى قتل ، ثم تقدم صلة فقاتل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة المدوية فقالت : إن كنتن جثتن لتهنينني فرحياً يكن ، وإن كنتن جثتن لتعزينني فارجمن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة .

زهير بن قيس الهلوي ،

شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم بركة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أبي

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا بركة ، فأمره بالنهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا قتلوا جميعاً المنذر بن الحارود . مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً ، وناضاف عليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب ابن كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة . ولما بلغ شبيباً ما بعث به الحجاج إليه من العساكر والجنود ، لم يعأ بهم شيئاً . بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكركم وحثهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب مؤذنه سلام بن يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة الركوع والسجود ، وصرف عتاب أصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أبو المذلة لاحكم الله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن والق وجماعة من الأمراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق فحمل كل واحدة منهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبرين وداسوا الأمير عتاب وزهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهمز جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ ممن بقي منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة نهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواصل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مذحج في ستة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرة أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، أخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كن علماً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى

بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بن معه من الشاميين وغيرهم ، فلما تواجه الفريقان نظر الحجاج الى شبيب وهو في ستمائة فخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغلبن باطل هؤلاء الأراجس حقدكم ، غصوا الأبصار واجتوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة ، ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع المجلل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا دنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسيه الذي هو جالس عليه إلى الامام ، ثم أمر شبيب المجلل أن يحمل فحمل فثبوا له وقدم الحجاج كرسيه إلى امام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كنيبته فثبوا له حتى إذا غشى أطراف الأسنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يقد ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس رداً له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرض شبيب أصحابه على الحملة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشى دون الفتح ، فجتوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيهم نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فزالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظهرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما ورائها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسى بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتى الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخا شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، فقتلها رجل يقال له فروة بن دقاق الكلبي ، وخرق في جيش شبيب ، ففرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فهزمهم ، وتخلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلت ، واتبعه الطلب فجعل ينس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل يعض أصحابه ينهائهم عن النعاس في هذه الساعة فجعل لا يكثر بهم

و يدود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .
ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شبيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب
الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة
وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية الثقفي في ألف فارس معه ، فحمل شبيب على الحارث
ابن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس
السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه
ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فمروا
بعامل الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى
بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض
الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، - وكان صديقه - فقال له
شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك . فلا تفر منك نفسك وما تقدم من الوقائع ،
ثم حمل عليه فضر به شبيب على رأسه فممس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفنه
ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطيعوه ولم
يقدروا عليه ، وإنما سلط الله عليه موتاً قدرأ من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة .

مقتل شبيب عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن
أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجهز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون
تبعاً لسفيان بن الأبرد ، ففعل وانطلقوا في طلبه فالتقوا معه . وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل
الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً ثم وأهل الشام ، ثم ساروا
إلى شبيب فالتقوا به فقتلوا قتلاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج
لحملوا على الخوارج حملة منكراً والخوارج قليلون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى
جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، وردد
شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهائراً طويلاً كاملاً عند أول الجسر أشد قتال يكون ، ثم أمر
ابن الأبرد أصحابه فرشقهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحو
من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بغلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ،
وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر فنزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال ليقض الله أمراً كان مفعولاً ، ثم انغمر في الماء ثم ارتفع وهو يقول [ذلك تقدير العزيز العليم] ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيبا من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة الانسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشايرهم ، فلما تخلف في الساقة اشتوروا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فالت السفن بالجسر وفتر فرسه فسقط في الماء ففرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فعرف جيش الحجاج ذلك فجاءوا فاستخرجوه ، ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إنى كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعملت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه جارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أشجع النساء ، تقاتل مع ابنها في الحروب . وذكر ابن خلكان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضا شديدة البأس تقاتل قتالا شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف حتى قال فيه بعض الشعراء :

أسد عليّ وفي الحروب نعمة * فتغاء تنفر من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغا * بل كان قلبك في جناحي طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شييان الشيباني ، يدعى الخلافة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يدى الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بمسكر الشام لقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل : أغر يا أمير المؤمنين ؟ قال [ذلك تقدير العزيز العليم] قال ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فترع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أبيضاً جمداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين ، وقد أمسك رجل من أصحابه فحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت القاتل :

فأن يك منكم كان مروان وابنه * وعمر وومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب . فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قطري بن الفجاءة ، وكان قطري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين

وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدري أحد أين ذهب فإنه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومحاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير : وفي هذه السنة ثار بكير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كما قدمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشرع وابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله ومن يناط بهؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن العجاءة من الأزارقة والله أعلم . وفيها توفي من الأعيان كثير بن الصلت بن معدى كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصل ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام . محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

عواض بن غنم الأشعري

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

مطرف بن عبد الله

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحزرة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحزرة على همدان . ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا إرقيلية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وتلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبعضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فن أثنى عليه المهلب أجزل الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكرة إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ؛ ف قيل كان ذلك بإشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العيشي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابته إلى ذلك ، وأزم المهلب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك .

قال أبو معشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أبان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، وفائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، وفائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس بن مالك الأنصاري . وقد توفي في هذه السنة من الأعيان جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، صاحب رسول الله ﷺ ، وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرأ فتمعه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثاً .

شريح بن الحارث

ابن قيس أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عزله على ، ثم ولاء معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية (يادأود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر ، وقيل إنه مكث قاضياً نحو سبعين سنة . وقيل إنه استغنى من القضاء قبل موته بسنة فله أعلم . وأصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، توفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شعيب ابن الجعفي عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعمش : اشتكى شريح رجلاه فطلأها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحاً . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيراً . وفي رواية أنه خرج بابهامة قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن توبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواه شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهما ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفتيان وإحداهما أحب إلي من الأخرى . وقال لقوم رآهم يلعبون : مالي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدثنا العلاء بن جرير العنبري حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سحيق ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالراء والبنين ، قال : إني اشتريت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : اقض بيننا ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمعاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فانه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب . وأنت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أبا أمية أتيناك وأنت المستعانُ به أذاك جدة ابنِ وأمّ وكلنا نأتمنّ به^(١)
فلو كنت تأيماً لما نازعتك فيه تزوجت فهايتيه ولا يذهب بك القيه
* ألا أيها القاضي فهذه قصتي فيه *

قالت الأم : —

ألا أيها القاضي قد ظلمت لك الجدة * قولاً فاستمع مني ولا تطردني رده
تعزى النفس عن ابني * وكبيدي حملت كبدته
فلما صار في حجرى * يتباً مفرداً وخسة
تزوجت رجاء الخير * منه يكفيني فقة
ومن يُظهر لي الود * ومن يحسن لي رِفدة

فقال شريح : —

(١) هذه الابيات طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قَدْ سَمِعَ الْقَاضِي مَا قُلْتُمْ قَضَى * وَعَلَى الْقَاضِي جَهْدٌ إِنْ غَفَلَ
قَالَ لِلجَدَّةِ رِيْنِي بِالصَّبِي * وَخَذِي ابْنَكَ مِنْ ذَاتِ الْعَلَلِ
إِنَّمَا لَوْ صَبَرْتُ كَانَ لَهَا * قَبْلُ دَعْوَى مَا تَبْتَغِيهِ لِلْبَدَلِ

قَضَى بِهِ لِلجَدَّةِ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : حَدَّثَنَا مَعْمَرُ بْنُ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ شَرِيحٍ أَنَّهُ قَضَى عَلَى رَجُلٍ بِاعْتِرَافِهِ فَقَالَ : يَا أَبَا أُمِيَّةَ قَضَيْتَ عَلَى بَغِيرِ بَيْنَةٍ ، فَقَالَ شَرِيحٌ : أَخْبَرْتَنِي ابْنَ أَخْتِ خَالَتِكَ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ : أَنبَأَنَا الْمَسْعُودِيُّ عَنْ أَبِي حَصِينٍ قَالَ : سَأَلَ شَرِيحٌ عَنْ شَاةٍ تَأْكُلُ الذُّبَابَ فَقَالَ : عُلْفُ بَحَّانٍ وَلَبَنُ طَلِيبٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي حَيَّانٍ التَّمِيمِيُّ حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ : كَانَ شَرِيحٌ إِذَا مَاتَ لِأَهْلِهِ سَنُورٌ أَمْرُهَا فَأَلْقَيْتُ فِي جُوفِ دَارِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَشْعَبٌ « شَارِعٌ » إِلَّا فِي جُوفِ دَارِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ اتِّقَاءً أَنْ تَوْذَى الْمُسْلِمِينَ - يَعْنِي أَنَّهُ يُلْقِي السَّنُورَ فِي جُوفِ دَارِهِ لئَلَّا تَوْذَى بَنَاتُنَّ رِيْحَهَا الْمُسْلِمِينَ - ، وَكَانَتْ مِيَاذِيبُ أَسْطِطَةِ دَارِهِ فِي جُوفِ الدَّارِ لئَلَّا يَوْذَى بِهَا الْمَارَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ الرَّيَّاشِيُّ : قَالَ رَجُلٌ لَشَرِيحٍ : إِنْ شَأْنُكَ لَشَوَيْنِ . فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ : أَرَأَيْكَ تَعْرِفُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِكَ وَتَجْهَلُهَا فِي نَفْسِكَ . وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى تَغْلِبَ النُّحْوِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ بْنُ سَعْمَانَ . قَالَ : كَتَبَ شَرِيحٌ إِلَى أَخٍ لَهُ هَرَبَ مِنَ الطَّاعُونَ : أَمَا بَعْدَ فَانْكَ وَالْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ وَالْمَكَانَ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْهُ بَعِيدَيْنِ مِنْ لَا يَعْبُزُهُ مِنْ طَلَبٍ ، وَلَا يَفُوتُهُ مِنْ هَرَبٍ ، وَالْمَكَانَ الَّذِي خَلَقْتَهُ لَمْ يَبْعُدْ أَمْرًا لِكَلَامِهِ وَمَنْ تَغْلَهُ أَيَّامُهُ . وَإِنَّكَ وَإِيَّاهُ لَعَلَى بَسَاطَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَإِنْ الْمُنْتَجِعُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ لَقَرِيبٍ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مَسْرُورٍ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ شَرِيحٍ أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَيْهِ : إِذَا جَاءَكَ الشَّيْءُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَاقْضِ بِهِ وَلَا يَلْفُتْكَ عَنْهُ رَجَاءُ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَانْظُرْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَاقْضِ بِهَا ، فَإِنْ جَاءَكَ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ فَانْظُرْ مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ نَخَذَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : فَانْظُرْ فِيمَا قَضَى بِهِ الصَّالِحُونَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَانْشُتْ فَتَقَدَّمْ وَإِنْ شُتْ فَتَأَخَّرْ ، وَمَا أَرَى التَّأَخَّرَ إِلَّا خَيْرًا ، وَالسَّلَامَ .

وَقَالَ شَرِيحٌ : كُنْتُ مَعَ عَلِيٍّ فِي سُوقِ الْكَوْفَةِ فَانْتَهَى إِلَيَّ قَاصٌ يَقْصُ فَوْقَ عَلَيْهِ وَقَالَ : أَيُّهَا الْقَاصُ ! تَقْصُ وَنَحْنُ قَرِيبُو الْعَهْدِ ؟ أَمَّا إِنِّي سَأَلْتُكَ فَانْجِبْ فَمَا سَأَلْتُكَ وَإِلَّا أَدْبَتُكَ ، فَقَالَ الْقَاصُ : سَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا شُتْ ، فَقَالَ عَلِيٌّ : مَا ثَبَتَ الْإِيمَانُ وَزَوَالُهُ ؟ قَالَ الْقَاصُ : ثَبَتَ الْإِيمَانُ الْوَرَعُ وَزَوَالُهُ الطَّمَعُ . قَالَ عَلِيٌّ : فَذَلِكَ فَقْصُ . قِيلَ إِنَّ هَذَا الْقَاصُ هُوَ نُوفُ الْبِكَالِيِّ . وَقَالَ رَجُلٌ لَشَرِيحٍ : إِيَّاكَ لَتَذْكُرُ النِّعْمَةَ فِي غَيْرِكَ وَتَنْسَاهَا فِي نَفْسِكَ ، قَالَ : إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَحْسَدُكَ عَلَى مَا أَرَى بِكَ . قَالَ : مَا نَفَعَكَ اللَّهُ بِهَذَا وَلَا ضَرَرَنِي .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ
الفرس فسار به فمطب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا ! قال : فأجمل بيني وبينك
حكما ، قال الرجل نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراق ، قال : فاطلقا إليه
فقصا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتغته ، فقال عمر : وهل القضاء
إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفه يومئذ .

وقال هشام بن محمد الكلبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو
الكلاب ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال : -

ترك الصلاة لأكل يسعى بها طلب المهراش مع الفواق الرجس
فاذا أذاك فعنه بلامه وعظه من عظة الأديب الأكيس
فاذا هممت بضربه فبدرة فاذا ضربت بها ثلاثا فاجبس
واعلم بأنك ما أنيت نفسه مع ما تجرعي أعز الأنفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي (س) قال لها : « يا عائشة [إن الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا] إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل
صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء » . وهذا حديث
ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما
تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن عن
شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله (س) : « إنكم ستقر بلون حتى تصيروا في حثالة من
الناس قد مزجت عهودهم وخربت أمانتهم ، فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : تعملون بما
تعرفون وتتركون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرتنا على من ظلمناوا كفنا من بغانا » .
وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمي عن
شريح ، قال : حدثني البديريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله (س) قال : « ما من شاب يدع
لذة الدنيا ولهوها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ،
ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبتذل شبابه لي ، أنت عندي
كبعض ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود
أو عن زيد بن قيس - عن قاضي المصيرين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن النبي
(س) قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فيم أضمت حقوق

الناس؟ فيم أذهبت أموالهم؟ فيقول: يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقاً، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم، فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة». لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه: «فدع الله بشئ فيضعه في ميزانه فينقل» ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المكي قالا: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به، والله سبحانه وتعالى أعلم.

عبدالله بن غنم

الأشعري نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليققه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين.

جنادة بن أمية الأزدي

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر لمعاوية، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير، توفي بالشام وقد قارب الثمانين.

العلاء بن زياد البصري

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة، وكان كثير الخوف والورع، وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس، وكان كثير البكاء، لم يزل يبكي حتى عمى، وله مناقب كثيرة، توفي بالبصرة في هذه السنة. قلت: إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة، فقال له العلاء: أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار، وكان بعدها يطوى الأيام لا يأكل فيها شيئاً ويبكي حتى كاد يفارق الدنيا، ويصلي لا يفتر، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال: أدرك أخى فإنه قاتل نفسه، يصوم لا يفطر، ويقوم لا ينام، ويبكي الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح، فقال له: افتح فاني أنا الحسن، فلما سمع صوت الحسن فتح له، فقال له الحسن: يا أخي الجنة وما الجنة للمؤمن، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة، فقاتل أنت نفسك؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً. وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال: يا غلام قم فاذكر الله يذكرك. فما زالت تلك الشرعات التي أخذ بها قائمة حتى مات، وقد قيل: إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام. وقال العلاء: نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا. وقال: كان رجل يرأى بعمله فجعل يشمر نياحه ويرفع صوته إذا قرأ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبه، ثم رزقه الله الاخلاص واليقين

نخفض من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعاه بخير
سراقة بن مرداس الازدي كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفي بها
الثابتة الجعدي الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفي في هذه السنة . سفيان بن سلمة
الأسدي . معاوية بن قرة البصري . زر بن حبیش .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفتنون من شدته ، ولم يغز فيها أحد من أهل الشام
لضعفهم وقتلهم ، ووصلت الروم فيها انطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لضعف الجنود والمقاتلة .
وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله
إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبد الملك بن مروان الحارث بن سعيد المتنبي الكذاب ، ويقال له
الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدي ، ويقال مولى الحكم بن
مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق وتعبدها وتنسك وتزهد ثم مكر به ورجع القهقري على
عقبه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين
ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسر دينه وديناه ، وأخزاه وأشقاه . فإنا لله وحسبنا الله ولا
حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب نجدة الجولي حدثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن
مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي
الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، فعرض له إبليس ، وكان رجلاً متمبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب
لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من
كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبتاه أعجل على فاني قد رأيت أشياء أتخوف أن يكون
الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت
به فان الله تعالى يقول [هل أنبشكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم] ولست بأفاك
ولا أثيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيئ إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم
العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كنم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب ، كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليفاً
حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول
كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقا . قال ابن أبي خيثمة في روايته

وكان الحارث يطعمهم فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيريهم رجالا على خيل فيتبعه على ذلك بشركثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة ، قال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هورضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله (ص) : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس نعرفه ، ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاها إلى نبوته فكذباها وردا عليه ما قال ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واخفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فترضا فوردا عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل على الحارث وهو ببيت المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحيطا عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بأشعالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن على نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أسرجوا ، فأشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاخفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فاذا بثوبه فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين من أتراك الخليفة قال فأخنوه قبيدوم ، فيقال إن القيود والجمامة سقطت من عنقه مراراً ويعيدونها ، وجعل يقول : [قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي ، وإن اهتديت فما يوحى إلى ربي إنه سميع قريب] وقال لأولئك الأتراك [أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله] ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كراتنا فهات كراتك ، أي هذا قرآننا فهات قرآنك ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً قطعنه بحربة فابنتت في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين قطعته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم اطعنه ، قال فذكر اسم الله ثم طعنه فأنفذه ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً

من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول : سمعت العلاء بن زياد العدوي . يقول : ما غبطت عبد الملك بشيء من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله . قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المنهـب فلو جوعته لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجلاخ يقول لغيلان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شبيبتك ترا من النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً تحجب امرأته وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً .

وفيهـا غزا عبيد الله بن أبي بكره رتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين نارة ويشرد أخرى ، فكتب الحاج إلى ابن أبي بكره تأخذه بمن مـك من المسلمين حتى تستريح أرضه وتهدم قـلاعه وتقتل مقاتلته ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بتارة ، وجاس ابن أبي بكره وجنـده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ومدنه وأمصاره ، وتبر ما هنالك تقبيراً ، ثم إن رتبيل تفقر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا منها على ثمانية عشر فرسخاً ، وخافت الأتراك منهم خوفاً شديداً ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طلب عبيد الله أن يصلح رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقاً يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هانئ - وكان صحابياً ، وكان من أكبر أصحاب على وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصاهرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فهـاء عبيد الله بن أبي بكره فلم يفتبه ، وأجابه شرذمة من الناس من الشجعان وأهل الحفاظ ، فزال يقاتل بهم الترك حتى نفى أكثر المسلمين رضى الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هانئ يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذاباً أقاصي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثم أدركت النبي المنتهرا * وبعمته صديقه وعمرا
ويوم مهرا ويوم تسترا * والجمع في صقيتهم والنهرا
هيهات ما أطول هذا الحـرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خراج من الناس
 محبة عبيد الله بن أبي بكر من أرض رقبيل ، وم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ،
 وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشير في بعث جيش كثيف إلى بلاد رقبيل ليفتقموا منه بسبب
 ما حل بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ،
 وأن يجعل ذلك سرياً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً
 لذلك على ماسياتى تفصيله في السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ
 ثلاثون ألفاً وابتيع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير
 أيضاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضماهم
 ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة
 ابن أبي موسى الأشعري ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان
 أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطري بن الفجاءة التميمي أبو نعمة الخارجي ، وكان من الشجعان
 المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسل على أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب
 مع جيش المهلب بن أبي صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً في أما كنه ،
 وتأن خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووفاة مشهورة
 وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كبيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحرورية وهو على
 فرس أعجمي ويده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قطري عن وجهه فولى الرجل هارباً فقال له
 قطري إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم ترطناً ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستحي أن يفر من
 منلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد السكبي في جيش فاقتنوا بطبرستان ، فعثر
 بقطري فرسه فوقع إلى الأرض فتكاثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذي قتله
 سودة بن الحر الدارمي ، وكان قطري بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب
 المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فمن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه
 وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقول لها وقد طارت شماعا * من الأبطال ويحك لن تراعى
 فانك لو طلبت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعى
 فصبراً في مجال الموت صبراً * فما نيل الخلود بمستطاعى
 ولا نوب الحياة بنوب عز * فيطوى عن أخي الخنع البراعى

سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
فن لا يفتبط يسأم ويهرم * وتسلمه النون إلى انقطاعي
وما للمرء خير في حياة * إذا ما عُدَّ من سقط المتاع
ذكرها صاحب الحاسة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيهما توفي عبيد الله بن أبي بكره رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا
رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل
عبيد الله بن أبي بكره على الحجاج مرّة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : ولم ختمت بخاتمك هذا ؟
قال على أربعين ألف دينار : قال فقيم أفقهما ؟ قال : في اصطناع المعروف : ورد الملهوف
والمكافأة بالصنائع ونزويج العقائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد
فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدى إليه وصيفة ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه
خذها لك ، ثم فكر وقال : والله إن إثارة بعض الجلساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة : ثم قال
يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكاتبوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .
توفي عبيد الله بن أبي بكره ببست وقيل بخرخ والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين

ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

ففيها كان السيل الحجاج بمكة لأنه حجب على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة
الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه ، وبلغ الماء إلى الخجون ، وغرق
خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن يغطي البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان
في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً
للاعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وقد عليه في غضون هذه المدة
كتاب ابن الأشعث بخلفه الحجاج ، فبعثه المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً في بيانه
وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة
وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكره في السنة
الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج يفضّه جداً ، حتى قال ما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن
الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عامر الشعبي فقال انظر إلى مشيته والله لقد هممت أن أضرب
عنقه ، فأسرّها الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهشت أن أزيله عن

سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم
 العطاء ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ،
 فقدمه عليهم ، فأتى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة
 إذا جاوز جسر الصراه ، فقال : ليس هو هنالك هو لي حبيب ، ومتى أُرهب أن يخالف أمرى أو
 يخرج عن طاعتي ، فأضاه عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رتبيل
 مجى ابن الأشعث بالجنود إليه كتب إليه رتبيل يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ،
 وأنه كان لذلك كارها ، وأن المسلمين هم الذين ألجؤه إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلحه
 وأن يبذل للمسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع
 رتبيل جنوده وتبنيأ له ولحربه ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد
 رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان مخوف ،
 فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم
 حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقوا بما فيها من
 المغلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يجوزون الأراضي والأقاليم
 حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الكنوز والأموال والذراير حتى يغنموها
 ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الرأي ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره
 بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه
 هيمان بن عدي السدوسي إلى كرما مسلحاً لأهلها ليمد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ،
 فمضى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن
 معه ، ومات عبيد الله بن أبي بكرة فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بإمرة سجستان مكان ابن أبي
 بكرة وجهز إلى ابن الأشعث جيشاً أنفق عليه ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش
 جيش الطواويس ، وأمره بالاقدام على رتبيل فكان من أمره معه ما تقدم .

قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج
 بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان
 ابن عثمان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء
 البصرة موسى بن أنس بن مالك

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

اسلم مولى عمر بن الخطاب

وهو أبو زيد بن أسلم أصله من سبي عين التمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفي وعمره مائة وأربع عشرة سنة ، وروى عن عمر عدة أحاديث ، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

جبير بن نفير

ابن مالك الحضرمي له صحبة ورواية ، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم توفي بالشام وعمره مائة وعشرون سنة ، وقيل أكثر وقيل أقل .

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى ، وهو آخر من رأى النبي (ص) من بني هاشم وفاة ، سكن المدينة ، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي (ص) إلى أمهم فقال: اثبتوني ببني أخي ، فأني بهم كأنهم أفرخ ، فدعا بالخلق فخلق رؤسهم ثم قال : اللهم اخلف جعفرآ في أهله وبارك لعبد الله في صفقته ، فجاءت أمهم فذكرت للنبي (ص) أنه ليس لهم شيء ، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم » وقد بايع النبي (ص) عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين ، وهذا لم يتفق لغيرهما ، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس ، يعطي الجزيل الكثير ويستقله ، وقد تصدق مرة بألف ألف ، وأعطى مرة رجلا ستين ألفا ، ومرة أعطى رجلا أربعة آلاف دينار ، وقيل إن رجلا جلب مرة سكرآ إلى المدينة فكسد عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل : إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه : انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلانا - وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً ، فقيل له : هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتفدون ، فأني معاوية فأخبره فقال : ما أنا إلا كأحدهم ، ثم أخذ عصا فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه ، فقال له معاوية : أين غداؤك يا ابن جعفر ؟ فقال : وما تشتهي من شيء ؟ فأدعوه ؟ فقال معاوية : أطعمنا غداً ، فقال يا غلام هات غداً ، فأني بصحيفة فأكل معاوية ، ثم قال ابن جعفر لغلامه : هات غداً ، فجاء بصحيفة أخرى ملائمة غداً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات ، فتمجب معاوية وقال : يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء ، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار ، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم ، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد ، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له : كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة ؟ قال ألف ألف . فقال له : قد أضغنناها لك ، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة ، فقال له عبد الملك بن جعفر : بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك ، ولا أقولها لأحد بعدك ، فقال يزيد : ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدى ، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة ، وكان يحبها محبة عظيمة ، فحضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففنت الجارية ، فلما سمعها يزيد افتتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصري ينم ابن جعفر على سماعه الغنى والاهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله (ص) ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

ابو ادريس الخولاني

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دفس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

معبد الجهني القدري

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك ووصاه ثم اجتمع بعمر وبن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفعك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توسم فيه من عمرو بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فإنه ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين فالله أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن وشاح ، قتله بجير بن ورقاء الصريمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان ، ثم نازل بكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له صمصعة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، طعنه بخنجر وهو جالس عند المهلب بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بأخر رمق ، فبعث

المهلب بصعصعة إليه ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال ضموا رأسه عند رجلى ، فوضعه فطمنه بجير بحرته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : اعف عنه فقد قتلت بكبير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حتى ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فأن الله أعلم .

فتنة ابن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداءها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج يفضيه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، فضى وصنع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد الترك . ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستهجن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل ، ثم أردف ذلك بكتاب فإن ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن الحائك الفادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الأيغال في أرض العدو وإلا حل بك مالا يطاق . وكان الحجاج يفضي ابن الأشعث : ويقول هو أهوج أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الإسلام وما رأيت قط إلا هممت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من ثقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الأيغال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم أما أنا فلست مطيعه ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فأعلمهم بما كان رأى من رأى له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى يتقوا بغلاتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً ببلد إلى أن يحصروا رتبيل ملك الترك في مدينة العظاء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمعالجة رتبيل . فثار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف : فحدثني مطرف بن عاصم بن وائلة الكنتاني أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه أهل عبدك على الفرس فان

هلك هلك ، وإن نجا فلك ، أنتم إذا ظفرتم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء
 البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - وبايعوا لأمرهم عبد الرحمن
 ابن الأشعث فأتى أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ،
 ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن
 مروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رقبيل فصلح له على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رقبيل
 أبداً . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سجستان إلى الحجاج ليقاتله ويأخذ منه
 العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعنا للحجاج خلع لابن مروان نخلعوهما وجددوا البيعة
 لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلق أئمة الضلالة وجهاد الملاحدين ، فإذا قالوا نعم
 بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك
 ويستعجله في بعث الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،
 وكتب إليه يدعو إلى ذلك فأبى عليه ، وبعث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن
 الأشعث يقول له : إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبق على أمة محمد ،
 انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
 فإن قلت أخاف الناس على نفسي فإله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ،
 أو استئصال محرم والسلام عليك . وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
 إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يردهم حتى ينتهى إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة
 في أول مخرجهم ، ومباينة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردهم حتى يصلوا إلى أهلهم وينبسطوا
 إلى نساءهم ويشموا أولادهم . ثم واقفهم عندها فإن الله ناصرهم عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج
 كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصيح . ولما وصل البريد بكتاب
 الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه
 كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان نخفه ، وإن كان من
 قبل سجستان فلا نخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج
 وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصيح
 والصدق ، وجمعت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين
 نزل ومن أين ارتحل ، وأى الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل
 جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج
 في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تستر وقدم بين يديه مطهر بن حبي الكعبي

أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأتوها إلى دجيل فاذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحى عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ، واحتازوا مافي معسكرهم من خيول وقماش وأموال . وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذته مآذب ودرج . وقد كان قائماً يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فانه أرفق بالجنود : فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا فاذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوى على شيء حتى أتى الزاوية فمسكرها عندها وجعل يقول : لله در المهلب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهاليهم وشموا أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبايعهم وبايعوه على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، وواقفه على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الاندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط والله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان بجير بن ورقاء الصريمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمرأ الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعده بستين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم يربوماً محتلياً ولا متسانداً ، وانقض بكرة عام وفاته في سنة إحدى وثمانين ، قاله أبو عبيد وغير واحد . وقيل إنه توفي في سنة ثنتين وثمانين والله أعلم .

عبدالله بن شداد ابن الهاد

كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين ،

محمد بن علي بن أبي طالب

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من بني حنيفة اسمها خولة . ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين فعفا عنه وأجزل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الأقوياء المذكورين ، ولما بويع لابن الزبير لم يبايعه ، فخرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه ابن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فمات بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالقيع . والرافضة يزعمون أنه بجبل رضوى ، وأنه حي يرزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك

ألا إن الأئمة من قريش * ولاية الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بني * هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبتة كربلاء
وسبط لا تراهُ العين حتى * تعود الخيل يقدمها لواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل وائلة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطباً كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستقصدوا بني هاشم من يدي ابن الزبير ، وخرج معهم ابن عباس فمات بالطائف وبقى ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : أبايعك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقن دماءكم وأحرز دينكم فن أحب منكم أن يأتي مأمناً إلى بلده محفوظاً فليفل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمائة رجل ، فأحرم بعمره وقلده هدياً وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فتمعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت لحرب ولا لقتال ، دعنا ندخل حتى نقضى نسكنا ثم نخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يقتاتر منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى نسكه رجع إلى المدينة أقام بها حتى مات ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لا قتلنك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفينيك . فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك ويبايعك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدهه بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس علىبيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب بيعته إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك . توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستون سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحمة وعلي وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورقية ، وكلهم لأمهات شتى . وقال الزبير بن بكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يمت وفيه يقول السيد :

أقلّ للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجبل المقاما
أضّرّ بمعشر والوك منا * ومموك الخليفة والاماما
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارث له أرض عظاما
لقد أسمى بمورق شعير رضوى * تراجع الملائكة الكلاما
وإن له بهر لمقبل صدق * وأندية تحده كراما
هدانا الله ادخرتم لامر * بهر عليه يلتمس التماما
تمام نوره المهدي حتى * تروا راياته ترى نظاما

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وترهاتهم ، وسنزيد ذلك وضوحا في موضعه وإن شاء الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

ففي الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافقوا يوما آخر فحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على

ميمنة ابن الأشعث فبرزها وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرم حتى صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة الليثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان ، وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء - وكان عليهم جبلة بن زحر - : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبيرة نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلهم على جورهم واستدلهم الضعفاء وإماتهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجموا فاذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر صريعا ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرة التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا . كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك ، وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يحرض الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من اتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الحجاج في شعبان من هذه السنة .

وقعة دير الحجاج

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فتلقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شرفة قليلة أراحت أن تقاتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم من ذلك ، فعدلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصبت على قصر الامارة فأخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فاني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت

الثغور والطرق والمسالك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والعذيب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فتمنعوا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دير قره ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دير الجاجم ، ومعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج بعد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآني قد نزلت دير قره ، ونزل هو بدير الجاجم . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم ، وقدم على الحجاج في غبون ذلك أمداد كثيرة من الشام ، وخنق كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كان يبرز بعضهم لبعض في كل يوم فيقتلون قتالا شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قریش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب معهما كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزله عنكم ، وبعثت عليكم أعطياتكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً ما عاش وعشت ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم تجب أهل العراق إلى ذلك فالحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج ونحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى عنهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا جراً عليك ، ألم تروى سمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ما يريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُقْلَع ، كان الله لك فيما ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأتى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله ابن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإنه يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أخى أمير المؤمنين إليكم بذلك، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، فنفّر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكمنا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك ونائبه ثانية ، واتفقوا على ذلك كلهم .

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعنه محمد بن الحجاج : شأنك بهم إذا ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكأننا إذا لقياه سدا عليه بالأمرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالأمرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتديرها كما كان قبل ذلك ، فعند ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى الخليل سفيان بن الأبرد وعلى الرجالة عبد الرحمن بن حبيب الحسكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حارثة الجشمي ، وعلى الميسرة الأبرد بن قرة التميمي ، وعلى الخيالة عبد الرحمن ابن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرجالة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جبلة بن زحر بن قيس الجهمي ، وكان فيهم سميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكميل بن زياد . وكان شجاعاً فاتكاً على كبر سنه . وأبو البحتري الطائي وغيرهم ، وجعلوا يقتتلون في كل يوم ، وأهل العراق تأتيهم الميرة من الرساتيق والأقاليم ، من العلف والطعام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أضييق حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد فقدوا اللحم بالسكيلة فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى انسلخت هذه السنة وهم على حالهم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج زياد بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم واستقتلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سميد الأزدي أحد أشرف أهل البصرة وجوهم ودهاتهم وأجوادهم وكرماهم ، ولد عام الفتح ، وكانوا ينزلون فيما بين عمان والبحرين ، وقد ارتد قومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعث بهم إلى الصديق وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الخنث ، ثم نزل المهلب البصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وستين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف ونمائمائة ، فغطمت منزلته عند الحجاج . وكان فاضلاً شجاعاً كريماً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنه : نعم الخصلة السخاء تستر عورة الشريف

وتلحق خسيصة الوضع ، وتحبب المزهود فيه . وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله

توفي المهلب غازياً بمرور الروذ وعمره ستة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد وهم : يزيد ، وزيد ، والفضل ، ومدرک ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، ومحمد ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذي الحجة منها ، وكان من الشجمان وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده ليزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان

اسماء بن خارجة الفزاري الكوفي

وكان جواداً ممدحا ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فأنح عليه فقال : جارية رأيتها دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : اخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى ، وقال له : مامعنى أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضئيلة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

المغيرة بن المهلب

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحا شجاعا ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبدالله

ابن ربيعة الخزومي المعروف بقباع ، ولى إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلهم ، توفي بالمدينة ودفن بالقيع .

عبدالله بن ابي طلحة بن ابي الأسود

والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبوطلحة فأخبر النبي (ص) ،

فقال (ص) : « عرسكم بارك الله لكم في ليلتكم » . ولما ولد حنكه بتمرات .

عبد الله بن كعب بن مالك

كان قائد كعب حين عي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

عفان بن وهب

أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات .

جميل بن عبد الله

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحاف بن قضاة . أبو عمرو الشاعر صاحب بئينة ، كان قد خطبها ففنت منه ، فنزل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القرى ، وكان عفيفاً حياً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راووته ، وهو يروى عن هذبة بن خثرم عن الخطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كثير عزة كان جميل أشعر العرب حيث يقول :-

وأخبرتني أن تباء منزل * لليل إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلي المراميا
ومنها قوله وما زلت بي يابئن حتى لو انني * من الشوق أستبكي الحام بكى ليا
وما زادني الواشون إلا صابة * ولا كثرة الناهين إلا نغاديا
وما أحدث النأي المرق بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا
ألم تعلمي يا عذبة الريق أني * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بفتة * وفي النفس خاجت إليك كما هيا
وله أيضا إني لأحفظ غيكم ويسرني * لو تعلمين بصلح أن تذكرني
إلى أن قال ما أنت والوعد الذي تعديني * إلا كبرق سحابة لم تنطر
وقوله وروى لعمرو: ما زلت ابني الحى أتبع فلهم * حتى دفعت إلى ربيعة هودج
ابن أبي ربيعة . فدنوت مخفياً ألم بينها * حتى ولجت إلى خفي الموجل
فيما نقله ابن عساكر قالت وعيش أخي ونعم والدي * لأنهن الحى إن لم تخرج
فتناولت رأسي لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
فخرجت خيفة أهلها فبيست * فملت أن يمينها لم تخرج
فلنمت فاهاً آخذاً بقرونها * فرشفت ريقاً بارداً منلج

قال كثير عزة : لقيني جميل بئينة فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند هذه الحبيبة ، فقال
وإلى أين ؟ قلت : وإلى هذه الحبيبة - يعني عزة - فقال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بئينة
فواعدتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيتهما ، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى ، وهي تفصل هي

وأما ثوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بئينة : ما ردك يا ابن أخي ؟ فقلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشدته وبئينة تسمع من وراء الحجاب : —

فقلتُ لها يا عَزُّ أَرْسَلْ صاحبي * إليك رسولاً والرسولُ موكلُ
بأنْ تجعلي بيني وبينك موعداً * وأن تأمريني ما الذي فيه أفلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني * بأسفلِ وادي الدومِ والثوبُ يفسلُ

فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وجاء جميل وكنت معهم فما رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادات ، وانفض ذلك المجلس وما أدرى أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فمن هذا ؟ قال : أنا ، فقلت الله : ما أظنك سلمت وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . فقال : لا نالني شفاعة محمد (س) ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريئة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه ببئينة فقال : شديداً ، واستنشد من أشعاره ومدائح فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجلته المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جيلاً قال له : هل أنت مبلغ عني رسالة إلى حي ببئينة ولك ما عندي ؟ قال نعم ، قال : إذا أنامت فاركب فاروق والبس حلتى هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله قومي بُئِينَةُ فَأَنْدُبِي بِعَوِيلِ * وابيخي خَلِيلاً دُونَ كُلِّ خَلِيلِ فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات فخرجت ببئينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تتثنى في مرطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتي ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني . فقلت : بلى والله صادق وهذه حلتي وفاقته ، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتاً ترمي بها وتتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولا خير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها : قال الرجل : فما رأيت أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله (س) ، أنه قال : « إن من الشعر لحكمة »

عمر بن عبيد الله

ابن معمر بن عثمان أبو حفص القرشي التيمي أحد الأجراد والأمرأه الأبحاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان ثاباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم ، وهو الذي قتل قطري بن الفجاءة ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وابن عون ، ووفد على عبد الملك فتوفى بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى مابك من قلة الشيء . فلو بعنني وانتفعت بمنى صلح حالك ، فباعها المعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت تخاطب سيدها بأبيات شعر وهي : -

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته * ولم يبق في كفي إلا تفكرى
أقولُ لنفسي وهي في كرب عيشة * أقلى فقد بان الخليط أو أكرى
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة * ولم تجدى بداً من الصبر فاصبرى
فأجابها سيدها فقال : -

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبرى
أوبُ بحزنٍ من فراقك موجع * أناجى به قلباً طويلاً التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فلما سمعها ابن معمر قد شببت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية لما رأى من توجعها على فراق كل منهما صاحبة ، فأخذ الرجل الجارية وثمانها وانطلق . توفى عمر بن عبيد الله بن معمر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته ، وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قریش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورملة ، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مائة ألف دينار رحمهم الله .

كميل بن زياد

ابن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي . روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة ، وشهد مع علي صفين ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عابداً ، قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة قتله صبراً بين يديه ، وإنما نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمه لطمها إياه . فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟

ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا: وذكر الحجاج علياً في غبون ذلك فنال منه وصلى عليه كميل ، فقال له الحجاج : والله لأبعثن إليك من يبغض علياً أكثر مما تحبه أنت ، فأرسل إليه ابن أدم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه ، وقد روى عن كميل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله «القلوب أوعية تغيرها أوعاها» وهو طويل قد رواه جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

ذاذان ابو عمرو الكندي

أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر ويضرب بالطنبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله ابن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشبة . قال خايصة : وفيها توفي زر بن حبیش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أنت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة (شقيق بن سلمة) أبو وائل ، أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي (س) .

ام الدرداء الصغري

اسمها هجيمة ويقال جهيمة تابعة عابدة عالمة فقيهة كان الرجال يقرؤن عليها ويتفقهون في الحائط الشمالى بجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفقهة يشتغل عليها وهو خليفة ، رضى الله عنها .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متواقفون لقتال الحجاج وأصحابه بدير قرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجاجم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصر لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة يفتنصرون عليهم ، ومع هذا فالحجاج ثابت في مكانه صابر ومصابر لا يتزعزع عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عدوه ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحملة على كتيبة القراء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القراء لحلة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما انفك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج والامرة لعمارة ، فساقوا وراءهم يطردونهم لعلهم يظفرون به قتيلاً أو أسيراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم

والسكور والرساتيق ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فقتلوا في قصر كان فيه أهل
المرز قبلهم ، فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا
معه من شعر أبي خلدة اليشكري يقول :

أيا كهفًا ويا حُرْنَ جَمِيعًا * ويا حُرَّ الفُؤَادِ لِمَا لَقِينَا
تركنا الدينَ والدنيا جميعاً * وأسلمنا الحلالَ والبَيْنَا
فما كنا أناساً أهلَ دِنْيَا * فمنعها ولو لم نَرُجْ دِينَا
تركْنَا دُورَنَا لَطْغَامِ عَكٍّ * وأنباطُ القرى والأشعرينا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل
وأنزله عنده وأمنه وعظمه

قال الواقدي : ومر ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان
ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا
وأنزله ، فعل ذلك خديعة به ومكرا ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتحصن بها من عدوك
ولكن لا تدع أحداً ممن معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكربه ، فمنعه أصحابه
فلم يقبل منهم ، فتفرق عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكه وأوثقه بالحديد وأراد
أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له
من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن
آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسير إليه
ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، فغدر
بي وفعل مارأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش
ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم
إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه
- وهم قريب من ستين ألفا - فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل
فتغلبوا على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عامر النعمان وإخوته وقرابته ، واستحوذوا على مافيها
من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخنوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن أخرج إلينا حتى
نكون معك ننصرك على من يخالفك ، ونأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جندا ومنعة كثيرة منا ، فنكون
بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فترى بعد ذلك رأينا. فخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم
قليلا إلى نحو خراسان فاعتزله شرذمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتبيل فأكون عنده . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقى معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان فخرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فتمتعهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش يقول له : إن في البلاد مقسماً فاذهب إلى أرض يحيى بهاسلطان فاني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالا بعثت إليك . فقال له : إنا لم نجيء لقتال أحد ، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور خراسان ، فخرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتار مافي معسكره ، وبث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لا ييك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قسمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعفا عن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فأمهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ماسياتي بيانه

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فذكره الحجاج يوماً فقبل له . إنه سار إلى مسلم بن قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابث لي بالشعبى قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمره ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق كائناً في ذلك ما كان ، وقد والله نمردنا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل الجهد فما ألونا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وماجرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبحملك ، و بعد فلك الحجة علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إلى من يدخل علينا يقطر سيفه من دماءنا ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلم يا شعبي ، قال : فوجل لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي ؟ - قال : وكان لي مكرماً قبل الخروج عليه - قلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتنحت بسدك السهر ، واستوعرت السهل ، واستوخت الجنباب ، واستعلست الخوف ، واستحليت الهم ،

وقدنت صالح الاخوان ، ولم أجد من الأمير خلفا . قال انصرف يا شعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .

وروى البيهقي أنه سأله عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير ممن سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بایعه ، وإن أبي قتله ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبي أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أکفر أهل الأرض وأکفر من فرعون وهامان ونمرود . قال : فضجك الحجاج وخلي سبيله .

وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة هجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشد إياها فأنشده قصيدة طويلة دالية ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألح عليه حتى أنشده قصيدته الأخرى ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد انصحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر فعرف به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بكمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جنده حصص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، قتلته الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو مواقف لابن الأشعث بمث كينا يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم تواضع الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز مافي المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فالوا عليهم ميلة واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكاله ، وانطلق ابن الأشعث هارباً في ثلاثمائة فركبوا دجيلاً في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك

إلى بلاد الترك ، وكان في دخوله بلاد رقبيل ما تقسم ، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم منقًى وفرادى ، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة ألف وثلاثين ألفاً ، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان ، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وجاعات من السادات الأخيار ، والعلماء الأبرار ، حتى كان آخرهم سعيد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتى ذلك في موضعه .

بناء واسط

قال ابن جرير : وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط ، وكان سبب بنائه لما أنه رأى راجعاً على أنان قد أجاز دجلة ، فلما مر بموضع واسط وقفت أناته فبالت ، فترجل عنها وعمد إلى موضع بولها فاحتفزه ورمى به في دجلة ، فقال الحجاج : على به ، فأتى به فقال له : لم صنعت هذا ؟ قال : إنا نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يعبد الله فيه مادام في الأرض أحد بوحده . فمعد ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع . وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية . ومن توفى فيها من الأعيان :

عبد الرحمن بن جحيرة

الطولاني المصري ، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال ، وكان رزقه في العام ألف دينار ، وكان لا يدخر منها شيئاً .

طارق بن شهاب

ابن عبد حمس الأحمسي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعا وأربعين غزاة ، توفى بالمدينة هذه السنة

عبيد الله بن عدي

ابن أخيار أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عن جماعة من الصحابة عبد الله بن قيس بن مخزومة ، كان قاضي المدينة . وكان من قهواء قريش وعدائهم وأبوه عدي ممن قتل يوم بدر كافراً وتوفى بها في هذه السنة مرتد بن عبد الله أبو الخير البزني . وفيها قد جاعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث ، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة ، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه ، ومنهم من تتبعه الحجاج حتى قتله ، وقد سمى منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان ، فمنهم مسلم بن يسار المزني ، وأبو مرانة العجلي قتل ، وعقبة بن عبد الغفار قتل ، وعقبة بن وشاح قتل ، وعبد الله بن خالد الجهضمي قتل ، وأبو الجوزاء الربيعي قتل ، والنضر بن أنس ، وعمران والد أبي حمزة الضبي ، وأبو المتهال سيار بن سلامة الرياحي ، ومالك بن دينار ، ومرة بن ذباب الهذلي وأبو نجيد الجهضمي ، وأبو سبيح الهناني ، وسعيد بن أبي الحسن ، وأخوه الحسن البصري قال أبو بوب :

قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هودج عائشة يوم الجمل فأخرج الحسن منك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعبي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمعروزي بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البختري ، وطلحة بن مصرف ، وزبيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجا أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبعي ، والد أبي حمزة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكان صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى صحبة . أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأثنى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً .

ثم دخلت سنة اربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصية ، وفيها غزا محمد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وتسمى سنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد بن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجلي وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

أيوب بن القرية

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلالى المعروف بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأبو غنيم الخولاني . له صحبة ورواية ، سكن حمص وبها توفي وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفي . أبو زرعة الجذامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، تخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بنيت به ، ولا تحزن صاحباً سررت به ، ولا تشمت عدواً كبت به ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفي عتبة بن منذر السلمي صحابي جليل ، كان يمد في أهل الصفة . عمران بن حطان الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فتزوج امرأة من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها . وكان هو دميم الشكل ، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبّت فارتد معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء

المفلقين ، وهو القاتل في قتل على وقاته :

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بغياً وعدواناً
وقد كان الثورى يمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله :-

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على أنهم فيها عُرَاءٌ وجوعٌ
أراها وإن كانت تحب فانها * سحابة صيفٍ عن قليل تقشعُ
كركب قضا حاجتهم وترحلوا * طريقهم بادي العلامة موعُ
مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل
على رضى الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بل ضربة من شقى ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش خسراناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه * أشقى البرية عند الله ميزاناً.

روح بن زنباع الجذامى

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشيريه في أموره .

وفيهما كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندى وقيل فى التى بعدها فأنه أعلم . وذلك أن
الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذى لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذى لا إله إلا هو لئن
لم تبعث إلى بابل الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من
الحجاج استشار فى ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج
ديارهم ويأخذ عامة أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشرين سنين ، وأن لا يؤدى
فى كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث قتيلاً . إنه أمر بضرب عنقه
صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً
فقتله وهو بأخر رمق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه قتيلاً فى الأصفاد وبعث بهم
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرجج ، صعد ابن الأشعث وهو
مقيد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لتلايفه ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه
الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزه ، وقتل من معه من أصحاب ابن
الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه فى العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرجح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هبّات موضع جنة من رأسها • رأس بمصر وجنة بالرجح
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين فأن الله أعلم .

وعبد الرحمن هذا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلعة قائمة فالقول ما قال البائع أو تشاركاه . » وعنه أبو العميس ويقال إن الخجاج قتله بعد التسعين سنة فأن الله أعلم . والمعجب كل المعجب من هؤلاء الذين يأمرون بالامارة وليس من قريش ، وإنما هو كندي من اليمن ، وقد اجتمع الصحابة يوم السقيفة على أن الامارة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى ان الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سعد بن عباد الذي دعا إلى ذلك أولاً ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم . فكيف يعمدون إلى خليفة قد بويع له بالامارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلبية قريش ويأيمون لرجل كندي بيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفلته نشأ بسببها شر كبير هلك فيه خلق كثير فأن الله وإنا إليه راجعون

أيوب بن القزعة

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النخعي الهلالي ، كان أعراياً أُمياً ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، محب الخجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولا إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيباً فتخلع الخجاج لأضرب عنقك ، ففعل وأقام عنده ، فلما ظهر الخجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه وندم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل • وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقزعة بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جماعة بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكروا وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي العقب صاحب الملحة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي العقب وأن الله أعلم .

روح بن زنباع

ابن سلامة الجندابي أبو زرعة ويقال أبو زنباع النمشي داره بدمشق في طرف البزوريين عند دار

ابن عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه - وكانت له محبة - وتيم الداري ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأحمري وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له محبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن مآثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يعتق نسمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالاردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فقتل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة برد الماء ، فدعا روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم ياراعي ؟ فقال الراعي : أفأعذب أياي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فقتله وترك روح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع : -

لقد ضنفت بأياك ياراعي * إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفضت ، وقال : انظروا هل نجدون لها آكلًا من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بمجامع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث فآله أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعى فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده ملكاً أقرع ، من يقيم في سبيله يرمع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أتعرف ما لي ؟ قال : نعم قال : فن لي العراق بعدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أفي حياتي أو بعد موتي ؟ قال لا أدري ، قال : أتعرف صفته ؟ قال يغدر غدره لا أعرف غيرها قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستمعيه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقرير والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى

بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل الكتاب بدكرون أن ماتحت يدي سليله رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد ابن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد : لقد شرفهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدراً وجلداً وحظاً فأخلق به . فأجمع رأى الحجاج على عزل يزيد ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدرة ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ الكتاني ، فجاء البريد بكتاب فيه قد أكرت في شأن يزيد فسم رجلاً يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج على المنفل بن المهلب فولاه قليلاً تسعة أشهر ، فعزاه بلاد عبس وغيرها وغنم مغنم كثيرة ، وامتدحه الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فجعل كلما اقترب من بلدة خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فجعل يهادنه ويبعث إليه بالالطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن الملك فعمل له طعاماً وبعث إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن ائتني في مائة من أصحابك ، فاختر موسى من جيشه مائة من شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطجع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري : فنار أهل القصر إليه فحاجف عنه أصحابه ، ثم وقعت الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتتلوا فقتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فخصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها هارباً فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم نحو من مائة رجل أخرجوك من بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا معه قصاداً نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقومهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن يوجبوا ناراً ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنا نجد البرد في الصيف والكر في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم غدوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجلب بطائفة أخرى فجاءوا فحاصروا بترمذ وجاء الخراعي فحاصره أيضاً ، فجعل يقاتل الخراعي أول النهار ويقاثل آخره المعجم ، ثم إن موسى بينهم قتل منهم مقتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخراعي فصلاه وكان معه ، فدخل يوماً عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحاً فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح، فقال: إن عندي سلاحاً، ثم رفع صدر فراشه فإذا سيفه منتضى فأخذه عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبيد الله بن خازم.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجذامي، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل، وكان لا يحبب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، فعزاه في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأى الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الإمرة من بعده بالكلية، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم.

عبد العزيز بن مروان

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصبغ القرشي الأموي ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة، وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قسمنا، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم، المعروفة بالخانقاه السميساطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية. وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبة بن عامر وأبي هريرة، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله (ص)، قال: «شرفني الرجل حين خالع وشح خالع». وعنه ابنه عمر والزهرى وعلي بن رباح وجماعة. قال محمد بن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال غيره: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثم تعلم العربية فأتقنها وأحسنها فكان من أفصح الناس، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز: من ختنك؟ فقال الرجل: ختن الختان الذي يختن الناس، فقال لكتابه ويحك بماذا أجابني؟ فقال الكاتب: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من ختنك، فألى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يتعلم العربية، فكث جمعة واحدة فتعلمها فخرج وهو من أفصح الناس، وكان بعد ذلك يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه، فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية. قال عبد العزيز يوماً إلى رجل: ممن أنت؟ قال: من بنو عبد الدار، فقال: تجدها في جارتك، فتقصت جارتك مائة دننا:

وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله (ص) قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فجئت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ قلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إلى الكتاب حتى جثته بها ففرقها رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : عجبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله يرزقه ويخلف عليه ، كيف يجبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضر له مالٌ يحصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بعر جائل بنجد ، وقال : والله لوددت أني لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجاري ، أو نبتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : اثبتوني بكفى الذى تكفنونى فيه ، فحمل يقول : أف لك ما أقصر طويلك ، وأقل كثيرك .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساكر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان وانصواب سنة خمس وثمانين ، فانه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كرمًا جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمور كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ - مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شتى ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التى بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر فى النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف ، من جملة ذلك ثلاثمائة مدين من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فانه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد أو يكون ولى العهد من بعده ، فانه أعز الخلق على . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى فى أبي بكر بن عبد العزيز ما ترى فى الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . بحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكاملها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مفاتيحها وخراجها وحملها - فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاءه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتي الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا أعتب على بقية عمرى فافعل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لعمرى لا أعتب عليك بقية عمرى . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن يرد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل تارقنا محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتها ورب السكبة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إنه قطعني فاقطعه ، فأت في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاء الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليسلاً حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه فإنه نال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما بعده . وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك بحسن له ولاية الوليد ويزيدها له من بعده ، وأوفد إليه وفدًا في ذلك عليهم عمران بن عاصم العنزي ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتكلم وتكلم الوفد في ذلك وحنوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عاصم في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي * على النأي التحية والسلاما
أجبن في بفيك يكن جوابي * لهم عادية ولنا قواما
فلو أن الوليد أطاع فيه * جعلت له الخلافة والنعاما
شبهك حول قبة قريش * به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً * لدن خلج القلائد والنعاما
فإن تؤثر أخاك بها فانا * وجنك لا نطبق لها اتها
ولكننا فحاذر من بنيه * بني العلات مائة سماما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم * سحلباً أن تعود لهم جهاما
فلا يك ما حلبت غداً لقوم * وبمد غد بنوك هم العيلاما
فأقسم لو تخطاني عصام * بنك ما عفرت به عصام
ولو أني حيوت أختاً بفضل * أريد به المقالة والمقاما
لعب في بني على بنيه * كذلك أو لمرت له مراما
فمن يك في آثاره صدوع * فصدع الملك أبطوه التماما

قال : فهاجه ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لولده سليمان

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جملاً وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقولون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يعنفه في ذلك ويأمره باخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا نعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، ويروى أنه قال له : ما ينبغي إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فإله أعلم .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكاله الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة العشرة ، قاله يحيى بن القطان . وقال محمد بن سعد كان ثقة وكان به صمم ووضح كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . عبد الله ابن عامر بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلمة . وائلة بن الأسقع . شهد وائلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومسجده بها عند حبس باب الصغير من القبلة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه إلا رسومنه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماء . خالد بن يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طول في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطيقاً كأبيه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحترق أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : [إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة] فقال له خالد : [وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميراً] فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم اللحن ، فقال خالد : والوليد لا يقيم اللحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد : وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تمد في المير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو المير والنفير غير جدى أبى سفيان صاحب المير ، وجدى عتبة بن ربيعة صاحب النفير ، ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت - يعنى أن الحكم كان منفياً بالطائف برعى غنماً ويأوى إلى جبلة الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولى - فسكت الوليد وأبوه ولم يجبرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبي وغنم وسلم وتسلم فلاعاً وحصونا وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكن في مقدمة الجيش ، وإذا قنلت راجعاً فكن في سافة الجيش - يعنى لتكون ردها لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد - وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في السبي امرأة برمك - والد خالد بن برمك - فأعطاها قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي وردت تلك المرأة على زوجها وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بنى العباس كما سيأتى . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب . وفيها كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات ، لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمى بذلك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم قتل وسبي وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الأخرم من أرض الروم ، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة . وفيها هلك ملك الروم الأخرم لورى لا رحمه الله . وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل الخزومي . وفي هذه السنة توفى أبو أمانة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي في قول ، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر . وفيها في شوالها توفى أمير المؤمنين .

عبد الملك بن مروان وولده بالخلفاء والمؤمنين

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين ،

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إياها معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرى وعمر بن الحارث ورجاء بن حيوة وجري بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة عن مصعب بن الزبير : وكان أول من سمى في الاسلام بعبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمى في الاسلام بأحمد . والد الخليل بن أحمد المروضى . وبويع له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان ربة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فربما غفل فيفتح فيه فيدخل فيه اللسان ، ولهذا كان يقال له أبو اللسان . وكان أبيض ربة ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس والوجه حسن الوجه لم يخضب ، ويقال إنه خضب بعد . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفتح ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعشى عن أبي الزناد : كان قهواء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قيل أن يدخل في الامارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء وولد مروان أباً - يعنى عبد الملك - ورآه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لى يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصلاً ، وإنك لجدير أن تلى أمر هذه الأمة ، فاحذر الماء فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريه من مسلم بغير حق » . وقد أثنى عليه قبل الولاية معاوية وعمر بن العاص في قصة طوييلة ،

وقال سعيد بن داود الزبيرى عن مالك عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيرى قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والمصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان فأتى ما ذكرته حديثاً إلا زادني منه ، ولا شعراً إلا زادني فيه . وذكر خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابث ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغنائه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجل بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه وبايعه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في منهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بنى له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحوازي - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فطناً سائساً لأموال الدنيا ، لا يكل أمر دنياه إلى غيره وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أنف حمزة عم النبي . يوم أحد ، وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فأنك راع وكل راع مسئول عن رعيته [الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً] لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتملوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فالزموا ما في مصحفكم

الذي حملكم عليه الامام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله ، فانه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للاسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما ، واستقصيما شذعنهما . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ، فخطبنا فقال : أما بعد فانه كان من قبلي من الخلفاء يا كلون من المال ويوكلون ، وإني والله لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة للمستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعني معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعني يزيد بن معاوية - أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر ، هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال برأسه هكذا قلنا بسيفنا هكذا ، وإن الجامعة التي خلعها من عنقه عندي ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضمرها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب . وقال الأصمعي : ثنا عباد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكرأ فأنشأ قائده يقول : -

يا أيها البكر الذي أراكا * عليك سهل الأرض في ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا * خليفة الله الذي امتطاكا
* لم يحب بكرأ مثل ما حباكا *

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها ياهناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف . وقال الأصمعي : خطب عبد الملك محصر فقال : إن اللسان بضعة من الانسان ، وإنا نسكت حصراً ولا ننطق هنراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخ عروقه ، وعلينا تدلت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمعي : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتنسى ارتقاء المنبر وخفاقة اللحن ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعني أسقط من كلامه ألفاً - فقال له عبد الملك زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً ، وقال الزهري : سمعت عبد الملك يقول في خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غال فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن أبي الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسايره في سفره : إذا رفعت له شجرة ، سبحوا بنا حتى تأتي تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى تأتي تلك الحجرة ، ونحو ذلك .

وروى البيهقي أن عبد الملك وقع منه فلس في بئر قنرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له في ذلك فقال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيفون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشديقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى * وأنصت السامعُ للقائل
واصطرعَ الناسُ بألبابهم * نقضى بحكم عادلٍ فاصل
لا نجعلَ الباطلَ حقاً ولا * نلفظُ دونَ الحقِّ بالباطلِ
نخافُ أن تسفهَ أحلامنا * فنجهلَ الحقَّ معَ الجاهلِ

وقال الأعمش : أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه : لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لما جرت إليه ملوكهم ، ولنزول من قلوبهم بالمتزلة العظيمة ، ولعرفوا له ذلك ، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا ، وإني خادم رسول الله (ص) ، وصاحبه ورأيتُه وأكلتُ معه ، ودخلتُ وخرجتُ وجاهدتُ معه أعداءه ، وإن الحجاج قد أضرني وفعل وفعل ، قال : أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله ، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ ، فجاء إلى الحجاج قرأه فتغير ثم قال إلى حامل الكتاب : انطلق بنا إليه نترضاه . وقال أبو بكر بن دريد : كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث : إنك أعز ماتكون بالله أحوج ماتكون إليه ، وأذل ملتكون للمخلوق أحوج ماتكون إليهم ، وإذا عزيت بالله فاعف له ، فانك به تمز وإليه ترجع . قال بعضهم : سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف ، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك : احفر في كلامك ثلاثاً ، إياك أن تمدحني فاني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إلى بأحد من الرعية فانهم إلى عدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظلمى ، وإن شئت أقلتك . فقال الرجل : أقلنى فأقاله . وكنا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق : اعفنى من أربع وقل ما شئت ، لا تطرنى ، ولا تمجنينى فيما لا أسألك عنه ، ولا تكذبينى ، ولا تمحلينى على الرعية فانهم إلى رافئى ومعدلتى أحوج . وقال الأصمعى عن أبيه قال : أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال : اضربوا عنقه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائى منك ، فقال : وما جزاؤك ؟ فقال : والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك ، وذلك أنى رجل مشوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم ، وقد بان لك صحة ما ادعيت ، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تتصحك ، لقد كنت مع فلان فكسر وهزم وتفرق جمعه ، وكنت مع فلان قتل ، وكنت مع فلان فهزم - حتى عد جماعة من الأمراء - فضحك وخلي سبيله . وقيل لعبد الملك : أى الرجال أفضل ؟ قال : من تواضع عن رفة وزهد عن قدرة ، وترك النصرة عن قوة . وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة ، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم . وقال : خير المال ما أفاد حمداً ودفع ذماً ، ولا يقولن أحدكم ابداً بمن تقول ، فان

أخلق كلهم عيال الله ، وينبغي أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شعورهم تغلف رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقروا ، وعلمهم الشرع يمجدوا وينجدوا ، ومرم أن يستاكروا عرضا ، ويمصوا الماء مصا ، ولا يعبوا عبا ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الناشئة فيهنوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذا خاصا ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يابه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الانسان إن الله قد جعلك بينه وبين عبادته فاحكم بينهم [بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب] [ألا يفتن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين] [ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود] [وما تؤخره إلا لأجل معدود] إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ، [فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا] وإني أحذرك يوم ينادى المنادى [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم] [ألا لعنة الله على الظالمين] قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أياما . وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتابا وفي آخره : ولا يطعمك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذا كر ما تكلم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها • وبليت من ركب أجسادها وجملت أسقامها تمنادها • تلك زروع قد كنا حصادها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف ثوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وسمع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهى عن ذكر عمر فانه مرارة للامراء مفسدة للرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القباي عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغني أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك ، فقال : إني والله ، والدماء أيضا قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنك الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فاني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله - يقول : « لا يدخل الجنة لئان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً
 ثم قال : يارب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهم طمع بقليل عفوك عظيم ذنوبي .
 قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى
 عن غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر الدمشقي :
 وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال :
 مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلائيه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد
 ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا - فأمر
 برفع السباط وأنشأ يقول :

ذَهَبْتُ لَهَا قَاتِي وَانْقَضَ أَيَّامُهُمْ * وَغَبَرَتْ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتحن حنين
 الجارية والأمة ؟ إذا أنا مت فشمّر واتزرر والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها ، واحتذر قریشا .
 ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيتي ، وانظر إلى أخى معاوية فصل رحمه
 واحفظني فيه ، وانظر إلى أخى محمد فأمره على الجزيرة ولا تعزله عنها ، وانظر إلى ابن عمناء على بن
 عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى
 الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشتت
 الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف
 مناراً ، فإن الحرب لم تدن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشهد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحبه ،
 ويدلل الألسنة بالذكر الجليل ، والله ذو القائل :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اجْتَمَعَ فَرَامُهَا * بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ مُقْتَدِرٍ
 عَزَّتْ فَلَمْ تَكْسُرْ وَإِنْ هِيَ بَدَّدَتْ * فَالْكَسْرُ وَالتَّوْهِينُ لِلْمُبْتَدِرِ

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فنأبى فالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك
 فأكرمهن وأحبهن إلى طاعة - وكان قد أعطاهما قرطى مارية والدة البيعة - ثم قال : اللهم احفظني
 فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا يغسل الثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا غسال ، فقال : يا ليتني كنت غسالا
 أكسب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم أَلْ اخلافة . ثم تمثل فقال : -

لمصرى لقد عمرت في الملك برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوائر
 وأعطيت حر المال والحكم والنهي * ولي سلمت كل الملوك الجبابر

فأضحى الذي قد كان مما يسرنى * كحل مضى في المزمنا العواير
فيا ليتنى لم أعن بالملك ليلة * ولم أسع في لذات عيش نواضر
وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك في مرض موته : كيف تجددك ؟ فقال أجدنى كما قال الله تعالى
[ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم] الآية . وقال
سعيد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار ، فقال : يا ليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ
سعيد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :
لما حضره الموت جعل ينم ويندب ويضرب يده على رأسه ويقول : وددت أني اكتسبت قوتي
يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربي عز وجل وطاعته . وقال غيره : لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصاهم
ثم قال : الحمد لله الذي لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم ينشد : —

فهل من خالدٍ إنما هلكنا * وهل بالموت للباقيين غارُ

وبروي أنه قال : ارضعوني ، فرفضه حتى شم الهواء وقال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لتقصير ،
وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لنى غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن قاشك ياربك * عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح * عن مسيئة ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، في النصف من شوال
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه أنه الوليد ولي عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله
أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاثاً وستين سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمانى وخسين . ودفن بباب
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج
وعائشة ، وأمهم ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيعة بن عباس بن بغيض ، وبزید ومروان الأصغر ومعاوية درج وأم كلثوم
وأهم عائكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائكة — فها قاله المدائني —
بنت هشام بن إسماعيل الخزومي . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائكة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
التيبي ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموي ، واطمة وأمها المغيرة
بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الخزومي . وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة
ومحمد وسعد الخير والحجاج لأمهات أولاد شتى ، فكان جملة أولاده تسعة عشر ذكوراً وإنافاً ،

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركاً لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلاً بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكتابه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاه ، وصاحب بيت المال والخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطته أبو الزعزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات آخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريباً .

أرطاة بن زفر

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غقمان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن نبط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بابن شبة ، وهي أمه بنت رامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف - سبية من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرًا طويلاً حتى جاوز المائة بثلاثين سنة ، وقد كان سيداً شريفاً مطاعاً ممدوحاً شاعراً مطبقاً قال المدائني : ويقال إن بني غقمان بن حنظلة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غقمان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأنشده أبياتا : -

رأيتُ المرءَ تأكلهُ الليالي * كأكل الأرض ساقطة الحديدِ
وماتبقى النيةُ حينَ تأتي * على نفس ابن آدمٍ من مزِيدِ
وأعلمُ أنها ستكُونُ حتى * توفي نذرهما بأبي الوليدِ

قال : فارتاع عبد الملك وظن أنه عناء بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال

عبد الملك : وأنا والله سيمر بي ما الذي يمر بك ، وزاد بعضهم في هذه الأبيات : -
خلقنا أنفساً وبني نفوس * ولسنا بالسلام ولا الحديدِ
لئن أنجمت بالقرناء يوماً * لقد منعت بالأمل البعيدِ
وهو القائل وإنى لقوام لدى الضيف موهناً * إذا أسبل الستر البخيل المواكلِ
دعا فاجابته كلابٌ كثيرةٌ * على نعمة مني بأنني فاعلُ
وما دون ضيفي من تلالٍ تمحوزه * لي النفس إلا أن تصان الحلالُ

مطرف بن عبد الله بن الشخير

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجلب الدعوة ، وكان يقول ما أوتي أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر زمانهم . وقال : إذا استوت سريرة العبد

وعلايته قال الله هذا عبدي حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعوا لكم فإنه قد حرك - أي قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدعواؤه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه . وقال : إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلوي وهو يقول : -

الله أعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها * إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايعه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقدم لما أخر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحمله عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا قاه في هذه الأمة - يعني بالذي يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الاسلام وإعلائه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الغارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا مفراطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فخارها . وكان جباراً عنيداً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلية ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جملة محاسنه ما صح عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكر آكلن يأتي ذكر آكلن تأتي النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة

بجمله من لذن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة توما ، وهلم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصحابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البنيان والزينات والآثار والمعارات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين

فقبها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين بغيراً في ربيع الأول منها ، فقتل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو يلفسكم عن عامل لي ظلامة ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا أبلغني . فخرجوا من عنده يمجرونه خيراً ، واقتربوا على ذلك . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان يسمى الرأي فيه - لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولا سيما إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل في ، تركت ذلك لله وللرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فإنه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به وتجاوزته ناداه هشام الله يعلم حيث يجمل رسالته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم قتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذراريهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من يبلده من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكنند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غفير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصفد ومن

حولهم من الأتراك ، فانهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضائق ، فتواقف هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتتلون مع الترك في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من المعجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلا على أن يأتي قتيبة فيخذه عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلصني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر : هذا عامل يقدم عليك سريما بعزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياه اضرب عنقه قتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سمع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينقضي حربنا ألفتك به ، فأملك علينا لسانك ، فان انتشار هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فحرض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يجرهم ، فاقتل الناس قتالا شديداً ثم أنزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ماشوا ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها فسألوه الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلا من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم على خمس مراحل نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً . وأمر النقباءين والفعلة فملقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور فقتل من الفعلة أربعين نفساً ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها فقتل المقاتلة وسبي الذرية وغنم الأموال ، وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأسر فقال أنا أفندي نفسي بخمسة أبواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسلامرة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الغنائم سيدخل فيها ما أراد أن يقتدى به نفسه فان المسلمين قد غنموا من بيكنند شيئا كثيرا من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملة ما صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب ، ووجدوا في خزائن الملك أموالا كثيرة وسلاحا كثيرا وعددا متنوعة ، وأخذوا من السبي شيئا كثيرا ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يسأله أن يعطى ذلك للجند فأذن له فتمول المسلمون وتقووا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً ، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول كثيرة قووا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمنة .

وقد حجج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن

عمر بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكاله الحجاج ، ونائبه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جرير بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

عتبة بن عبد السلمي

صحابي جليل ، نزل حمص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرابي أنه كان يقول هو خير مني أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسعين والله أعلم . قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن مجير ابن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ قال : « لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله ﷺ العري فكساني خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكرسى الصحابة .

المقدام بن معدي كرب

صحابي جليل ، نزل حمص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيرهم : توفي بعد التسعين والله أعلم .

أبو امامة الباهلي

واحد صدق بن عجلان ، نزل حمص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه الطبراني في الدعاء ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

قبيصة بن زؤيب

أبوسفين الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأتى به النبي ﷺ ، ليدعوه ، روى عن جماعة كثيرة من الصحابة ، وأصيب عينه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ، ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن المغيرة بن شعبة

ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً لبنيها مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة (بمحي بن يعمر) ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي .

شريح بن الحارث بن قيس القاضي

أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر على الكوفة فكث بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعاية كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر برجه . وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأخف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وقد اختلف في نسبة وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة .

قلت : قد تقدمت ترجمة شريح القاضي في سنة ثمان وسبعين بما فهم من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معها من المسلمين حصن طوانه في حمادى من هذه السنة - وكان حصيناً منيعاً - اقتتل الناس عنده قتالاً عظيماً ثم حمل المسلمون على النصارى فهزموهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقعه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجعفى ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فتراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوى وإضافة حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتى ذراع في مائتى ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم أهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجر قصيرة السقف ، وسقفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح ، وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقتنعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرن فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستروى ويكن ، ويعرفون أن هذا البنيان العالى إنما هو من أفعال الفراغة والأكلامة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلى سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الاشراف وجوه الناس من بنى هاشم وغيره ،

وتبا كوا مثل يوم مات النبي (س)، وأجاب من له ملك متاخم للمسجد للبيع فاشترى منهم، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك، وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرة، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرقي من حجرة عائشة بنت لهم قدم فغشوا أن تكون قدم النبي (س)، حتى تحققوا أنها قدم عمر رضى الله عنه، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - كأنه خشى أن يتخذ القبر مسجدا - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء، فبعث إليه بمائة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي، والمشهور أن هذا إما كان من أجل مسجد دمشق فأنه أعلم. وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوارة بالمدينة، وأن يجري ماءها ففعل، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والنفائيا، وساق إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة، والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبهته.

وفيهما غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كوربغانون ابن أخت ملك الصين، ومعه مائتا ألف مقاتل، من أهل الصفد وفرغانة وغيرهم، فاقتتلوا قتالا شديداً، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسورا فكسرم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا، وقتل منهم خلقا وسبي وأسر.

وفيهما حج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشهر قريش، فلما كان بالثمنيم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر، فقال لأصحابه: ألا نستمطر؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومعهم المطر، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى، وأخصبت الأرض هذه السنة خصبا عظيما بمكة وما حولها، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين. وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها.

ومن توفي فيها من الأعيان - عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني

محبابى كأييه، سكن حمص، وروى عنه جماعة من التابعين، قال الواقدي: توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام، وقد جاء في الحديث أنه يعيش قرنا، فعاش مائة سنة.

عبدالله بن أبي أوفى

علقة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي، محبابى جليل، وهو آخر من بقى من الصحابة بالكوفة، وكانت وفاته فيما قاله البخارى سنة تسع أو ثمان وثمانين، وقال الواقدي وغير واحد: سنة ست وثمانين، وقد جاوز المائة، وقيل قاربها رضى الله عنه.

وفيهما توفي هشام بن اسماعيل

ابن هشام بن الوليد الخزومي المدني ، وكان حاكم عبد الملك بن مروان وقائمه على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فمات فيها في السبع .

عمر بن حكيم

العنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن محيرز أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم قتيلا خلقاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقلة وقودية . وغنما شيئاً كثيراً وأسرا جماً غفيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصفد ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم قتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرغان ، وظفر بهم فقال في ذلك نهار بن تومعة :

وَبَاتَتْ لَهُمْ مَنَا بِخَرْقَانِ لَيْلَةً * وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْقَانِ أَطْوَلَا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتالا شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحجاج يعنه على الفرار والنكول عن أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن ارجع إليها وتب إلى الله من ذنبك واتهما من مكان كذا وكذا ، ورد وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعني وبنيات الطريق .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فخر بئراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخاطب الناس : أيها الناس ! أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاه ملحا أجاباً ، واستسقى الخليفة فسقاه عذباً فرائاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على زمزم . قال ثم غارت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدري أين هو إلى اليوم ، وهذا الاسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن

كفرًا إن صح عن قائله ، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذى أرساه الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصونا ومدائن كثيرة هناك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الذهبي : وفى هذه السنة فتحت صفلية وميورقة وقيل ميرة ، وهما فى البحر بين جزيرة صفلية وخدرة من بلاد الأندلس . وفيها سير موسى بن نصير ولده إلى النقريس ملك الفرنج فافتتح بلادًا كثيرة . وفيها توفى من الأعيان عبد الله بن ثعلبة بن صمير أحد التابعين العذرى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومسح على رأسه ، وكان الزهرى يتعلم منه النسب . والعمال فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصونا وقتلوا خلقًا من الروم وغنما وأسرا خلقًا كثيرًا . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد نقصاها ابن جرير . وفيها طلب طرخون ملك الصفد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يبذله فى كل عام فأجاب قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهنا عليه . وفيها استنجد وردان خذاه بالترك فأتوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فحطموهم ثم عاد المسمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصفد ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة بالجند إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصفد قال للملك الترك : إن العرب بمنزلة اللصوص فإن أعطوا شيئًا ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوك ، فإن أعطوه شيئًا أخذوه ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكًا . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكاتب نيزك ملك الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فنقض الصلح الذى كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأتاه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاقدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمع بمنزلها ، وصلب منهم ساطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخواه الفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلتحقوا بسليمان بن عبد الملك فأمّنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكابة لذلك ، وكان ذلك يفيظ الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي فصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بمذاب ، فصاح فلما سمعت أخته هند بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكّت وفاحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فخذق حولهم ووكّل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تنكر في هيئة بعض الطبّاخين وجعل لحيته لحية بيضاء وخرج فرآه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه يتحققه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحذره قدومهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهربهم ، وأنه لا يرام هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، ونحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فانه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السهولة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي - وكان كريماً على سليمان بن عبد الملك - فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاؤا مستعدين بك من الحجاج ، قال : فأذهب فأتني بهم فهم آمنون مادمت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمّنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آل المهلب قد أمّنهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أوثقه حتى تبعث به إلي . فكتب إليه : لا والله لا أبغضه حتى أجيء معه ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تفضحنى أو تخفرننى في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نجس معه وأبعث به إلي في وثاق . فقال يزيد : أبعث

بي إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ، فابعثني إليه وابعث ممي ابنك واكتب إليه
 بألفاظ عبارة تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت في الدهليز فادخل
 مع يزيد في السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه في السلسلة ، قال : والله لقد
 بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين نفسي فداؤك لا تخفر ذمة
 أبي وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تنزل من
 رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فإذا فيه : أما بعد
 يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نابذك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك
 لا تنزل جوارى ولا تخفروه ، بل لم أجر إلا سامعا مطيعاً ، حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه
 وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فان كنت إنما تعد قطيعتي واخفار ذمتي والابلاغ في مساءتي فقد
 قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احتراد قطيعتي وانتهاك حرمتي ، وترك برى وإجابتى
 إلى ما سألتك ، ووصلتني ، فوالله يا أمير المؤمنين ماتدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بيني
 وبينك ، فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتى أجل الوفاة علينا إلا وهو لى وأصل
 ولحقى مؤد ، وعن مساءتي فازع فليفعل ، ووالله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد
 تقوى الله بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضاى وسرورى ، وبما
 أنتمس به رضوان الله عز وجل لصلتى ما بيني وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد
 صلتى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على .

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشقنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأدناه منه ، وتكلم يزيد بن
 المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ،
 فمن ينس ذلك فلسنا ننساه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت في
 طاعتكم والظمن في أعين أعدائكم في المواطن المظام في المشارق والمغارب ، ما أن المنة فيه علينا
 عظيمة . فقال له : اجلس فجلس فأمنه وكف عنه وردّه إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، ويصف
 له ألوان الأطعمة الشبية ، وكان حظياً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتقرب يزيد
 ابن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقدم ، وكتب الوليد إلى الحجاج إن لم أصل إلى
 يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فاكفف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم . فكذب
 الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبى عبيدة بن المهلب ألف
 ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج في سنة خمس
 وتسعين ، ثم ولّى يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب . وفيها توفى من الأعيان :

يتاذق الطيب

الحافق ، له مصنفات في فنه وكان حظياً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .
وفيهما توفي (عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة) وأبو العالية الرياحي وسنان بن سلمة بن المحبق أحد
الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن
يوسف الثقفي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعب علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حجر
المنذري أن يلعب علياً فقال : بل لعن الله من يلعب علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله . وقيل إنه وري
في لعنه الله أعلم .

خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلي دار الحجازة ، وكان عالماً شاعراً ، وينسب
إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وعنه
الزهري وغيره ، قال الزهري : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم
الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة
الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان
ولي العهد من بعد مروان فلم يلتزم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء
للأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حُرَّانِ أنَّا * فردّا وقالّا إنّنا لمبيد

قلّت ومن مولا كما فطنا ولا * عليّ وقالّا خالد بن يزيد

قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضي الله عنه . فقال :
وقالا خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذي بنى جامع
حمص وكان له فيه أربعمائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد ينفذ الحجاج ، وهو
الذي أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشي
الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن هذا
فلم يخبره فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك بخطبها
لخالد فقالت : حتى يطلق نسائه فطلقهن ونزوحها وأنشد فيها الشعر .

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

عبد الله بن الزبير

ابن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن

الزبير فامتدحه فلم يطمه شيئاً فقال : لمن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضى غابرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سماتها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة ، فبادوا جميعاً فلا مخبر بها . وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد اتعدوا في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسرم قتيبة وقتل منهم أمماً كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جملة من أخذه منهم سباطين طولهما أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجنب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يقتبع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً منموماً مخنولاً ، فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه ، فقائل يقول : اقله . وقائل يقول لا تقتله فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لتقتله ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمرى إلا ما يسع ثلاث كلمات لتقتله ، ثم قال : اقلوه اقلوه اقلوه ، فقتل هو وسبعمائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وخبولهم وثيابهم وأبنائهم ونساءهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وقرر ممالك كثيرة ، وأخذ حصونا كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارياب وبها مدن ورساتيق ، فخرج إليه ملكها سامعاً مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، ثم سار إلى

الجوزجان فأخضعها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهراً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان ببغلان ، وقد نزل نيزك خان معسكر أعلى فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لموها وارتفاعها واتساعها . فقدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب ومنججان ، فاستأمنه على أن يدلّه على مدخل القلعة ، فأمنه وبعث معه رجالاً إلى القلعة فأنوها ليلاً ففتحوها وقتلوا خلقاً من أهلها وهرب الباقي ، ودخل قتيبة الشعب وأتى منججان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى ببغلان فحصره بها ، وأقام بمحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجماناً يسمى الناصح ، فقال له : اذهب فائتني بنيزك خان ولئن عدت إلى وليس هو معك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار الترجمان إلى نيزك حتى أتاه وقدم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمّنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فخانته منه التفاتة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أنني عليه ، وشرع الوليد يثنى عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعترله - فقال : نحن أحق بالسعي إليه ، فجاء فوقف عليه فلم عليه فلم يقيم له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا فقيه الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله (ص) ، فجلس في الخطبة الأولى وانتصب في الثانية ، قال وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف بنلى الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباح غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله (ص) ، وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخاري فهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة ثمان وثلاث من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

سهل بن سعد الساعدي

صحابي مدني جليل ، توفي رسول الله (ص) ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينظم كيلا يسمع الناس من رأيهم ، قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة . قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخاري وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس في اثني عشر ألفا ، فخرج إليه ملكها أذريقون في جحافة وعليه فاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق فهزمه وغنم مافي معسكره ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتملك بلاد الأندلس بكيا ، قال الذهبي : كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائبا لمولاه موسى بن نصير ، فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس من زقاق سبتة وانهز الفرصة لمكون الفرنج قد اقتتلوا فيما بينهم ، وأمن طارق في بلاد الأندلس فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادريئوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد بهذا للفتح ، وكتب إلى الوليد يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعا بمجيوشه فدخل الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من الجواهر والياقيات والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والأثاث والخيول والبغال وغير ذلك شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجيز أخاه عبد الرحمن إلى الصفد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالا كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورجل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد يؤت بالذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا فيك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عَصَوْا ونَقَضُوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتى .

وفىها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسله يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفى فيها من الأعيان مالك بن أوس بن الحداد النضرى ، أبو سعيد المدنى ، مختلف في صحبته ، قال بعضهم : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله (ص) ولم يحفظ منه شيئا ، وأنكر ذلك ابن معين والبخارى وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل فى التى قبلها فآللّه أعلم . طويس المغنى

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدنى مولى بنى مخزوم ، كان بارعا فى صناعته ، وكان طويلا مضطربا أحول العين ، وكان مشثوما ، لأنه ولد يوم مات رسول الله (ص) ، وفطم يوم توفى الصديق ، واحتم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن على ، وقيل ولد له يوم قتل على . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته فى هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد - وهى على مرحلتين من المدينة - الأخطل - كان شاعرا مطبقا ، فاق أقرانه فى الشعر .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

وفىها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزاة وماسة وغير ذلك . وفىها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية . وفىها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ حنجرة . وفىها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوهُ إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالا وريقا كثيرا على أن يقاتل أخاه ويسلمه إليه ، فانه قد أفسد فى الأرض وبنى على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا يبعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره ، فأقبل قتيبة نصره الله فى الجيوش فلم إليه خوارزم شاه ماصالحه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشا قتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قيل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

فتح سمرقند

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصفد قد آمنوك عامك هذا ، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فانك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريدنا يوماً من الدهر . فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا ! قال فلأن يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبغه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدمهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في ستمائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خنوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم فاقتل المسلمون هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا نفر اليسير واحتزوا رؤوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحملة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المدودين بمائة فارس أو بألف فارس ، فنفلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقترب من المدينة العظمى التي بالصفد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وناصحه من معه عليها من بخارى وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصفد قتلاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصفد : إنما تقتلني باخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . ففضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر المعجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمأها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلثة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه . فلم يلبث أن مات قبعه الله ، فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالمجانيق فثلم أيضاً ثلثة وصعد المسلمون فوقها ، وترامواهم وأهل البلد بالنشاب ، فقالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يملك هذا ونحن نصلحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من القد على أني ألف ومائة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يمتطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من المقاتلة حتى يبنى فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه المنبر - فصلى في المسجد وخطب وتعدى وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالقصر العظيم ، ثم أمر بتحريقها ، فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقتها هلك ، وجاء الملك غورك قهسى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، ققام قتيبة وأخذ في يده شمعة نار وقال : أنا أحرقتها بيدي فكيذبنى جميعاً ثم لا تنتظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف منقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد يزدجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحتكم عليه ، ولكن لابد من جند يقيمون عندكم من جهتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فتلا قتيبة [وأنه أهلك عاداً الأولى ونمود فداً أبني] الآيات ثم ارتحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تحب طينة ختمه ، فان جفت وهو بها فاقطله ، ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكينه فاقطله بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقطله ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هي رجل من جمعي :-

كل يوم يحوى قتيبة نبهاً * ويزيد الأموال مالاً جديداً
باهلي قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصفد بالكنايب حتى * ترك الصفد بالعراة قعودا
فوليد يبكي لفقد أبيه * وأب موجع يبكي الوليدا
كلما حل بلدة أو أناها * تركت خيله بها أخنودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائدة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتي بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يبهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير العساكر وبثها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتي مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجهاز البعوث والسرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجمعوا يفتنحون المغرب بلدآ بلدآ ، وإقليما إقليما ، ويفتنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال وتحف لانهصى ولا تعد كثرة .
وفيهما قحط أهل إفريقية وأجدبوا جدباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير يستسقي بهم ، فما زال يدعوه حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وسب فوق رأسه قرابة من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وأقامه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديد الخوف لا يأمن ، وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صباح المرأة الشكلى ، وكان إذا أتى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حينئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه ورلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعتق وغير ذلك .

وفيهما افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتخبة ، فاقتلوا فبهزمهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتلوا قتلاً شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار محمد بن القاسم فاقتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بفنائم كثيرة وأموال لانهصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك . فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، قد علت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعباً ، لا يترجى المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو والصلح والاولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتنية ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويفنم ، حتى وصل إلى تخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعوه ، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبعث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث لن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولوعاش الحجاج لما أقطع عن بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقي مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم ويجهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبني بها مسلة جامعاً يعبد الله فيه ، وامتلات قلوب الفرنج منهم رعباً . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجهاد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجهاد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها ، بعد هذه الاقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائماً في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتسلطوا أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلداً كثيرة ، وضعف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الاسلام وقل ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوها من أيديهم وطردوهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشيه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية ، فأجمل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفعل ما أمره به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فترل السويداء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أنس بن مالك

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، أبو حمزة

ويقال أبو ثمامة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله .س. ، وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله .س. ، أحاديث جمة ، وأخبر بعلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله .س. المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفي وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن ثمامة قال قيل لأنس : أشهدت بدرآ ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ قال الأنصاري : شهدتها بخدم رسول الله .س. . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أتت به - وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله .س. فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لييب يخدمك ، فوهبته منه قبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كنتاني رسول الله .س. منخلة كنت أجتنبها . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي .س. فسكن البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخلة في الأمر ، وأنه أفتى فيه ، فغتمه الحجاج في عنقه ، هذا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنفه ، ففرغ الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى جامع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فقامت إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله .س. يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله .س. يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله .س. وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله .س. وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويلدك أنيس فداع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالى لكثير حتى نخلى وكرمى ليثمر فى السنة مرتين ، وإن ولدى وولد ولدى ليتعادون على نحو المائة ، وفى رواية وإن ولدى لصلبى مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة وألفاظ منتشرة جداً ، وفى رواية قال أنس : وأخبرتني بنفى آمنة أنه دفن لصلبى إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك فى كتاب دلائل النبوة فى أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل مست يدك كفى رسول الله (س) ؟ قال : نعم ! قال فأعطينها أقبليها ، وقال محمد ابن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المثني بن سعيد الذراع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى رسول الله (س) ، ثم يبكى . وقال محمد بن سعد عن أبى نعيم عن يونس ابن أبى إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله (س) ، وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله (س) ، فأقول : يا رسول الله خوييمك .

وقال الامام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله (س) ، أن يشفع لى يوم القيامة : « قال أنا فاعل ، قلت فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : اطلبني أول ما تطلبني على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة » . ورواه الترمذى وغيره من حديث حرب بن ميمون أبى الخطاب صاحب الأعمش الأنصارى به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله (س) ، من ابن أم سليم - يعنى أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة فى الحضر والسفر . وقال أنس : خذ منى فأنا أخذت من رسول الله (س) ، عن الله عز وجل ، ولست تجده أوثق منى . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقى أحد صلى إلى القبلتين غيرى . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحريرى يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل ، فقال لى : يا ابن أخى هكذا الاحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن فى بعض أبيات أزواج النبي (س) ، تتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعنى بقولى لكم مه . وقال ابن أبى الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال :
انظر أين بلغت السماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن
رسول الله (ص) حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله (ص) . وقال الأنصاري عن ابن عوف
عن محمد قال : بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من النقي فقال أخمس ؟ قال : لا ، فلم يقبله : وقال
النضر بن شداد عن أبيه : مرض أنس فبقي له ألا ندعوك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .
وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت
في القصر مع الحجاج وهو يعرض الناس لي إلى ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي
يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي
نفس الحجاج بيده لا ستأصلنك كما ستأصل الصمغة ، ولأخردنك كما تجرد الضب . قال يقول أنس :
إياي يعني الأمير ؟ قال إياك أعني ، أصم الله سمعك ، قال فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج نخرج
أنس فتبعناه إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي - وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي
الصفار - وخفته عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولكلمته بكلام في مقامى هذا لا يستخفى بعده
أبدآ . وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنسا بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله
لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله (ص) عشر سنين .
فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة
فترضأ وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستحقه . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج
بالغلظة والشدّة ، هم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم
بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة - وكان إسماعيل
صديق الحجاج - فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إياك أعني واستمعي
يا جارة . أردت أن لا يبقى لأحد على منطق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرمة عجب
الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأتلك الله أخيفش العينين ، أفتتل
الرجلين ، أسود العاجزين - ومعنى قوله المستقرمة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ،
ومعنى أركلك أي أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين . وقال
أحمد بن صالح العجلي : لم يبتل أحد من الصحابة إلا لرجلين ، معقيب كان به الجذام ، وأنس بن
مالك كان به وضع . وقال الحميدي عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يلقم لقما عظاماً ، ورأيت به وضحا شديداً . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقا . وقال شعبة عن موسى السنبلاوي قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ، قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي ، وقيل له في مرضه : ألا ندعوك طبيباً ؟ فقال : الطبيب أمرضني ، وجعل يقول : لقنوني لا إله إلا الله وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عَصِيَّة من رسول الله ﷺ ، فأضربها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع ستين ، وقال الامام أحمد في مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمر مائة سنة خير سنة ، قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال علي بن المديني والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، ف قيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق العجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذاك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ ، قلنا لهم : آملوا إلى من سمعه منه .

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، والله أعلم ، وكان مشهوراً بالتغزل المليح البليغ ، كان يتغزل في امرأة يقال لها الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة : -

أبها النكح الثريا سُهَيْلاً * عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمان

ومن مستجاذ شعره ما أورده ابن خلكان :

حي طيفاً من الأحبة زارا * بعد ما برّح الكرى السّمارا

طارقاً في المنام بعد دجى * الليل خفياً بأن يزور نهارا

قلت ما بالنا جُفينا وكنا * قبل ذاك الأسماع والأبصارا

قال : إنا كما عهدت ولكن * شغل الحلي أهله أن يمارا

بلال بن أبي الرداء

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذى بباب الصغير الذى يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الرداء ، لا قبر بلال بن حماسة مؤذن رسول الله (ص) ، فان بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .

بشر بن سعيد

المزنى السيد العابد الفقيه ، كان من العبادة المتقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفى بالمدينة .

زرارة بن أوفى

ابن حاجب العامري ، قاضى البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة فى صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ [فاذا نقر فى الناقور] خر ميتاً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

خبيب بن عبدالله

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له فى ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكى . مات بالمدينة .

حفص بن عاصم

ابن عمر بن الخطاب المدنى ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفى بالمدينة .

سعيد بن عبد الرحمن

ابن عتاب بن أسيد الأموى ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً محمداً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين

فروة بن مجاهد

قيل إنه كان من الأبدال ، أسرمرة وهو فى غزوة هو وجماعة معه فأثروا بهم الملك فأمر بتقييدهم وجبسهم فى المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم فى المضى إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى ما نحن فيه من الضيق ؟ فلمس قيودهم بيده فزال عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فافتتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

أبو الشعثاء جابر بن زيد

كان لا يماكس فى ثلاث ، فى الكرى إلى مكة ، وفى الرقبة يشتريها لتعتق ، وفى الأضحية . وقال : لا تماكس فى شئ يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم ، قلت : كما قيل : -

إني رأيتُ فلا تظنوا غيره * أن التورعَ عندَ هذا الدرهم
فإذا قدرتَ عليه، ثم تركته * فأعلم بأن تقوى المسلم

وقال أبو الشعثاء : لأن أنصدق بدرهم على يقيم ومسكين أحب إلى من حجة بعد حجة الاسلام .
كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يفتى في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله
إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :
يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفتن إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك
إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بفنيان من جابر
ابن زيد . وقال إلياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال
قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار
قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء أنا أحدم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء
منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : نظرت في أعمال البر فاذا الصلاة تجهد
البدن ولا تجهد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من
ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان
كلامه به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف
على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من
دعائك ورغب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر
ابن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأنا ذات يوم وعليه نملان خلقان ، فقال : مضى من عمري ستون
سنة نملاي هاتان أحب إلي مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر
ابن زيد إذا وقع في يده ستوق كسره ورمى به لثلا يفر به مسلم . الستوق الدرهم المغاير أو الدغل
وقيل : هو المشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمي حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر
ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة
صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به
وقال مالك بن دينار : سألته عن قوله تعالى [إذاً لأذقنك ضعف الحياة و ضعف الممات] قال
ضعف عذاب الدنيا و ضعف عذاب الآخرة [ثم لا تجد لك علينا نصيرا] وقال سفيان : حدثني
أبو عمير الحارث بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ما تشتهي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى
الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما نقل على جابر بن زيد قيل له : ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليه ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقصدوني ،
فجلس فما زال يقول : أعوذ بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي
صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان أياضياً ، فقالت :
كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً يقربني
إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدي عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الأباضية
قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من
الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبل إنه فتح انطاكية ، وغزا أخوه عبد العزيز بن
الوليد فبلغ غزاة ، وبلغ الوليد بن هشام المصيطى أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض
سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام ، وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندرة من أرض الروم . وفيها
فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه
حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزاه
الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ
خجندة ، وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد
يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك
فقاتلهم قتيبة عند خجندة فكسروهم مراراً وظفر بهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأسر
آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سحبان وائل يذكر قتالهم بخجندة
التي هي قرية من بلاد الصين أبيتاً في ذلك : -

فسل الفوارس في خجندة * دة نحت مرهفة الموال
هل كنت أجهم إذا * هزموا وأقدم في قتالي
أم كنت أضرب هاماً لا * مائي وأصبر للزال
هذا وأنت قريب قدي * من كلها ضخم النوال
وفضلت قيساً في الندي * وأبوك في الحجج الخوالى

تمت مروءتكم ونا * غي عزكم غلب الجبال
ولقد تبين عدل حككم * فيهم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة . وقد ذكرنا ما أورده ابن الجوزي في منظمه أن سحبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسين فآله أعلم .

مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن الحجاج كان قد جمعه على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رتبيل ملك الترك ، فلما خلمه ابن الأشعث خلمه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب سعيد بن جبير إلى إصهان ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب منها ، ثم كان يعتمر في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن ولها خالد بن عبد الله القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن جيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمر بن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق فات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قال له : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ! ألم أستمك ؟ ألم أفعل ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فما حملك على الخروج عليّ وخلعت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم عليّ ، فغضب عند ذلك الحجاج غضباً شديداً وانتفخ حتى سقط طرف رداءه عن منكبه ، وقال له : ويحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخذت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟ قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له ثانية ؟ قال : بلى ! قال فتنك بيعتين لأمر المؤمنين وتني بواحدة للعائك ابن الحائك ؟ يا حرسى اضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحوه هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت أما فعلت .

قال ابن جرير : فحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سعيد بن جبير فندر رأسه هلل ثلاثا ، مرة يفصح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شيخ يقول : لما أتى الحجاج بسعيد بن جبير قال : لعن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبيت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سعيد ما أخرجك علي ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم غاوده في شيء فقال سعيد : إنما كانت بيعة في عنقي ، فغضب عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الافطس قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز ، فقال : والله لأأركب حتى تتبوا مقعدك من النار ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سعيد ، فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لأقتلنك قال : إني إذا لسعيد كما سمعتي أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عدو الله فم قتلتني ؟ فيقول الحجاج : مالي وسعيد بن جبير ، مالي وسعيد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سعيد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفيا أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتيا ، فلما عمى ابن عباس كتب ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتله كنحو ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل ب ستة أشهر . وذكر عن الإمام أحمد أنه قال : قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسأني في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسندكر طرفا صالحا هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستقضى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وحج بالناس فيها العباس بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جبر ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكيم ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سعيد بن جبير الأسدي الوالي مولا لم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، الكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمه تامة ، وكان يقعد في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختم ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونهفناً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفیان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه . وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر [الحجاج] هرب سعيد إلى اصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان فحدث بها ، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مخفياً من الحجاج قريباً من ثلثي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لا تقتلك ، قال : أنا إذاً كما سمعتني أمي سعيداً ! قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال : إني أستعيز منك بما استعازت به مريم ، قال : وما عازت به ؟ قال : قالت [إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً] قال سفیان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لا بدلك بالدينا ناراً تظلي ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لا اتخذتك إلهاً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، فقال : [أينما تولوا فثم وجه الله] فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى] فقال : اذبح فما أنزعه لا آيات الله منذ اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بعدى . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير ، أحسنه هذا والله أعلم ^(١)

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صمة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد عوقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سند كرواته في السنة الآتية ، قليل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر والله أعلم .

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل ، قليل تسماً وأربعين سنة ، وقيل سبعاً وخمسين لله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - لله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذكر له ، وإن كثرت منه التسيب وتلاوة القرآن . قيل له : من أعبد الناس ؟ قال : رجل اقترف من الذنوب ، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله ، وقال له الحجاج : ويلك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضربوا عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى أفاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله ، فذبح من قفاه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأتين منه فمات . وقال سعيد للحجاج لما أمر بمقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك ^(٢)]

سعيد بن المسيب

ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدنف ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد لسنتين مضتا وقبل بقينا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مضين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك العشرة وهم منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي (ص) ، وروى عن عمر كثيراً ، قليل سمع منه ، وعن عثمان وعلى وسعيد وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق ممن سوامه ، قال ابن عمر : كان سعيد أحد المتقين ، وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره ، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم . فالتفت أعلم من سعيد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري ومكحول من

أفقه من لقيتما؟ قالاً: سعيد بن المسيب. وقال غيره: كان يقال له فقيه الفقهاء. وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب: كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد، قال مالك: وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال: إرسال سعيد بن المسيب عندنا حسن. وقال الإمام أحمد بن حنبل هي صحاح: قال: وسعيد بن المسيب أفضل التابعين. قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، وإذا قال سعيد مضت السنة فحسبك به، وهو عندى أجل التابعين. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: كان سعيد رجلاً صالحاً فقيهاً، كان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعائة دينار، وكان يتجر في الزيت، وكان أعور. وقال أبو زرعة: كان مدنياً ثقة إماماً. وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة، قال الواقدي: توفي في سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، عن خمس وسبعين سنة، رحمه الله.

وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا، والكلام فيما لا يعني، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع، فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وقال برد مولاة: مانودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد. وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة. وقال سعيد: لا تملؤا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة. وقال: ما يؤس الشيطان من شيء إلا أنه من قبل النساء. وقال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها إلا بمعصية الله تعالى. وقال: كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله. وقال: من استغنى بالله افتقر الناس إليه. وقال: الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها. وقال: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذبي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه. وقال: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدباً وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص)، وأعرفهم بحق الزوج - وكان فقيراً، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل: بعشرين ألفاً، وقال: استغنى هذه. وقصته في ذلك مشهورة، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك، ضربه نائبه على المدينة هشام بن

إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف ففضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رأته امرأة فقالت : ماهذا الخزى ياسعيد ؟ فقال : من الخزى فررنا إلى ماثرين ، أى لو أحببناهم وقعنا فى خزى الدنيا والآخرة . وكان يجمل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم فى وفهم ، وأصل منه رحى ، وأودى منه الحقوق التى فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم .

طلق بن حبيب العنزي

تابعى جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس ، وهو من أقزانه وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان بمن خرج مع ابن الأشعث ، وكان يقول تقووا بالتقوى ، ف قيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هى العمل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصي ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شئ يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلا ، ويقول : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك : قتله الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير فيما سبق أن خالد بن عبد الله القسرى بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فأت طلق فى الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

عروة بن الزبير بن العوام

القرشى الأسدى أبو عبد الله المدنى ، تابعى جليل ، روى عن أبيه وعن العبادلة ومعاوية والمنيرة وأبى هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن سوام . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالما مأمونا ثبتاً . وقال المعلى : مدنى تابعى رجل صالح لم يدخل فى شئ من الفتن . وقال الواقدى : كان فقيهاً عالماً حافظاً ثبتاً حجة عالماً بالسير ، وهو أول من صنف المغازى ، وكان من قهواء المدينة المحدثين ، ولقد كان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه ، وكان يروى الناس للشعر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، لذى حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسطان يتحفه بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه لهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز . وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الرطب ينثم حائطه للناس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الرطب أعاده ، وقال الزهرى : كان عروة بجراً لا يتزف ولا تذكره الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله ، وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكان من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف به عز وجل ، ولكن هلموا فاقطعوها فقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغله بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فسات ، فدخلوا عليه فعزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعظيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت] قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذلك ، فواصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع به الأطباء العارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكلت رجله كلها إلى وركه . وربما ترقّت إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا تسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لا بد فاعلمين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فاقى لأحس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المكان الحى ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلى ، فما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبه إليهم ، فدخل دار الدواب ففرسته فرس فسات ، فأنوه فعزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عافيت ، واثن كنت قد أخذت فطلالما أعطيت . فلما قصى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شكاً ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذي أصابته الأكلة فيه قال : [لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في رجله وولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنوب عظيم أحده . فأنشد عروة في ذلك والأبيات لمعن بن أوس : -

لعمرك ما أهويت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قاذني ممعي ولا بصري لها * ولا دلني رأبي عليها ولا عقلي
ولست بماشي ماحيت لمنكر * ومن الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثر نفسي على ذى قرابة * وأؤثر ضيفي ما أقام على أهلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة * من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي

وفي رواية : اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة فقامت ولم يمسه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلي صلاة خفيفة فدعاه فقال : يا أخي أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسأل الله في صلاتي حتى أسأله الملح . قال عروة : رب كلمة ذل احتملتها أو رثتني عزاً طويلاً . وقال لبنيه : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية [ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله] حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم [(١)] .

قيل إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين فالحق أعلم .

﴿ علي بن الحسين ﴾

ابن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزين العابدين ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمصور بن مخزومة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاووس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلمة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان : كانت أم سلمة بنت يزجرد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزنجشري في ربيع الأبرار أن يزجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن عمر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكلهم بنو خالة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتيبة بن مسلم فيروز ابن يزجرد بعث بابنتيه إلى الحجاج فأخذ إحداها وبعث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سنديّة ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاه ، فاستبقى لصغره ، وقيل لمرضه ، فانه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقد تم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا ففعله الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بعثهم إلى المدينة ، وكان على بالمدينة محترما معظما . قال ابن عساکر : ومسجده بدمشق المنسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالناحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطرار القراطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أروع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبدهم وأتقاهم الله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يخطر بيده ، وكان يعم بعمامة بيضاء يرخيها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا ، وأمّه غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زييد فولدت له عبد الله بن زييد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هاشمي أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام ، فابرح بنا جبكم حتى صار علينا عاراً . وفي رواية : حتى بفضمتونا إلى الناس . وقال الأصمعي : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلي بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو اتحدت السرارى يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السرارى فولدت له وكثر نسله ، ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين شئ مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :
 أصبح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه احترق البيت
 الذي هو فيه وهو قائم يصلي ؛ فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن
 هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فاذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، فقل
 له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولن أناجي ؟ ولما حج أراد أن يلبي فارتعد وقال :
 أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك ، فشجوه على التلبية ، فلما لبي غشى عليه
 حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند
 الحجر يقول : عبيدك بفنائك . سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله مادعوت بها في
 كرب قط إلا كشف عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفي غضب
 الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ،
 فلما مات علي بن الحسين قدموا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات
 وجدوا في ظهره أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان
 يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة
 ابن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، قال : وكم هو ؟ قال خمسة عشر
 ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر
 وعمر من رسول الله (ص) ، في حياته بمنزلة ما منه بعد وفاته . ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه
 - يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل : إياك أغنى ، فقال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد
 فسبّه رجل فانتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنك من عيو بنا
 أكثر ، ألك حاجة نعمينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خيصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،
 فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختصم علي بن الحسين وحسن
 ابن حسن - وكان بينهما منافسة - فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي
 ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً يغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً يغفر الله لك
 والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصلحه . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا
 لنفسه قدراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : فقد الأجابة غربة ، وكان
 يقول : إن قوباً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار ،
 وآخرون عبدوه محبة وشكراً فتلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لاتصحب فاسقاً فإنه

يبيئك بأكلة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلا فانه يخذلك في ماله أحوج ماتكون إليه ، ولا كذابا فانه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا قاطع رحم فانه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : [فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم]

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس فأنت تخطى حلق أهل العلم وقرش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث ينتفع ، وإن العلم يطلب حيث كان . وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أنتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ قلت : ماتصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق -

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زر بن عبيد (١) قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا العلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله (ص) فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقده إلى جنبه ، ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جداً أورده ابن عساكر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أفه منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله (ص) درهما قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : أنبا علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردّها ، فأبعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخذها فقد طيبتها لك ، فقبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة

قيل لى فاذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبجل ، وأبجل وأبجل . وذكروا أنه كان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإني رأيت بضعة عشر من أهل بيتي يذبجون في غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلى بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الأبريق من يدها على وجهه فشجبه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول [والكاظمين الغيظ] ، فقال : قد كظمت غيظي ، قالت [والعافين عن الناس] فقال : عفا الله عنك . فقالت [والله يحب المحسنين] قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فقالوا منهما ، ثم ابتدؤا في عثمان فقال لهم : أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين [أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله] ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين [تبتؤوا الدار والابنان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم] ؟ قالوا لا ! فقال لهم : أما أنتم فقد أقررتهم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم [والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا] الآية ، فقوموا عني لا بارك الله فيكم ، ولا قرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالاسلام ، ولستم من أهله . وجاء رجل فسأله متى يبعث علي ؟ فقال : يبعث والله يوم القيامة وتهمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحلته . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوى شيئاً في التنور على رأس صبي لعلى بن الحسين فقتله ، فنهض علي بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تتعمد ، أنت حر ، ثم شرع في جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان علي بن الحسين يقول : ما يسرني أن لي بنصيب من النل حمر النعم : ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل إسرافه ، فقال له علي بن الحسين : إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاععة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : قارف الزهري ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله . فلما اجتمع لعلى بن الحسين قال له : يا زهري قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم من ذنبك ، فقال الزهري : [الله أعلم حيث يجعل رسالته] وفي رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره علي بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهرى يقول : على بن الحسين أعظم الناس على منة .

وقال سفيان بن عيينة كان على بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أو شك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم ، وما اصطحب اثنان على معصية إلا أو شك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له وأعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء خميصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ويتلو قوله تعالى [قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق] .

(وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجري وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستله تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبه واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه - استنقاصاً به واحتقاراً لثلاثي يرغب فيه أهل الشام - فقال الفرزدق - وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول :

هذا الذى تعرفُ البطحاء وطأته * والبيتُ يعرفهُ والحلُ والحرمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلهم * هذا التقى النقي الطاهر العلمُ
إذا رأته قریشٌ قالَ قائلها * إلى مكارمِ هذا ينتهى الكرمُ
يُنمى إلى ذروة العزِّ التي قصرت * عن نيلها عربُ الأسلام والعجمُ
يكادُ بمسكه عرفان راحته * ركنُ الحطيم إذا ماجاء يستلمُ
يُغضى حياءً ويُغضى من مهابته * فما يكلمُ إلا حينَ يبتسمُ
بكفه خيزرانٌ ريمها عبق * من كفِ أروع في عرينه فحمُ
مشتقة من رسول الله نبعه * طابت عناصرها والخيمُ والشيمُ
ينجاب نور الهدى من نور غرته * كالشمسِ ينبجأ عن إشراقها الغيمُ
حال أقفال أقوام إذا فدحوا * حلوا الشامل تحلو عنده نعمُ
هذا ابنُ فاطمة إن كنت جاهله * بحمدِ أنبياء الله قد ختموا
من جدم دان فضلُ الأنبياء له * وفضلُ أمتِه دانت لها الأممُ

عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْأَحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ * عَنْهَا الْغَوَايَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ
 كَلَّمْنَا يَدَيْهِ غِيَاثَ عَمٍّ نَفَعَهَا * يَسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا الْعَدَمُ
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تَخْشَى بَوَادِرَهُ * يَزِينُهُ اثْنَتَانِ الْحُلْمُ وَالْكَرَمُ
 لَا يَخْلِفُ الْوَعْدُ مَيْمُونٌ بِغَيْبَتِهِ * رَحْبُ الْفَنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
 مِنْ مَعْشَرٍ جَبَّهَمُ دِينَ وَبَفَضَهُمْ * كَفَرُوا قَرِيبَهُمْ مَنْجَى وَمَعْتَصِمُ
 يَسْتَدْفَعُ السُّوءَ وَالْبُلُوْى بِجَبِّهِمْ * وَيَسْتَرَاذُ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّعْمُ
 مُقَدِّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ * فِي كُلِّ حِكْمٍ وَمُخْتَوِّمٌ بِهِ الْكَلَمُ
 إِنَّ عَدَا أَهْلَ التَّقَى كَانُوا أَتَمَّهُمْ * أَوْقِيلُ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَهُمْ
 لَا يَسْتَطِيعُ نَجَاجُهُ بَعْدَ غَايَتِهِمْ * وَلَا يَدَانِيَهُمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
 هُمْ الْغِيُوْثُ إِذَا مَا أَزْمَتْ أَزْمَتُ * وَالْأَسَدُ أَسَدُ الشَّرِّ وَالْبَاسُ مُحْتَدِمُ
 يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ * خِيَمَ كَرَامَ وَيَدٌ بِالْمَدَى هَضْمُ
 لَا يَنْقُصُ الْعَدَمُ بَسْطًا مِنْ أَكْفَهُمْ * سَيَانُ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدَمُوا
 أَيْ الْخَلَائِقُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ * لِأَوَّلِيهِ هَذَا أَوَّلُهُ نَعْمُ
 فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بِضَائِرُ * الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتْ وَالْعَجَمُ
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا * فَالِدَيْنِ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

قال : فغضب هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بعسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك
 على بن الحسين بعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله
 عز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله (س) ، في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء .
 فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صدق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها
 فتقبلها منه ثم جعل يهجو هشاماً وكان مما قال فيه :

نحبسني بينَ المدينةِ والتي * إليها قلوبُ الناسِ نهوى منيها
 يقلبُ رأساً لم يكن رأسَ سيدي * وعينينِ حولَ الوينِ بادٍ عيوبها
 وقد رويانا عن علي بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنازة يقول هذين البيتين :
 نراعُ إذا الجنائزُ قابلتنا * ونلهو حينَ نَمْضِي ذاهباتِ
 كروعةٍ ثلثةٍ لمغارٍ سُبُعٍ * فلما غابَ عادتِ راقعاتِ
 وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن

الزهري قال سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه : -

يا نفس حتام إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارنها ركونك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك
ومن وارته الأرض من ألافك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلى الثرى من أقرانك ؟ فهم
في بطون الأرض بعد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم * وساقهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها * وضمهم تحت التراب الحفائر
كم خرمت أيدى المنون من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلاتها ، وغيت في ترابها ،
من عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأماس ، ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الافلاس : -

وأنت على الدنيا مكب منافس * لخطابها فيها حريص مكابر
على خطر تمشى وتصبح لاهيا * أتدرى بماذا لو عقلت تخاطر
وإن امرأ يسعى لدنياً دائماً * ويذهل عن أخراه لاشك خاسر
فحنام على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد خطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما
يراد بك ساه وبلذة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن اللهو واللذات للمرء زاجر
أبعد اقتراب الأربعين تربص * وشيب قذال منفر للكابر
كأنك معنى بما هو ضار * لنفسك عدداً وعن الرشدر حار

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف اختطفهم عقبان الأيام ، ووافهم الحمام ، فامتحت
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا رمما في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،
أمسحوا رمياً في التراب وعطلت * مجالسهم منهم وأخلى مقاصر
وحلوا بدار لا تزاور بينهم * وأنى لسكان القبور التزاور
فأأن ترى الا قبوراً قد ثووا بها * مسطحة تسفى عليها الأعاصر
كم من ذى منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ماتمناه ، وبنى فيها
القصور والداكر ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح السرارى والحرائر .

فأصرفت كف المنية إذ أتت * مبادرة نهوى إليه الذخائر
ولادفعت عنه الحصون التى بنى * وحف بها أنهاره والداكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة * ولا طمعت في الذب عنه العساكر
أنام من الله ما لا يرد ، ونزل به من قضائه ما لا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز
القهار ، قاصم الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لعه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

مليك عزيز لا يرد قضاءه * حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
 عنى كل ذي عز لعزة وجهه * فكم من عزيز للهمين صاغر
 لقد خضعت واستسلمت وتضاءلت * لعزة ذي العرش الملوك الجبار
 فالبدار البدار والحدار الحذار من الدنيا وما كايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، ونحلت لك من
 زينتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتها وهلكاتها ،
 وفي دون ما عاينت من فجاعتها * إلى دفعها داع وبالزهد أمر
 فجد ولا تغفل وكن متيقظاً * فما قليل يترك الدار عامر
 فسر ولا تغتر فعمرك زائل * وأنت إلى دار الإقامة صائر
 ولا تطلب الدنيا فان نعيمها * وإن نلت منها غبه لك ضار
 فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فناها ، وغير طامع في بقائها ،
 أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع في جميع أموره الممات .
 ألا لا ولكننا نفر نفوسنا * وتشغلنا الذات عما نحاذر
 وكيف يلذ العيش من هو مؤقت * بموقف عليل يوم تبلى السرائر
 كأننا نرى أن لا نشور وأنتا * سدى مالنا بعد الممات مصادر
 وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع
 فجائتها ، وكثرة عذابه في مصابها وفي طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها
 أما قد نرى في كل يوم وليلة * بروح علينا صرفها ويباكر
 تعاورنا آفاتنا وهمومها * وكم قد ترى يبق لها المتعاور
 فلا هو مغبوط بدنياء آمن * ولا هو عن تطلباها النفس قاصر
 كم قد غرت الدنيا من مغلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تنعش من عثرته ، ولم تنقذ
 من صرعه ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه . ولم تخلصه من وصه
 بل أوردته بعد عز ومنعة * موارد سوء ما هن مصادر
 فلما رأى أن لا نجاة وأنه * هو الموت لا ينجيه منه التعاذر
 تندم إذ لم تغن عنه ندامة * عليه وأبكته الذنوب الكبار
 إذ بكى على ماسلف من خطاياها ، وتحسر على ما خلف من دنياء ، واستغفر حتى لا ينفعه
 الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنية ونزول البلية .

أحاطت به أحزانه وهمومه * وأبلس لما أعجزته المقادر
 فليس له من كربة الموت فارج * وليس له مما يحاذر ناصر
 وقد جشأت خوف المنية نفسه * ترددها منه الله والخناجر
 هنالك خف عواده ، وأسلمه أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالعويل ، وقد أيسوا من العليل ،
 فقمضوا بأيديهم عينيه ، ومد عندخروج روحه رجله ، وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق
 فكم موجع يبكي عليه مفعج * ومستنجد صبراً وما هو صابر
 ومسترجع داع له الله مخلصاً * يمدد منه كل ما هو ذاكر
 وكم شامت مستبشر بوفاته * وعما قليل للذي صار صار
 فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها إناؤه ، وأعول لفقده جيرانه ، وتوجع لرزقته إخوانه ،
 ثم أقبلوا على جهازه ، وشمروا لأبرازه : كأنه لم يكن بينهم العزيز المفدى ، ولا الحبيب المبدى .
 وحل أحب القوم كان بقربه * بحث على تجهيزه ويبادر
 وشمر من قد أحضروه لغسله * ووجه لما فاض للقبر حافر
 وكفن في ثوبين واجتمعت له * مشيعة إخوانه والعشار
 فلو رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت
 الدموع عينيه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه وأحبابه : -

لعاينت من قبح المنية منظراً * يهال لمراة وبرناع ناظر
 أكابر أولاد بهيج اكتئابهم * إذا ماتت نساء البنون الأصغر
 وربّة نسوان عليه جوارع * مدامعهم فوق الحدود غوارع
 ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللبن ، احتوشته أعماله
 وأحاطت به خطاياها ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه
 والانتحاب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب
 فولوا عليه معولين وكلمهم * لمثل الذي لاقى أخوه محاذر
 كشاء رناع آمنين بدا لها * بمدينه يادى الذراعين حاسر
 فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت * فلما نأى عنها الذي هو جازر
 عادت إلى مرعاها ، ونسيت مافى أختها دهاها ، أقبأفعال الأنعام اقتدينا ؟ أم على عاداتها جرينا ؟
 عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .
 نوى مفرداً في لحدّه وتوزعت * موارثه أولادّه والأصاهر

وأخزوا على أموالهم يقسمونها * فلا حامدٌ منهم عليها وشاكرٌ
 فيا عامرَ الدنيا وياساعياً لها * ويا آمتاً من أن تدورَ الدوائرُ
 كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائرٌ إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي مطينك إلى
 مماتك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظرٌ حمامك ؟ أم كيف تنها بالشهوات ، وهي مطية الآفات
 ولم تنزودَ للرحيلِ وقد دنا * وأنت على حالٍ وشيكٍ مسافرٌ
 فيالمف نفسي كم أسوفُ توبتي * وعمرى فإن والردى لى ناظرٌ
 وكل الذى أسلفت فى الصحف منبت * يجازى عليه عادلُ الحكم قادرٌ
 فكَمْ ترفع بآخرتك دنياك ، وتركب غيك وهواك ، أراك ضعيف اليقين ، يامؤثر الدنيا على الدين
 أبهذا أمرك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ، وشر المسآب
 أما تذكر حال من جمع ونهر ، ورفع البثناء وزخرف وعمر ، أما صار جمعهم بوراً ، ومساكنهم قبوراً :
 تخرب ما يبقى وتعمر قانياً * فلا ذاك موفور ولا ذاك عامرٌ
 وهل لك إن وافتك حنك بفتة * ولم تكسب خيراً لدى الله عاذرٌ
 أنرضى بأن تنفى الحياة وتنقضى * ودينك منقوص ومالك وافرٌ

وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين ، زين العابدين ، فالمشهور عن
 الجمهور أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلى
 عليه بالقيع ، ودفن به ، قال الفلاس : مات على بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائني
 فى قوله : إنه توفى سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على بن الحسين ،
 وقد رأيت له كلاماً متفرقاً وهو من جيد الحكمة ، فأحببت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :
 قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبي جعفر عن على بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض
 أشرو بطر ، ولا خير فى جسد يأشرو بيطر . وقال أبو بكر بن الانبارى : حدثنا أحمد بن الصلت
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوى حدثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال على بن الحسين : قد
 الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فى لواحق العيون علانيتي ، وتقبح فى خفيات
 الغيوب سريرتي ، اللهم كما أسأت وأحسنيت إلى ، فاذا عدت فعد إلى . اللهم ارزقني مواساة من
 قنرت عليه رزقك بما وسعت على من فضلك . وقال لابنه : يا بني اتخذ ثوباً للغانط فاني رأيت الذباب
 يقع على الشيء ثم يقع على الثوب . ثم انتبه فقال : وما كان لرسول الله (س) ، وأصحابه إلا ثوب واحد ،
 فرفضه . وعن أبي حمزة الثمالي قال : أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أصوت فقدمت على

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لى ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حمزة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين فاذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في اتجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئييباً حزينا على الدنيا ! فهي رزق حاضر يأخذ منها البرء الفاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ؟ فهي وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، فقلت : ما علي هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فمعلام حزئك ؟ فقلت : ما أخوف من الفتنة - يعني فتنة ابن الزبير - فقال لى : يا علي ! هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لى : يا علي إن هذا الخضر الذى جاءك لفظ الخضر مراد فيه من بعض الرواة .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا حماد بن عمر بن حارث . قال : لما مات على بن الحسين فغسلوه جملاً ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ماهذا ؟ فقيل : كان يحمل جُرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرح حتى مات على بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائى أن على بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبراني : حدثنا يحيى بن زكريا الغلابي حدثنا العتيبي حدثني أبي . قال قال على بن الحسين - وكان من أفضل بنى هاشم الأربعة - يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تخيب أخاك إلا في الأمر الذى مضته عليك أكثر من منفعتك لك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فهض فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فعزوه وتعجبوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت نطيع الله عز وجل فيما نحب ، ونحمد الله على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جهل علينا حملنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسى إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادى مناد : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن معصية الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادى المنادى : ليقم جيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتنلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : بم استحققتم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيقولون : كنا نزاور في الله ، ونتجالس في الله ، وتبازل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنوب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاة ؟ قال : يخاف جباراً غنيماً أن يسطو عليه وأن يطفى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أحداً أروع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا ! قال : ما رأيت أروع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله (ص) ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجحد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجحد الاطعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعقل من لم يجحد الهدى وصوم جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخنطة . وأما الذي صاحبها بالخيار فصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبها بالخيار . فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحي ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان . وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرم ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا باذن صاحبه ، قال رسول الله (ص) : « من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر » وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين ، فإن صام في السفر والمرض فعليه القضاء [(١)]

أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاختوة كثير، وهو تابعي جليل، روى عن عمار وأبي هريرة وأسامة بنت أبي بكر، وعائشة وأُم سلمة وغيرهم، وعنه جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر، ومولاه سمى، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز، وعمر بن دينار، ومجاهد، والزهرى. ولد في خلافة عمر، وكان يقال له راهب قريش، لكثرة صلاته، وكان مكفوفاً، وكان يصوم الدهر، وكان من الثقة والأمانة والفقہ وصحة الرواية على جانب عظيم، قال أبو داود: وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده في طست لعة كان يجدها. والصحيح أنه مات في هذه السنة، وقيل في التي قبلها، وقيل في التي بعدها. والله أعلم.

قلت: ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال: -

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * قسمته جبراً عن الحق خارجه

نغذم عبيد الله عروء قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وفيها توفي الفضل بن زياد الرقاشي، أحد زهاد أهل البصرة، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً، قال: لا يلهينك الناس عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت، فإنه محفوظ عليك ما قلت. وقال: لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنوب قديم.

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى، كان أحد فقهاء المدينة، وكان إماماً علماً، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان واسع العلم. توفي بالمدينة.

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي، له روايات كثيرة، وكان علماً، وخلف كتباً كثيرة من علمه، روى عن جماعة من الصحابة، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج.

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمه، قاضى مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته، كان علماً فاضلاً، روى الحديث وعنه جماعة [١].

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم، وافتتح حصوناً كثيرة. وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم، ثم حرقها ثم بنائها بعد ذلك بعشر سنين، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولينا^(٢) من بلاد الهند، وأخذ منها أموالاً جزيلة، وفيها قسم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل تحمل من كثرتها، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبي، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء:

(١) زيادة من المصرية. (٢) كذا ولعلها (المتان).

لعمري لنعم المرة من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقتُ الحبال
فان تحي لأملك حياتي وإن تبت * فما في حياتي بعد موتك طائل

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويعده على ذلك ويميزه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتال أهل الكفر والعداء . وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج الخامس ، وقيل لثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الواضي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس .

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته *

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن دعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن قتيبة ، وهو قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، أبو محمد الثقفي ، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البناني ، وحيد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجالد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساكر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكي من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله (ص) إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بحديث حسن عن رسول الله (ص) ؟ قلت : بلى ! فقال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول الله (ص) : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفروضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسانيد والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها لتخرج ما فيها من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت الغداء إنك لرعينة دنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من البارحة إنك لقنطرة فطلعتها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكر ، ولكنني باكرت ما تباكره الحرة من السواك ، فبقيت شظية في فمي منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فانها خليلة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقبل له في النوم : ما أسرع ما ألقحت بالمبير .

قال ابن خلكان : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلفة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عند هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف ، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله وإنما فعله أنت ، فان يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبديل الغلام غلامين ، ولا تكسرنى في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده . قال : وبني واسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك قال : وفي أيامه تقطت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليباً ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتق له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدى ثم دم صالح ولطخ وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطخ به وجهه ، ويقال إن أمه هي المتنبية لنصر بن حمّاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه رهيق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرّمها الله بأدنى شبهة ، وكان يفضض غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سليم بن عذر التجيبي قاضي مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يختم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها .

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عذر هذا فتهض إليه أي

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ! تسأله أن يعزلي عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من نجيب وأنت ثقي ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ماعلى أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونهم ويخرجون عليه ويبغضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجهة عند الخليقة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك ،

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً لبياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني : ذكر سليمان بن أبي منيخ عن صالح بن سليمان قال قال عقبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقام للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفربه في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إirاده مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجزت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخر مما وقع له من الأمور والجرأة والاقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يندم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره : فروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن كثير بن أخى إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بجانب سعيد بن المسيب - وذلك قبل أن يلى شيئاً - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سعيد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سعيد ذكره ، ثم أقبل عليه سعيد

فقال له : يا سارق يا خائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج فخشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ! قال : تجزأك الله من معلم ومؤدب خير آ ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى . وروى الرياشي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخى أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فترع طاعة الله واستكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك ألحد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان برأ بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله (س) : « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » . ورواه أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد عن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله (س) : « نهى عن المثلة . وسمعت يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيته ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبأ يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يمز بها في ابنها : سمعت رسول الله (س) يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعني المختار - وأما المبير فأنت . وتقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد رواه غير أسماء عن النبي (س) ، فقال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيي ، ثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله (س) : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرد به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، فقال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ص » أن في ثقيف مبيرا وكذابا ، وأخرجه الترمذى من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعى : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتل ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسل عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جرير عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : إني ابن الزبير غير كتاب الله ، فقال ابن عمر : ماسلطة الله على ذلك ، ولا أنت معه ، ولو شئت أقول : كذبت لفعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حلك على ذلك ؟ فقال : إنما نجى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفتق ماشئت بعد من تفتقه .

وقال الاصمعى : سمعت عوى يقول : بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقسم المدينة لثى شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشر حال ، قتل ابن حواري رسول الله ص ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أتعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : ستعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة . فلما تحقق الشيخ الجد قال : والله إن هذا هو المعجب بالحجاج ، لو كنت تعرفنى ما قلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شئى الله إلا بعد من جنونه ولا عاقبه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبي رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكنه من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما فى صدرى على آل الزبير منذ تزوجت^(١) رملة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج مرة فمر بين مكة والمدينة فأتى بغداداً فقال لحاجبه :

(١) كذا بالأصول والظاهر أن فى مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يأكل معي ، فذهب فاذا أعرابي قائم فضر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تقدم معي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حرًا منه ، قال : فأفطر وصم غدا ، قال : إن ضمننت لي البقاء لغد . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلا بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طعامنا طعام طيب ، قال : لم تطيبه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته العافية

فضيلة الأعرابي

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخطبته إليهم بغتة ، وتهديده ووعيده إليهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضابي ، وكذلك قتل كميل بن زياد صبرا ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعباد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير . قال القاضي المعافي زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد الكلبي ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجماجم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم ، والعصب والمسامع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الاسباح والامخاخ ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتفع فعشش ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم نفاقاً وشقاقاً ، وأشعركم خلافاً ، اتخذتموه دليلاً تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤتمناً تشاورونه وتستأثرونه ، فكيف تنفعم تجربة ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسنتم أصحابي بالأهواز حيث منيتم المكر واجتمعتم على الغدر ، وافقتم على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً ، وتهزمون سراعاً . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ، ونكوس قلوبكم إذ وليتم كالأبل الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيهِ ، حين عضكم السلاح ، ونحمتكم الرماح . ويوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم ، بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، وينهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والغدران بعد الخلدان ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثناكم إلى نفوركم غلام وختم ، وإن أمتنتم أرجتم ، وإن ختمنا فاقتم ، لا تذكرن نعمة ، ولا تشكرون معروف ، ما استخفكم ناكث ، ولا استغفواكم غاو ، ولا استنقذكم عاص ، ولا استنصركم ظالم ، ولا استعصمكم خالغ ، إلا لبيتم دعوته ، وأجبت صيحته ، ونفرت إليه خفافاً وثقالاً ، وفرساناً ورجالا . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو زفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ألم يشدد الله عليكم وطاته، وينذكم حر سيفه، وأليم بأسه ومثلاته؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الراحع عن فراخه ينفي عنها القذر، ويباعد عنها الحجر، ويكفها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذباب. يا أهل الشام! أنتم الجنة والبرد، وأنتم الملاة والجلد، أنتم الأولياء والأنصار، والشعار والدثار، بكم يذب عن البيضة والحوزة، وبكم ترمى كتائب الأعداء ويهزم من عائد وتولى.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التيمي قال: كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لسنا - : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأمشاهم على ظهرها، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وهاككوها بالمساحي والمرور، ثم أدال الله الأرض منهم فدرهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها، وقطعتهم في جوفها وفرقت أوصالهم كما هتكوها بالمساحي والمرور.

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ: الرجل وكلكم ذاك الرجل، رجل خطم نفسه وزمها فقارها بخطامها إلى طاعة الله، وكفها بزمامها عن معاصي الله، رحم الله امرأاً رد نفسه، امرأاً أتهم نفسه، امرأاً اتخذ نفسه عدوة، امرأاً حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرأاً نظر إلى ميزانه، امرأاً نظر إلى حسابه، امرأاً وزن عمله، امرأاً فكر فيما يقرأ غداً في صحيفته وبراها في ميزانه، وكان عند قلبه زاجراً، وعند همه امرأاً، امرأاً أخذ بمنان عمله كما يأخذ بمنان جملة، فان قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كف، امرأاً عقل عن الله أمره، امرأاً فاق واستفاق، وأبغض المعاصي والتفان، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول امرأاً امرأاً، حتى بكى مالك بن دينار.

وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد، يقول: أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء. فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل. وقال المدائني عن أبي عبد الله النخعي عن عمه قال: سمعت الحسن البصري يقول: وقد تني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرأاً ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لخرى أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة. وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عمير قال قال الحجاج يوماً: من كان له بلاء أعطيناه على قدره، فقام رجل فقال:

اعطى فاني قتلت الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرت به بالرمح دسرا ، وهبرته بالسيف هبرا ، وما أشرك معي في قتله أحدا . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئا . وقال الهيثم بن عدى : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت دارى ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حَنَانِيكَ مَنْ نَجَّيَ عَلَيْكَ وَقَدْ * تَعَدَّى الصِّحَاحُ مَبَارِكُ الْجَرْبِ
وَلَرَبِّ مَأْخُوذٍ بِذَنْبِ قَرِيْبِهِ * وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الذَّنْبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصح من هذا ، قال : وما قال ؟ قال [قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا نخذ أحدا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون] قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان وابن داره ، واعطه عطاءه ، ومر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدى عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى برأس أسلم بن عبد البكرى ، لما بلغنى عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين] وما بلنه باطل ، وإني أعول أربعة وعشرين امرأة ما لهن كاسب غيرى وهن بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت يده تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أصلح الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت : -

أحجاج لم تشهد مقام بناته * وعماته يندبته الليل أجمعا
أحجاج كم تقتل به إن قتلت * ثمانا وعشرا واثنين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا إن زدنا تضعضا
أحجاج إما أن تجود بنعمة * علينا وإما أن تقتلنا معا

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتن ترضعنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره بإطلاقه وحسن صلته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتقديرها في كل وقت . وقيل إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفك وجهك وأقل حيائك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبت وضل سمعك ، فقال للحرص خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذى جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت

تَجَرَّى عَلَى اللَّهِ وَلَا أَجْتَرَى أَنَا عَلَيْكَ ، وَمَنْ أَنْتَ حَتَّى لَا أَجْتَرَى عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَجَرَّى عَلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَ : خَلَا سَبِيلَهُ ، فَأُطْلِقَ

وَقَالَ الْمَدَائِنِيُّ : أَتَى الْحِجَاجَ بِأَسِيرِينَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الْأَشْعَثِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنْ لِي عِنْدَكَ يَدٌ ، قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : ذَاكَ ابْنُ الْأَشْعَثِ يَوْمَا أَمَكَ فَرَدَدْتَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : وَمَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ قَالَ : صَاحِبِي هَذَا ! فَسَأَلَهُ فَقَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا فَعَلَ ؟ قَالَ : لِنَفْضِكَ ، قَالَ أَطْلِقُوا هَذَا لَصَدَقَهُ ، وَهَذَا لَفَعَلَهُ . فَأُطْلِقُوهُمَا . وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فِيهَا بَلْفُهُ أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ جَحْدَرُ بْنُ مَالِكٍ وَكَانَ قَاتِلًا بَارِضَ الْعِمَامَةِ ، فَأَرْسَلَ الْحِجَاجُ إِلَى نَائِبِهَا يُؤْتِيهِ وَيُلَوِّمُهُ عَلَى عَدَمِ اخْتِنِئِهِ ، فَمَا زَالَ نَائِبُهَا فِي طَلْبِهِ حَتَّى أَسْرَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحِجَاجِ ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا كُنْتَ تَصْنَعُهُ ؟ فَقَالَ : جَرَاءَةُ الْجَنَانِ ، وَجَفَاءُ السُّلْطَانِ ، وَكَلْبُ الزَّمَانِ ، وَلَوْ اخْتَبَرَنِي الْأَمِيرُ لَوَجَدَنِي مِنْ صَالِحِ الْأَعْوَانِ ، وَشَهْمِ الْفَرَسَانِ ، وَلَوْ جَدَنِي مِنْ أَصْلَحِ رَعِيَّتِهِ ، وَذَلِكَ أَنِّي مَالَقِبْتُ فَارِسًا قَطٍ إِلَّا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِي مُقْتَدِرًا ، فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ : إِنَّا قَاذِفُوكَ فِي حَائِرٍ فِيهِ أَسَدٌ عَاقِرَانِ قَتَلَكَ كِفَانًا مَوْتُكَ ، وَإِنْ قَتَلْتَهُ خَلِينَا سَبِيلَكَ . ثُمَّ أَوْدَعَهُ السَّجْنَ مُقِيدًا مَغْلُولًا يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى عُنُقِهِ ، وَكَتَبَ الْحِجَاجُ إِلَى نَائِبِهِ بِكَسْرٍ أَنْ يَبْعَثَ بِأَسَدٍ عَظِيمٍ ضَارٍ ، وَقَدْ قَالَ جَحْدَرُ هَذَا فِي مَحَبْسِهِ هَذَا أَشْعَرًا يَتَحَزَنُ فِيهَا عَلَى امْرَأَتِهِ سَلِيمَى أُمِّ عَمْرٍو يَقُولُ فِي بَعْضِهَا :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو * وَإِيَّانَا فِذَاكَ بِنَا تَدَانِي
بَلَى وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا نَرَاهُ * وَيَمْلُوهَا النَّهَارُ إِذَا عَلَانِي
إِذَا جَاوَزْتُمَا فُخْلَاتِ نَجْدٍ * وَأَوْدِيَةَ الْعِمَامَةِ فَانْعِيَانِي
وَقَوْلَا جَحْدَرٍ أَمْسَى رَهِينًا * بِحَاذِرٍ وَقَعَ مَصْقُولٍ بِمَانِي

فَلَمَّا قَدِمَ الْأَسَدُ عَلَى الْحِجَاجِ أَمَرَ بِهِ فَجُوعَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ أُبْرِزَ إِلَى حَائِرٍ - وَهُوَ الْبِسْتَانُ - وَأَمَرَ بِجَحْدَرٍ فَأُخْرِجَ فِي قَبْوَدِهِ وَيَدَهُ الْيُمْنَى مَغْلُولَةً بِحَالِهَا ، وَأَعْطِيَ سِيفًا فِي يَدِهِ الْيُسْرَى وَخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَسَدِ وَجَلَسَ الْحِجَاجُ وَأَصْحَابُهُ فِي مَنْظَرَةٍ ، وَأَقْبَلَ جَحْدَرٌ نَحْوَ الْأَسَدِ وَهُوَ يَقُولُ :

لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَجَالِ ضَنْكِ * كَلَامُهُمَا ذُو أَنْفٍ وَمَحْكٍ
وَشِدَّةٍ فِي نَفْسِهِ وَفَتْكٍ * إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
* فَهُوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ *

فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ زَأْرَ زَارَةٍ شَدِيدَةٍ وَتَمَطَّى وَأَقْبَلَ نَحْوَهُ فَلَمَّا صَارَ مِنْهُ عَلَى قَدَرٍ مَرَّحٍ وَثَبَ الْأَسَدُ عَلَى جَحْدَرٍ وَثَبَةً شَدِيدَةً فَتَلَقَّاهُ جَحْدَرٌ بِالسَّيْفِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً خَالَطَ ذُبَابَ السَّيْفِ هَوَاتِهِ ، نَحَرَ الْأَسَدُ كَأَنَّهُ خِيَمَةٌ قَدْ صَرَعَتْهَا الرِّيحُ ، مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبَةِ ، وَسَقَطَ جَحْدَرٌ مِنْ شِدَّةِ وَثَبَةِ الْأَسَدِ وَشِدَّةِ مَوْضِعِ

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جحدر يقول :

يا جمل إنك لو رأيت كرهتي * في يومٍ هولٍ مسدٍ وعجاج
وتقدمي ليلث أرسفٍ موقفاً * كما أساوره على الأخراج
شئنٌ برائنه كأن نبوته * زرق المعاول أو شبة زجاج
يسمو بناظرين تحسب فيهما * لهباً أحدهما شعاع سراج
وكأنما خيطت عليه عباءة * برقاء أو خرقة من الديباج
لعلت أنى ذو حفاظٍ ماجدٍ * من نسل أقوام ذوى ابراج

فعند ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختر المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله (ص) لأنه ابن بنته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبت فقال الحجاج : لتأتيني على ما قلت بينة من كتاب الله أو لأضربن عنقك ، فقال قال الله [ومن ذريته داود وسليمان] إلى قوله [وزكريا ويحيى وعيسى] فعيسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله (ص) . فقال الحجاج : صدقت ، ونفاه إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته وبلاغته يلحن في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبدل إن المكسورة بان المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم] إلى قوله [أحب إليكم] فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد ، فقال للرسول : أ كان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

عليك بتقوى الله في الأمر كله * وكُنْ يا عبيد الله نُحْشَى وتضرع
ووفر خراج المسلمين وفيأثم * ونن لهم حصناً نجير وتمنع
فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم * قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع
كتاب أتاني فيه لين وغلظة * وذكرت والذي لذي اللب تنفع

وكانت أمورٌ تعتريني كثيرة * فأرضحُ أو اعتلُ حيناً فامنعُ
 إذا كنتَ سوطاً من عذابِ عليهم * ولم يكُ عندى بالمنافع مطمعُ
 أيرضى بذاك الناسُ أو يسخطونه * أم احمدُ فيهم أم الأملُ فأفدعُ
 وكانَ بلادَ جثتها حينَ جثتها * بها كلُّ نيرانِ العداوةِ تلعُ
 فقاسيتُ منها ما علمتُ ولم أزلُ * أصارعُ حتى كدتُ بالموتِ أصرعُ
 وكم أرجفوا من رجفةٍ قد سمعتها * ولو كانَ غيرى طارُ مما بروغُ
 وكنتُ إذا هموا باحدى نهاتهم * حسرتُ لهم رأسى ولا أتقنعُ
 فلو لم يزد عني صنديدٌ منهم * تقسمُ أعضائى ذئباً وأضعُ

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيك . وقال النورى عن محمد بن المستورد الجمحي
 قال : أتى الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنياً أن تكسب جناية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل
 عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سخطت النفس بالمئالف . قال : صدقت
 والله لو كان حسن اعتذار يبطل حسداً لكنت له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع
 يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تغدى الحجاج يوماً مع الوليد بن
 عبد الملك فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت ،
 ولكنى أنهى عنه أهل العراق وأهل عملى ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح [وما أريد أن
 أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه] . وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب
 عليه في إسرافه في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزائنه ، وسبيل
 منع حق أو إعطاء باطل . وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات : -

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها * وتطلب رضائى فى الذى أنا طالبة
 وتحشى الذى يخشاه مملك هارباً * إلى الله منه ضيع الدحالة
 فإن تر منى غفلة قرشية * فياربما قد غص بالماو شاربة
 وإن تر منى وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبة
 فلا تعد ما يأتيك منى فإن تعد * تقم فاعلمن يوماً عليك نوادة

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءنى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الأموال ،

(١) ما يسمى فى هذا العصر نبيذاً هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان يسمى سلفنا نبيذاً . والنبيذ
 عندهم هو التمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بعد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفى
 كلنا الحالتين فإنه أشبه بعصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والدماء ، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فان كان ذلك سرفاً
فليحد لي أمير المؤمنين حداً أنتهى إليه ولا أنجاوزه ، وكتب في أسفل الكتاب :
إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى * أذاك فيومي لا توارث كواكبة
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نوادة
أسلم من سلمت من ذي هوادة * ومن لا تسالمة فاني - محاربة
إذا أنا لم أدن الشفيق لنضحه * وأقص الذي تسرى إلى عقاربة
فمن يتقى يومي ويرجو إذا غدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه
وعن الشافعي أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه:
هل يجحد في نفسه مما أصاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان
أوسبير ذهباً أنفقته في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

فصل في

فيما روى عنه من الكلمات النافعة والجراة البالغة

قال أبو دواد : ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :
اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مثنوية ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مثنوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم ،
والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، وما عذيري من عبد هذيل بزعم أن قرآنه
من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه (س) ، وعذيري من هذه
الحجاء ، بزعم أحدهم يرمى بالحجر فيقول لي إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لأدعنهم كالأمس
الدابر . قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن
يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم ، ولا
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا غربت عنقه ، ولا حكنها من المصحف ولو بضلع خنزير .
ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل
لأضربت عنقه . وهذا من جراءة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام .
وإنما نقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي جمع
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان ومواقفه والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الدوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المناقنين ، لو أدركته لأسقيت الأرض من دمه . قال وسمعت على منبر واسط وتلا هذه الآية [هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي] قال : والله ان كان سليمان لحسوداً . وهذه جرأة عظيمة تفضي به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه .

[قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئت من عند رجل يملئ المصاحف عن ظهر قلب ، ففرع عمر وغضب وقال : وبجك ، انظر ما تقول . قال : ما جئتك إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي (ص) ، ثم خرجنا ورسول الله (ص) ، يمشي بيني وبين أبي بكر ، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ فقام النبي (ص) ، يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعتمد ، فغمزني بيده - يعني أسكت - قال : قرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي (ص) : « سل ففطه »^(١) ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن وطياً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فعلت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حبان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخنت من في رسول الله (ص) سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخنت من في رسول الله (ص) » . وقد رواه الثوري وإسراfil عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله (ص) سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله دواة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعه الغنم لعقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله (ص) : « إنك غلام معلم » ، قال : فأخنت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها أحد » . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زر عنه نحوه . وقال له النبي (ص) : « إذنك أن ترفع الحجاب وأن تسمع سواي حتى أتياك » . وقد روى هذا عنه من طرق

وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الحاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك

(١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، لكنه اختصر هذا الموضع منه .

والنعملين . وروى غيره عن علقمة قال : قدمت الشام فجلست إلى أبي الدرداء فقال لي : ممن أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : أليس فيكم صاحب الوساد والساوك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا قطر بن خليفة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد (س) ، من أقربهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى هذا عن حذيفة من طرق ، فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي وائل فاضل الأحب وجامع بن أبي زاشد ، وعبيدة ، وأبو سنان الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول : قلنا لحذيفة أخبرنا رجل قريب الهدى والسمت من رسول الله (س) حتى نلزمه ، فقال : ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتاً من رسول الله (س) حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب النبي (س) ، أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله (س) ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . فكذب الحجاج وفجر ، ولقم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي رمي له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءته : إنها شعر من شعر هذيل ، وإنه لا بد أن يحكمها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، فحصل على إثم ذلك كله بنيته الخبيثة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت أجتني لرسول الله (س) ، سواك من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحك القوم ، فقال النبي (س) : « ما يضحككم ؟ قالوا : من دقة ساقه ، فقال النبي (س) : والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحدهما » . ورواه جرير وعلى بن عاصم عن مغيرة عن أم موسى عن علي بن أبي طالب . وروى سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (س) : « تمسكوا بعهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه الترمذي والطبراني .

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بعده مثله . قال : إن قلت ذاك إنه كان ليؤذن له إنا حجبتنا ، ويشهد إذا غبتنا . وقال الأعمش : يعني عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن مسعود ذات يوم وعمر بن الخطاب فقال : كيف مليء فقها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن أبي حصين عن أبي عطية أن أبا موسى الأشعري قال : لا تسألونا عن شيء مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد (س) . - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعمش

عن عمرو بن عروة عن أبي البختري قال : قالوا لعلي : حدثنا عن أصحاب محمد (ص) ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علماً . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فهدأتنا الصحابة المالمون به ، العارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الحائدين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هذيانا وكذب وإفتراء ، وبعضها كفر وزندقة ، فإن الحجاج كان عنانياً أموياً ، يميل إليهم ميلاً عظيماً . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك الدماء ، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المغيرة عن بُزَيْع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله على أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدك معهم . زاد إسحاق فقال في الجاهم حتى قتل . فإن صح هذا عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصمعي : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص الثقفى قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فمل ذلك مراراً ، ثم قال : كافر يا أهل العراق باللات والعزى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شاذب عن مالك بن دينار قال : بينما الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله ؟ أى شئ يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعاء والبغلة الشهباء . وقال الأصمعي قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف عيب نفسك ، فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا لجوج حقود حسود ، فقال عبد الملك : مافى الشيطان شرماً ذكرت . وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، ونفذ لانهم لهم ، وعصيانهم ، ومخالفتهم ، والافتيات عليهم ، قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حدثه قال : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصبوا أميرهم فخرج غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

فقام رجل ثم قام آخر ثم قُت أنا ثالثاً أورياً ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرّخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم طابيس عليهم ومجّل عليهم بالغلام النقي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم . وقد روينا في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما ائتمنتهم فخافوني ، ونصحت لهم ففشوني فسلط عليهم فتي ثقيف الذيل الميسال ، يأكل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحدثان عن علي أنه قال : الشاب الذيل أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطه الله على شيعته .

وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد المجبوبي : ثنا سعيد بن مسعود ثنا يزيد بن هارون أنياً العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تدرك فتي ثقيف ، قال : وما فتي ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكننا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين سنة ، أو بضماً وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مفلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاء . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن موسى البندوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجدلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فبصر فادعى أنفا فخرج على قتال : مالك وله يا أشعث ، أما والله لو بعد ثقيف تحرشت لاقتعرت شميرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يلهم لا يبقى أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلاً ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ . وقال البيهقي أنبأنا الحاكم أنبأ الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التنيسي ثنا ابن يحيى القائي . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بجبيبتها ، وجئنا بالحجاج لفلبنام . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حرمة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذاباً ومبيرا » وكان المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولاً ويظن الكفر المحض ، وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبياً يبغي علياً وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فإن كان

قد تاب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبنضونه جداً لوجوه ، وربما حرقوا عليه بعض الكلم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء ، فإله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائرهما ، وخفيات الصدور وضمايرها :

[قلت : الحجاج أعظم ما نعم عليه وضح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلثمائة درهم . والله أعلم . (١)]
وقال المصنف بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب الكلبي ثنا عوانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إيه إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لا سنأصلنك كما تستأصل الشاة . ولأدمنك كما تدمن الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ؟ قال : إياك أعنى صك الله سمعك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أى قتلة قتلت . ولا أى مينة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، واماظم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فإن الحجاج قال لي هجراً ، وأسمنى نكراً ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فخذلى على يديه ، فاني أمت بخدمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحبي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - وكان مصادقاً للحجاج - فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فارفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكائتك الحجاج ؛ وما سلطته عليك ولا أمرته
بالإساءة إليك ، فان عاد لمثلها اكتب إلى بذلك أنزل به عقوبتي ، وتحسن لك معونتي . والسلام .
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جزي الله أمير المؤمنين عنى خيراً ، وعافاه
وكفاه وكلفاه بالجنة ، فهذا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة
إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع
إليك ، فقرار به وداره تعيش معه بخير وسلام . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من
عند أنس فدخل على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :
أنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به ، فتغير لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتني به ؟ قال :
فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضباً عليك ، ومنك بعداً ، قال : فاستوى الحجاج جالساً
مرعوباً ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق ، وينظر إلى إسماعيل
أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :
كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد
فإنك عبد طمت بك الأمور ، فسموت فيها وعدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية
إذا ، وأردت أن تبدولي فان سوغتكم مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت القهقري ، فلعنك
الله من عبد أخفش العينين ، منهوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آباءك بالطائف ، وحفرهم الآبار ،
ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل ، يا ابن المستفزية بمجم الزبيب ، والله لأغمرنك غمر الليث
الثلعب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله (ص) بين أظهرنا ، فلم تقبل له
إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عز وجل ، واستخفافاً منك بالعهد ، والله
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلاً خدعهم عزير بن عزرى ، وعيسى بن مريم ، لعظمته وشرفته وأكرمه
وأحبته ، بل لو رأوا من خدع حمار العزيز أو خدع حوارى المسيح لعظموه وأكرموه ، فكيف وهذا
أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) ثمانى سنين ، يطلعه على سره ، ويشاوره في أمره ، ثم هو مع
هذا بقية من بقايا أصحابه ، فاذا قرأت كتابي هذا فكأن أطوع له من خفه ونعله ، وإلا أنك منى سهم
مكل حاتف قاض ، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع في هذا الكتاب
من الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة والله أعلم .

وقال الامام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعني ابن عدي - قال :
أتينا أنس بن مالك | نشكو إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : « اصبروا فإنه لا يأتي عليكم عام أو زمان »

أو يوم إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، معتمه من نبيكم . وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفیان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروي هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام ترذلون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم . قلت : قد مر بي مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم ترذلون . ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم ترذلون نسماً خبيثاً . فيحتمل هذا أنه وقع للإمام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أن له أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يقتنوا له الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمرلنك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا ظاهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد قال سفیان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنقيسات .

وقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد هم به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا . قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أيوب السختياني : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناظرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فقيل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قال فعثمان ؟ فأثنى خيراً ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيراً ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثني على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطبته من بعض خطاياه ؟ . [(١)]

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟

فقال: إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه، فأمر بها تقتل. وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة.

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة: ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير: خرجت على الحجاج؟ قال: إني والله ما خرجت عليه حتى كفر، ويقال إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث. وقال أبو عيسى الترمذي: ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن شميل عن هشام بن حسان قال: أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي: ثنا أبو ميم عن عباد بن كثير عن قحدم قال: أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجون بعد الحجلج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل ربض مدينة واسط، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وصلينا بغير حساب

وقد كان الحجاج مع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي: ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز: لو تخابقت الأمم فجاءت كل أمة بخبيها وجئنا بالحجاج لغلبناهم، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا آخرة لقد ولي العراق وهو أوفر ما يكون في العمار، فأخس به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف. وقال أبو بكر بن المقرئ: ثنا أبو عروبة ثنا عمرو بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال. كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة: بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه، فانه كان يصلي الصلاة لغير وقتها، ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم. قال: بعث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه: أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شرييت في العمل، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا، وعليك السلام. وإنما فقام. وقال الاوزاعي: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول: كان الحجاج ينقض عرى الإسلام، وذكر حكاية. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: لم يبق لله حرمة إلا ارتكبتها الحجاج بن يوسف، وقال يحيى بن عيسى الرملي عن الأعمش: اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال: تسألون عن الشيخ الكافر.

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجبوت والطاغوت ، كافر بالله العظيم .
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : عجبا لاخواننا من أهل
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ؟ وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج
 أتشهد أنه من أهل النار ؟ قال أنأمروني أن أشهد على (١) الله العظيم : وقال الثوري عن منصور :
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول [ألا لعنة الله على الظالمين]
 وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عى أن يعمى عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج
 أرجى مني لعمر بن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر بن عبيد أحدث للناس
 بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :
 لا تسبه لعله قال يوماً اللهم ارحمني فبرحمه ، إياك ومجالسة من يقول رأيت رأيت . وقال عوف :
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يعذبه الله عز وجل فبذنبه ، وإن
 يغفر له فبنيثا له ، وإن يلق الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب من هو خير منه .
 فقيل له ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أتشهد على
 الحجاج وعلى أبي مسلم الخراساني أنهما في النار ؟ قال : لا ! إن أقرأ بالتوحيد . وقال الرياشي : حدثنا
 عباس الأزرقي عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم الجمعة فسمع استغاثته فقال : ما هذا ؟
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فعاش
 بعد ذلك إلا أقل من الجمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيت وهو يأتي الجمعة وقد
 كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق تزغ الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فه ؟ فهل
 يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسرني أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت
 الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له [إنك من المنظرين] فأنظره إلى يوم
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال [هب لي ملڪاً لا يبنينى لأحد من بعدى] فأعطاه الله ذلك إلا
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال [توفي مسلماً والحقني بالصالحين] فما
 عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأنى والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ،
 ثم قل في أثباب أ كفانه ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصت صديده ،

وانصرف الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول ، ثم نزل .
 وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
 ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين
 حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا
 علي بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر . قال :
 كان عمر بن عبد العزيز يبغي الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فانهم
 يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثني بعض أهل العلم قال قيل للحسن : أن الحجاج قال عند الموت
 كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال فما عسى . وقال أبو العباس المري عن الرياشي عن
 الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

ياربُ قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأنني رجلٌ من ساكني النارِ
 أبجلفونَ على عمياءٍ وبهمم * ما عليهم بعظيم العفو غفارِ
 قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك : -
 إن الموالى إذا شابت عبيدهم * في رقهم عتقهم عتق أبرارِ
 وأنت يا خالق أولى بنا كرماً * قد شبت في الرق فاعتقني من النارِ

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى
 أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتم الأيتام ، ومريم النساء ، ومفلح الهام ،
 وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم يرحمنا من كان يبغيضنا * واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
 وفاته قال : [فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين] وروى غير واحد أن الحسن لما
 بشر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى ، وكان مختفياً فظهر ، وقال اللهم أمتة فأذهب عنا سئته .
 وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبر إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن
 أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن الربيع بن الحارث لاهل
 السجن يموت الحجاج في مرضه هذا في ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن
 فرحاً ، جلسوا ينتظرون حتى يسمعوها الناعية ، وذلك ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان
 ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل في شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمسا وخسين
 سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعنى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا ينبش ويحرق والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عيسى قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفاً وسيفاً وسرجاً ورحلاً ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني عيسى بن يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أبو جعفر المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : أعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسماية درع حديد ، ستماية منها لمنافق أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرفع أبو جعفر رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائماً على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لاشيعتكم . وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتلة قتل بها إنساناً ، قال : ثم رأيت بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظرائمه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيت ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أنت وذلك يا ماص بظرائمه ! فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقاً ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حياً وميتاً . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شاذب عن أشعث الخراز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحداً قتلة إلا قتلني بها . قال ثم أمرني إلى النار ، قلت ثم مه ، قال ثم أرجو ما أرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إني لأرجو له ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاء فيه . وقال أحمد بن أبي الحواري : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فراه في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتل بكل إقتيل قتلته ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأ ابن المبارك أنبأنا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وافداً ومعه معاوية بن قره ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبتناكم خشيتم الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تعرض له ، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف

ومن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن يزيد النخعي قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأى إلا بروية ، ولا روية إلا برأى . وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبرية الأولى فاعسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به . وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظار ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار

الحسن بن محمد بن الحنفية

كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان عالماً فقيهاً عارفاً بالاختلاف والفقه ، قال أيوب السخيتاني وغيره : كان أول من تكلم في الإرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلى وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا ينهمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : وبحك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري

وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة .

مطرف بن عبد الله بن الشخير

تقدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موت الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجاعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدهد ويتوعده ويقسم بالله لا يرجع حتى يطاء بلاده ويختم ملوكهم وأشرافهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الإسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع أقصاها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يحتاجون إلى أن

يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لتهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبها ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة - فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوكم إلى الاسلام ، فان لم تفعل فالجزية ، فان لم تفعل فالجرب . فنضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان القد دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهتهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من القد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوشي والعمام والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض وتقلدوا السيوف ونكبوا القسي وأخفوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقبل لهم : ارجعوا - وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فانصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قد رأيتم عظم ملكي ، وليس أحد بمنكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فان تصدقني وإلا قتلتك ، فقال : مل ! فقال الملك : لم صنعتم ما صنعت من زى أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطبينا عندهم ، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فانصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادى ، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها ، وغزاًك في بلادك ؟ وأما نخوفيك إيانا بالقتل فانا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضرنا فكرمها عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه .

فقال الملك : فما الذى يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطاء أرضك ويختم ملوكك ويجي الجزية من بلادك ، فقال أنا أبر يمينة وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوم ولا يدري قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن بعث صحافاً من ذهب متسعة فيها تراب من أرضه ليطاءه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليبر يمين قتيبة ، وقيل إنه بعث أربعائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلى على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموى بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبدًا بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فهم أول من بناها ، وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهي القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاء وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الاماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا الماء في أنفائها أبنية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصارييف العجيبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالى ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة

إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي يباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جيرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة للملوك ، ويحيط بهن الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخليل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى واتاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا تخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحمري : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده ، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأراذلهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شملها عند برزة ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يأترونه كبراً عن كبر وإلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيه إلا الله ، وهم خصماء الخليل ، وقد نظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قرنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » والله الحمد وبالله المستعان . والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من أرض حوران والبقاع وبلبك وغيرها ، البنايات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً ، ووضعت له بطاركتة النصارى ديناً مخترعاً مكيّاً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشئ من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعلموا أولادهم الأمانة الكبيرة فما يزعمون ، وإتباعهم في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم

صغيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه . فبنى لهم هذا الملك الذى ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة فى دمشق وفى غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتى عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافاً دارّة ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقمامة فى القدس ، بنتها أم هيلانة الفنداقية ، وغير ذلك

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حولوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظما عند اليونان فجعلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً (س) ، فكان من شأنه ما تقدم بعضه فى كتاب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بعث إلى ملك الروم فى زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعوهُ إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً قتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش ، فعزم النبي (س) على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضمف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول فى ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاباً أمان ، أقرأوا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مريحنا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف ، وأخذت النصارى الامان من أبى عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجداً يصلى فيه المسلمون ، وكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده فى البقعة الشرقية منه ، التى يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محنى ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذى فتق المحاريب فى الجدار القبلى [قلت : هذه المحاريب متجددة ليست من فتق الوليد ، وإنما فتق الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يفعل شيئاً منها ، فكان يصلى فيه الخليفة ، وبقيتها فتقت قريباً ، لكل إمام محراب ، شافى وحنفى ومالكى وحنبل ، وهؤلاء إنما حدثوا بعد الوليد بزمان] ^(١) وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البدع المحدثه ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ،

وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان الحراب الكبير الذى فى المقصورة اليوم ، فىنصرف
النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيسهم ، و يأخذ المسلمون يمنة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى
أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ، اجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية فى
أيام ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة ، وبنى فيها قبة خضراء ، فعرفت
الدار بكاملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه
الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين فى
ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها ، فعزم الوليد على أخذ
بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن
بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للإنجيل ، ورفع أصواتهم فى صلواتهم ، فأحب أن
يعدم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع
المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ،
ويعرضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم أربع كنائس لم تدخل فى العهد ،
وهى كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبن ، وكنيسة حميد بن درة
التي بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الإباء ، فقال : اثبتوني بمهودكم التي بأيديكم من زمن الصحابة ، فأبوا
بها فقرئت بحضرة الوليد ، فادا كنيسة توما - التي كانت خارج باب توما على حافة النهر - لم تدخل فى
العهد ، وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريمنا ، فقال الوليد : أنا أهدها وأجعلها مسجداً ،
فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه
الكنيسة ، فأقرم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول ، ويقال إن
الوليد لما أمه ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله . دخل عليه بعض الناس فأرشده
إلى أن يقيس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك
أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الریحان تقريباً ، فاذا
الكنيسة قد دخلت فى العنوة ، فأخذها . وحكى عن المغيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد
فوجدته مهموماً قلت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم
المسجد ، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال فى بقية هذه الكنيسة لأضيفها إلى المسجد
فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين عندى مايزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت :
الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك
فرزوا إلى أبى عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة

بالصلح ، فنحن نماسحهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها في العنوة ، فتدخل في المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاء المغيرة ومسح من الباب الشرقي إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عمالا حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة في المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصارى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت في العنوة فهي لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولا دفعت إلينا الأموال وأقطعتنا الاقطاعات فأيننا ، فن إحسان أمير المؤمنين أن يصلحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفراديس داخله فسموها مريحنا باسم تلك الكنيسة التي أخذت منهم ، وأخذوا شاهدا فوضعه فوق التي أخذوها بدلها فأنه أعلم .
ثم أمر الوليد باحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصارى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن في الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئا قبلي ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضالع المروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالتزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان في الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذي يسمونه الشاهد ، وهو تمثال في أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع قامي في رأس الشاهد ، ثم كبر وضر به فهدمه ، وكان على الوليد قباء أصفر لونه سقرجلي قد غرز أذياله في المنطقة ، ثم أخذ فأسا بيده فضرب بها في أعلى حجر فأنقاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو فائل رياح الفسائي ، أن يضربهم حتى ينهبوا من هنالك ، ففعل ذلك ، فهزم الوليد والأمراء جميع ما جده النصارى في تربيعة هذا المعبد من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقي المكان صرحا مربعة ، ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التي لم يشتهر مثلها قبلها كما سندكره .

وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستعث على عمارته أخوه وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش ، وليخر بن كل كنيسة في بلاده ، حتى

كنيسة القدس ، وهي قمامة ، وكنيسة الرها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعاً كثيرة جداً ، مائتي صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فإنه لوصمة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لوصمة عليه ، فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، فكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ فقال قال الله تعالى [ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما] وسليمان هو ابن داود ، ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه . فأنجب ذلك الوليد فأرسل به جواباً إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق في ذلك : -

فرقت بين النصارى في كنائسهم * والعابدين مع الأسحار والغم
وهم جميعاً اذا صلوا وأوجههم * شتى إذا سجدوا لله والصنم
وكيف يجتمع الناقوس يضربه * أهل الصليب مع القراء لم تنم
فهمت تحويلها عنهم كما فهمنا * إذ يحكمون لهم في الحرث والغم
داود والملك المهدي إذ جزأ * ولادها واجتزاز الصوف بالجم
فهمك الله تحويلاً لبيتهم * عن مسجد فيه ينلى طيب الكلم
ما من أب حملته الأرض نعله * خير بنين ولا خير من الحكم

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى الخشني : إن هوداً عليه السلام هو الذي بنى الحائط القبلي من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التي وسط الرواقات - وهي قبة النسر وهو اسم حادث لها ، وكانهم شبهوها بالنسر في شكله ، لأن الرواقات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها - حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ، فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لي أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطيني عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيتها أحد غيري ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدرى الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذ منه رؤس الناس ، فكشف البوارى عن الأركان فاذا هي قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : من هذا أتيت ، ثم بناها فأنقذت . وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا البناء ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضر به خمسين سوطلاً ، وقال له : ويلاك ! أنا لا أقدر على ذلك ونزعم أنى أعجز عنه ؟ وخراج الأرض وأموالها نجى إلى ؟ قال : نعم أنا أبين لك ذلك ، قال : فبين

ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ما تريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة فاذا هي قد دخلها ألوف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألف لبنة ، فان كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً ، وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياح مال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به الممار . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات ، وباطنها مسطوحاً مقروناً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بعدك في طين أسطحهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير . يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تقل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الأقاليم ، فعازوا فاذا عند امرأة منه قناطر مقنطرة ، فساوموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلمت ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على ألواحها بطابع « الله » ويقال إنها كانت إسرائيلية ، وإنه كتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الاسرائيلية .

وقال محمد بن عائذ : سمعت المشايخ يقولون : ماتم بناء مسجد دمشق لإبادة الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من القوم أو الفعلة الفلاس ورأس المسمار فيأتي به حتى يضعه في الخزانة . وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت القصر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصي عن دحيم عن الوليد ابن مسلم عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفق الوليد على الكرم^(١) التي في قبلي المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصي : أنفق في مسجد دمشق أربعمئة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فعلى الأول يكون ذلك (١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤلفة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

خيسة آلاف ألف دينار ، وستائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأوى
 أحد عشر ألف ألف دينار ، وماتى ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .
 قال أبو قصى : وأتى الحرسي إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين
 بيوت الأموال في غير حقها . فنودي في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر
 وقال : إنه بلغني عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمرو بن مهاجر ،
 قم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطاع تحت قبة النسر ،
 ثم أفرغ عليها المال ذهباً صيباً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من
 الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شيء كثير ، ثم جئ بالقباين فوزنت
 الأموال فإذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفي رواية ست عشرة سنة مستقبلة ، ولم
 يدخل للناس شيء بالكلية ، فقال لهم الوليد : والله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت
 المال ، وإنما هذا كله من مالي . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة
 وانصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد
 شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالي ، لم أرأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الوليد : يا أهل
 دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائكم وجاهتكم وحاماتكم ، فأجبت أن
 أزيدكم خامسة وهي هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبلة جامع دمشق ثلاث صفائح منهبة بلازورد ،
 في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبينا محمد (س) . أمر ببنيان
 هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذي القعدة سنة ست
 وثمانين ، وفي صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر
 الفاتحة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم محبت بعد محي المأمون إلى
 دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق
 الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المنهبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد
 صوروا بها سائر البلدان المشهورة ، الكعبة فوق المحراب ، وسائر الأقاليم بمنة ويسرة ، وصوروا مافي
 البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة
 فيها جميعها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكن مفرقة . قال : وكان في محراب الصحابة برنية
 حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجراً من جوهر وهي البزة ، وكانت تسمى القليلة ، وكانت إذا
 طفتت القناديل تضيء لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد - وكان يحب البلور وفيل

الجوهر - بعث إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقتها إلى خوف من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولي المأمون ردها إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين . قال ابن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيئاً ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانها إلى حد الكومة التي فوقها الفصوص المذهبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التي يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بهور متطاولة ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبود صومعة شاهقة جداً ، بنها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك ستمطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعائة ، فنقضت وجدد بناؤها من أموال النصاري ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بذاتها وهي والله أعلم الشرفة التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان .

[قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجددت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها في آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالحجارة] ^(١)

والمقصود أن الجامع الأموي لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يعمل ناظره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أعجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا العناكب ، ويقال ولا المصافير أيضاً تعيش فيه ، ولا الحمام ولا شيء مما يتأذى به الناس ، وأكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف هذا المعبد ، مما يلي السبع ، فأحرق لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، في دولة الفاطميين كما سيأتي ذلك في موضعه . وقد كانت بدمشق طلسمات وضعتها اليونان بعضها باق إلى يومنا هذا والله أعلم .

فمن ذلك العمود الذي في رأسه مثل الكرة في سوق الشعير عند قنطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالعلبين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لعسبرول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه فبال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

[قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعنّب ، فاذا داروا بالحيوان حوله سمع المذاب فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا ينهبون بالدواب إلى قبور النصراري واليهود والكفار ، فاذا سمعت أصوات المعذّبين انطلق بولها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل إن تحته كنزاً وصاحبه عنده مدفون ، وكان ممن يعتقد الرحمة إلى الدنيا كما قال تعالى [وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين] والله سبحانه وتعالى أعلم [(١)] .

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، وجددت له فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طينا ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرفهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكله لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ، فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكافرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والزخرفة التي لم يسمع بمثلا ، صعق كبيرهم وخر مغشيا عليه ، فحملوه إلى منزلهم ، فبقى أياما مدنفاً ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مدنتهم تكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن الغيظ أهلك الكفار ، دعوه . وسألت النصراري في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم مجلسا في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلا ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فاذا الكنائس التي هي خارج البلد لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة ، مثل كنيسة دير مران بسفح قايسون ، وهي بقرية المعظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فخيرهم بين رد ما سألوه وتخريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيبوا نفسا للمسلمين به . فبقيت البقعة ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ،

ويطوبوا نفسا بهذه البقعة، فكتب لهم كتاب أمان بها .

والقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن ثوبان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقا إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشمري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وبنبيل الموالي ، وبعمير ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبدا . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكنم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكنم : الرخام وهذه العقد ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانه على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقاسم التمار : أخبرني باسم حسن أسمى به جارييتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء . وقال عبد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذي القرنين باسكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلا ، والثالثة مرآة بباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه ، والخامس الرخام والفسفساء ، فإنه لا يدري لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه يذوب على النار .

قال ابن عساكر : وذكروا إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارعه فرجة ، فحيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سعيت رأيت منظراً عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الراي أن يعرفه ، وجملته أنه كنز الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ، ولقد أثبت الله عز وجل به ذكرنا يدرس ، وخلف به أمراً لا يفتنى ولا يدرس . قال ابن عساكر : وأنشدني بعض المحدثين في جامع دمشق عمره الله بذكره وفي دمشق فقال :

دمشق قد شاع حسن جامعها * وما حوته ربي مرايمها
بديعة الحسن في السكال لما * يدركه الطرف من بدائنها

طيبة أرضها مباركة * باليمن والسعد أخذ طالما
 جامعها جامع المحاسن قد * فاقته به المدن في جوامعها
 بنية بالاتقان قد وضعت * لاضيع الله سعى واضعها
 تذكر في فضله ورفعه * آثار صدق راقته لسامعها
 قد كان قبل الحريق مدهشة * فغيرت ناره بلاقمها
 فأذهبت بالحريق بهجته * فليس يرجى إياب راجعها
 إذا تفكرت في الفصوص وما * فيها تيقنت حنق راصعها
 أشجارها لا تزال مشرقة * لا رهب الريح من مدافعها
 كأنها من زمرد غرست * في أرض تبر نفشى بنافعها
 فيها ثمار تخالها ينعت * وليس يخشى فساد يانعها
 تقطف باللحظ لا بجراحة الـ * أيدي ولا تجتنى لبائعها
 وتحتها من رخامة قطع * لا قطع الله كف قاطعها
 أحكم ترخيمها المرخم قد * بأن عليها إحكام صانعها
 وإن تفكرت في قناطره * وسقفه بأن حنق رافعها
 وإن تبينت حسن قبته * تحير اللب في أضالعها
 تحرق الريح في منافذها * عصفا فتقوى على زعازعها
 وأرضه بالرغام قد فرشت * ينفسح الطرف في مواضعها
 مجالس العلم فيه مؤقته * ينشرح الصدر في مجامعها
 وكل باب عليه مطهرة * قد آمن الناس دفع مانعها
 يرتفع الناس من مراقبها * ولا يصدون عن منافعها
 ولا تزال المياه جارية * فيها لما شق من مشارعها
 وسوقها لا تزال آهلة * يزدهم الناس في شوارعها
 لما يشاؤون من فواكهها * وما يريدون من بضائعها
 كأنها جنة معجلة * في الأرض لولا مسرى فجائعها
 دامت برغم المدى مسلة * وحاطها الله من قوارعها

فضائله

فما روي في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى [والتين] قال : هو مسجد دمشق [والزيتون] قال : هو مسجد بيت المقدس [وطور سينين] حيث كلم الله موسى [وهذا البلد الأمين] وهو مكة^(١). رواه ابن عساكر . وقال صفوان بن صالح عن عبد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس الكلبي قال قال كعب الأحبار : ليينين في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل فأوحى الله إليه أما إذا فعلت فاني سأبني لي في خطتك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تنهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع . وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حديد الرخام والكرمة إلى فوق - وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القليل فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى [والتين] قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البرامي الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يحيى بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فسا تقبل منه جاءت نار فأكثته ، ومالم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، والله أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسني أن رسول الله (ص) ليلة أسرى به « صلى في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لأن هذا الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البرامي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تركوا أحداً يصلي الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في الأصل « قال دمشق » . ومصحناه من حديث قتادة في تاريخ ابن عساكر ١ : ١٩٦

الخضر يصلى فى المسجد فى كل ليلة ، وفى رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فاذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضراء الذى يلى المقصورة يصلى ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمركم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلى فى المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخضر يصلى كل ليلة فى المسجد . فى إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بمنلها وجود الخضر بالكلية ، ولا صلاته فى المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر فى الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلىة عند باب الماذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدرى ما سبب ذلك ، والذى ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التى صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى فيه الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدمنا ذلك فى ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسيصلى فيه عيسى بن مريم إذا نزل فى آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعمت البلوى به ، وأحصى الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح المهدي فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فيأتى وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصلى عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي فأنه أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب لد فيقتله بيده هنالك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى [وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته] وفى الصحيح عن النبي (ص) : « والذى نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الاسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور محصن من الدجال ، فينزل على المنارة - وهى هذه المنارة المبنية فى زماننا من أموال النصارى - ثم يكون نزول عيسى حنفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملكين واضعاً يديه على مناكبهما ، وعليه مهر وذتان ، وفى رواية مضمرة أن^(١) يقطر رأسه ماء كأنما خرج من دماغ ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

وتد أقيمت الصلاة، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق، وهو هذا الجامع. وما وقع في صحيح مسلم من رواية النواس بن سميان السكلابي: فينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق، كأنه والله أعلم مروى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك، في بعض ألفاظ هذا الحديث، في بعض المصنفات، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقفتي على هذه اللفظة، وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها، والله الحمد والمنة [قلت: نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستسكراً، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد، ويحصرهم الدجال بها، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعاً للدجال، أو مأسوراً معه، فإن دمشق في آخر الزمان تكون مقبل المسلمين وحضنتهم من الدجال، فإذا كان الأمر كذلك فمن يصلى خارج البلد، والمسلمون كلهم داخل البلد، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلى مع المسلمين، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقته، وبعض العوام يقول: إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق، منارة مسجد بلاشو، خارج باب شرق. وبعضهم يقول: إنها المنارة التي على نفس باب شرق. فالحق أعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سبحانه العالم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القادر على كل شيء، القاهر فوق كل شيء، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] (١)

الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليهما السلام

وروى ابن عساكر عن زيد بن واقد قال: وكفى الوليد على المال في بناء جامع دمشق، فوجدنا فيه مغارة فمررنا الوليد ذلك، فلما كان الليل وافانا وبين يديه الشمع، فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع، وإذا فيها صندوق، ففتح الصندوق فاذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى ابن زكريا عليهما السلام. مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكرياه، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه، وقال: اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من بين الأعمدة، فجعل عليه عمود مسط الرأس، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت ركن من أركان إلقية - يعني قبل أن تبني - قال: وكان على الرأس شعر وبشر. وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال: حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة، فوضع تحت عمود الكاسة، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم: هو العمود الرابع المسط. وروى أبو بكر بن البرامى عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشعمانيين عن سفيان الثوري أنه قال: صلاة

في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قد سماه - أن واثلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقبه كعب الأخبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالى - يعنى الخليفة - إلى الخنية - يعنى القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنا لمجلى ومجلس قومي . قال كعب : هو ذاك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يعتمد على مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلى لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فبعثه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط بناء هود علمه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقى من أجلك ، زهدت في طول ما ترجو من أملك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلك أهلك وحشمك ، وأنصرف عنك الحبيب وأسلكك صاحب القريب ، ثم صرت تدعى فلا تحيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمعه ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ النرى ، ومجاور الموتى ، فاغتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكمظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن^(١) داود عليهما السلام .

وقال ابن عساكر : قرأت على أبي محمد السلى عن عبد العزيز التميمى أنباء تمام الرازى ثنا ابن البرامى سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازنى يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه وأعلموا به الوليد ، فخرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يد التمثال الواحدة الدرة التى كانت في المحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها جبتان ، حبة قح وحبّة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرهما لم يسوس في هذا البلد قح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حمدان الوراق - وكان قد عمر مائة

(١) كذا بالأصول ، ولعله سقط منه لفظ « سليمان بن » .

سنة - : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنما ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فاذا في يده حبة قمح ، فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قمح جعلها حكماء اليونان في كف هذا الصنم طلبها ، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القناطر التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين والطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ، وخالد من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف الجامع طلاس عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلاس للصنونات ، لا تدخل ولا تخرج فيه من جهة الأوساخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم للعنكبوت حتى لا ينسج فيه ، وفي رواية فيركبه الغبار والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لمسه بول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هناك يمدب ، فاذا سمعت الدابة صراخه فرغت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مفلت فتنتطلق طباعها وتروث ، وماذا لك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يمدبون والله أعلم .

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك بلشكار الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصفائر من نحاس ، وحية من نحاس وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصرفت العصفائر وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرهما . قلت : هذا يحتمل أحد شيئين إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد قيل إنه محدث بعد بناء الجامع ، ولا ينبغي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر ،

وإما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرق منه في الحائط القبلي باب آخر في محاكاة باب الزيادة ،
وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .
[قلت : باب الوراقين قبلي أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع
والله أعلم ، أو لمجارته للجامع ولبابه] (١)

قلت : فأما القبة التي في وسط صحن الجامع التي فيها الماء الجاري ، ويقول العامة لها قبة أبي نواس
فكان بناؤها في سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة . وأما
القبة الغربية العالية التي في صحن الجامع التي يقال لها قبة عائشة ، فسمعت شيخنا الذهبي يقول : إنها
إنما بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن منصور العباسي ، وجعلوها الحواصل الجامع
وكتب أوقافه ، وأما القبة الشرقية التي على باب مسجد علي فيقال : إنها بنيت في زمن الحاكم العبيدي
في حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعلمها الشريف نجر الدولة أبو علي
حمزة بن الحسن بن العباس الحسني ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجعل إليها قطعة من حجر كبير من
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة وأربعمائة
وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحمت ،
وذلك في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، فأعيدت ثم سقطت أعيدتها وما عليها من حريق اللبادين
والحجارة في شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصعة التي كانت في الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب
حريق النصاري في سنة إحدى وأربعين وسبعائة ، ثم استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما
كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذي شرقي فوارة جيرون ، بعد
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر ابتداء امر السبع بالجامع الأموي

قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر المري ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال
أبو عمر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل الخزومي ، في
قمة قدمها على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح في مسجد دمشق فسمع قراءة فقال :
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ في الخضراء ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرأ براءة
هشام ، فقرأ بقرائه مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقرائه . وقال هشام

ابن عمار خطيب دمشق : ثنا أيوب بن حسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن دهقان قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة الخزرجي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النبوية ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا السبع جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، ونعيم بن أوس الأشعري ، ويزيد بن أبي الهمداني ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن لبيد الأسدي . ومن الفقهاء والحديث والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القائم بن عبد الرحمن مولى معاوية ، ومكحول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن ذراك ، وعبد الرحمن بن عامر البحصي - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الحارث الدماري ، وعبد الملك بن نعمان المري ، وأنس بن أنس العذري ، وسليمان ابن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخشني ، وعمران - أو هران - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد ابن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أوردتم ابن عساكر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لانكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب ينكر الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي (ص) . قال ابن عساكر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ^(١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

فصل في

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة التي كانت موضوعة في ذى القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أعني سنة ست وتسعين - وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلما أخوه سليمان كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد

(١) كذا بالأصول . والصواب : في سنة تسع وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قل : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم انا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة
الداخلية صلحاً ، فانا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلة - قال فرضوا أن يهدم
كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو المحراب الذى يصلى
فيه ، قال : وهدم الكنيسة فى أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا فى بنائها سبع سنين حتى
مات الوليد ولم يتم بناءه ، فأتته هشام من بعده ففائدة وفيه غلط ، وهو قوله إنهم مكثوا فى بنائه
سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فانه لا خلاف أن الوليد بن عبد الملك توفى فى هذه السنة - أعنى
سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذى أتم ما بقى من
بنائه أخوه سليمان لاهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[قلت : نقل من خط ابن عساكر وقد تقدم ، وقد جددت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القباب
الثلاث التى فى صحنه . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت فى أيام المستنصر العبيدى فى
سنة خمسين وأربعمائة وكتب عليه اسمه واسم الابن الذى تزعى الرافضة أنهم أنتمهم ، وأما
العمودان الموضوعان فى صحنه فجعلتا للتنوير ليلالى الجمع ، وصنعا فى رمضان سنة إحدى وأربعين
وأربعمائة ، بأمر قاضى البلد أبى محمد] ^(١)

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وذكر وفاته فى هذا العام
هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ،
أبو العباس الأموى ، بويغ له بالخلافة بعد أبيه بهد منه فى شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر
ولده ، والولى من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسى . وكان مولده
سنة خمسين ، وكان أبواه يتفرغانه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أحمراً به أثر
جدري خفى ، أفضس الأنف سائله ، وكان إذا مشى يتوكف فى المشية - أى يتبختر - وكان جميلاً
وقيل دميماً ، قد شاب فى مقدم لحينه ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سألته
ما سمع فى أشراط الساعة ، كما تقدم فى ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيب وحكى عن الزهرى وغيره
وقد روى أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة
من أهل النحو عنده فأقاموا سنة ، وقيل سنة أشهر ، فخرج يوم خرج أجمل مما كان ، فقال عبد الملك :
قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألقينك إذا مت تجلس تمصر
عينيك ، وتمحن حنين الأمة ، ولكن شمروا نزر ، ودلنى فى حفرتى ، وخلنى وشائى ، وادع الناس إلى
البيعة ، فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . وقال الليث : وفى سنة ثمان وتسعين ^(٢) غزا الوليد

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٩٦ هـ .

بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد مملطية وغيرها ، وكان نقش خاتمه أو من بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يا وليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عبلة قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم تختتم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يختمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس .

وروى ابن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المثناة الشرقية يأكل شيئاً ، فأنه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حملاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زمرني البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صبيب ، فلأت منه غرائري ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخللة معي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إني سآني الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك المخللة من ذلك المال فلم أهتد إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فلما أيسرت رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام ، فأليت على نفسي أني لا آكل إلا خبزاً وتراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها حارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا واذهب إلى إبلتك نخذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقيته وعياله . وقال نمير بن عبد الله الشعماني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر .

[قلت : فتنى عن نفسه هذه الخمسة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المذمومة ، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثلات ، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات ، وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعوام والكتاب ، والفقهاء والقضاة ونحوهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في اللواط من المفسد ما يفوت الحصر والتعداد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره ، فانه يفسد فساداً لا يرجي له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، وينذهب خبر المفعول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صغره وبعد بلوغه ، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاعين ، الذين لعنهم رسول الله (ص) .]

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاً ، وبدل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله يغفر الذنوب للتائبين إليه [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون] [ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم] . وأما مفعول به صار في كبره شراً منه في صغره ، فهذا توبته متعذرة ، وبعيد أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم ينظروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاتمة ، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أعقاب الشهوات يطول هذا الفصل بدكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى [وكان الشيطان للإنسان خذولاً] بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط ، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعادنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الاشبيلي ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ولمن له جرأة على الكبار ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة اللواط من أعظم المفسدات ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فلهذا قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أهل السنن وصححه ابن حبان وغيره . وقد لعن النبي (ص) من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقائهما بين الناس ، لفساد طويتهما ، وخبث بواطنهما ، فمن كان بهذه المثابة فلا خير للخلق في بقائه ، فإذا أراح الله الخلق منهما صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما اللعنة فهي الطرد والبعد ، ومن كان مطروداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عبادته فلا خير فيه ولا في قربه ، ومن رزقه الله تعالى توسعاً وفراصة ، ونوراً وفرقاناً عرف من سجن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال العمال بائنة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم

وقد ذكر الله اللوطية وجعل ذلك آيات للمتوسمين فقال تعالى : [فأخذتهم الصيحة مشرفين ، فجعلنا عاليتها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للمتوسمين] وما بعدها . وقال تعالى : [أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلمعرفتهم بسبائهم ولتعرقهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم] ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فالوطى قد عكس الفطرة ، وقلب الأمر ، فأتى ذكراً قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وخصال التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : [التائبون العابدون] فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للآخرة ، وإلا فالنفس همالة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ لحظاته وخطواته ، ولفظاته وخطراته . قال رجل للجنييد : أوصني ، قال : توبة تحل الاصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخيرات ، ومراقبة الله في خواطر القلب . فهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى [الحمدون السائحون الراكون الساجدون] الآية فهذه خصال التائب كما قال تعالى : [التائبون] فكان قائلاً يقول : من هم ؟ قيل هم العابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم يتلبس بعد توبته بما يقربه إلى من تاب إليه فهو في بعد وإدبار ، لافى قرب وإقبال ، كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحذورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقدورات ، والله سبحانه وتعالى هو المعين الموفق ، وهو عليم بذات الصدور [(١)]

قالوا : وكان الوليد لحانا كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته (يا ليتها كانت القاضية) فظم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قریش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : لكن ابني سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخي أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثنا على - يعني ابن شعبة المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلافتهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجنومين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضريح قائلاً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيمة ، وكان يرسل بنيه في كل غزوة إلى بلاد الروم ، ففتح الهند والسند

والاندلس وأقاليم بلاد المعجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يمر بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبيع هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فانك تربح . وذكروا أنه كان يمر حملة القرآن ويكرّمهم ويقضى عنهم ديونهم ، قالوا : وكانت همه الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلتقي الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همه أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلتقي الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همه عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلتقي الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم نقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .

[والناس يقولون : الناس على دين ملّيكهم ، إن كان خماراً كثر الخمر ، وإن كان لوطياً فكذلك وإن كان شحيحاً حريصاً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كريماً شجاعاً كان الناس كذلك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم ^(١) .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجوجاً كثير الأكل والجماع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع والله أعلم .

قلت : بني الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبني صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبني مسجد النبي (ص) ، ووسعه حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر . وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز ^(٢) . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لنزلنه غير موسد ولا ممهد ، قد خلفت الأسلاب وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقيراً إلى ما قدمت ، غنيا عما أخرت . وجاء من غير وجه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمعت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، ومعام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشرويزيد ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عمه عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقد رثاه جبر فقال : -

يا عين جودى بدمع هاجه الذِّكرُ * فما لدمعك بعدُ اليوم مدخرُ
إن الخليفة قد وارت شائلة * غبراء ملحة في جوفها زورُ
أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من يدها القمرُ
كانوا جميعاً فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمرُ

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك زياد بن حارث التميمي الدمشقي ، كانت داره غربي قصر الثقفين ، روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة لمن له ما يغديه ويعشيه ، وفي النفل . ومنهم من زعم أن له صحبة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس ابن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، ووثقه النسائي وابن حبان ، روى ابن عساکر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرج الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبيا بعد محمد (س) ، أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

عبد الله بن عمر بن عثمان

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدحاً والله أعلم .

خلافة سليمان بن عبد الملك

بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طأوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أنشد في ذلك جرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانعقدت البيعة إلى سليمان ، تخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فعزل سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعادته إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبابكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتاباً يعزّيه في أخيه ، ويهنّئه بولايته ، ويدّكر فيه بلاءه وعناؤه وقتاله وهيبته في صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقاليم الكبار على يديه ، وأنه له على مثل ما كان للوليد من الطاعة والنصيحة ، إن لم يعزله عن خراسان ، ونال في هذا الكتاب من يزيد بن المهلب ، ثم كتب كتاباً ثانياً يدّكر ما فعل من القتال والفتوحات وهيبته في صدور الملوك والأعاجم ، وينمّ يزيد بن المهلب أيضاً ، ويقسم فيه لئن عزله وولى يزيد ليخلعن سليمان عن الخلافة ، وكتب كتاباً ثالثاً فيه خلع سليمان بالكليّة ، وبعث بها مع البريد وقال له : ادفع إليه الكتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد بن المهلب فادفع إليه الثاني ، فان قرأه ودفعه إلى يزيد ابن المهلب فادفع إليه الثالث . فلما قرأ سليمان الكتاب الأول - وافق حضور يزيد عند سليمان - دفعه إلى يزيد فقرأه ، فناوله البريد الكتاب الثاني فقرأه ودفعه إلى يزيد ، فناوله البريد الكتاب الثالث فقرأه فاذا فيه التصريح بعزله وخلعه ، فتغير وجهه ، ثم ختمه وأمسكه بيده ولم يدفعه إلى يزيد ، وأمر بانزال البريد في دار الضيافة ، فلما كان من الليل بعث إلى البريد فأحضره ودفع إليه ذهباً وكتاباً فيه ولاية قتيبة على خراسان ، وأرسل مع ذلك البريد بريداً آخر من جهته ليقرّره عليها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخليفة ، فدفع يزيد سليمان الكتاب الذي معه إلى يزيد قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن يرجع يزيد سليمان .

مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم على خلع سليمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذكر لهم همته وفتوحه وعدله فيهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إليهم ، فلما فرغ من مقالته لم يجبه أحد منهم إلى مقالته ، فشرع في تأنيبهم وذمهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، فغضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا ، وعملوا على مخالفته ، وسعوا في قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل يقال له وكيع بن أبي سود ، فجمع جمعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم يزل به حتى قتله في ذى الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم يبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن ساعد بن زرارة ، فحمته أخواله ، وعمر بن مسلم كان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح ويسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم قتلهم كلهم وكيع بن سود .

وقد كان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي ، من سادات الأمراء وخيارهم ، وكان من القادة النجباء الكبراء ، والشجعان وذوى الحروب والفتوحات السعيدة ، والآراء الحميدة ، وقد هدى الله على يديه خلقاً لا يحصىهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئاً كثيراً كما تقدم ذلك مفصلاً مبيناً ، والله سبحانه لا يضيع سعيه ولا ينجيب تعبهُ وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حتفه ، وفعل فعلة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية ، لكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، يضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيراً كثيراً ، وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال : -

كان أبا حفصٍ قتيبةً لم يسر * بجيشٍ إلى جيشٍ ولم يعل منبراً
ولم تحقق الرايات والقوم حوله * وقوفٍ ولم يشهد له الناسُ عسكراً
دعته المنايا فاستجاب لربه * وراح إلى الجناتِ عفّاً مطهراً
فما رزى الإسلام بعد محمد * بمثل أبي حفصٍ فبكيه عبثاً
ولقد بالغ هذا الشاعر في بينه الأخير . وعبر ولد له . وقال الطرماح في هذه الرقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارسٌ مذحج ابنة مذحج * والازد زعزع واستبيح العسكر
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب * منهم إلى أهل العراق مخبر
واستضلعت عقد الجماعة وازدرى * أمر الخليفة واستحل المنكر
قومٌ هم قتلوا قتيبةً عنوةً * والخيـل جاحدة عليها العنبر
بالمرج مرج الصين حيث تبينت * مضر العراق من الأعز الأكر
إذ حلفت جزعاً ربيعة كلها * وتفرقت مضر ومن يضر
وتقدمت ازد العراق ومذحج * للموت يجمعها أبوها الأكر
فحطان تضرب رأس كل مذحج * تحمي بصائرهن إذ لا تبصر
والازد تعلم أن تحت لوائها * ملكاً قراسية وموت أحمر
فبعزنا نصر النبي محمد * وبنا ثبت في دمشق المنبر
يقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطاً كثيراً وذكر أشعاراً كثيرة جداً . وقال ابن خلكان

وقال جرير يري قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :
ندمت على قتل الأمير ابن مسلم * وأنتم إذا لا قيم الله أندم

لقد كنتم من غزوه في غنيمته * وأنتم لمن لاقيم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حور الجنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعة الأثرة في البلدان ، فمنهم عمر بن سعيد بن قتيبة بن
مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رثاه حين مات أبو عمرو أشجع بن عمرو السلمي المري نزيل البصرة يقول :

مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه ماح
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبت الصفايح
وأصبح في لحد من الأرض ضيق * وكانت به حياً تضيق الضحاح
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تقص * فحسبك مني ما تجر الجوانح
فما أنا من رزئي وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح
كان لم يمت حتى سواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوايح
لئن حسنت فيك المرائي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

قال ابن خلكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة
عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض الجماهير أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتتكافأ
دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتل رجلاً من باهلة لقتلتك » . وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل
الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلاً من
أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرثي له قال : وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم .
فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في
الدنيا إلا ليعوضك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي أمير مصر وحاكها . قلت :
هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذي بنى جامع الفيوم . وفيها حج بالناس
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن
عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن
عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سود
والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

ففتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي [بناه] الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة ففتح حصونها وبرجة وحصن الحديد وسررا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد الفهرى ، وفيها ولي سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتبية بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتبية إلى سليمان فخطى عنده وكتب له بأمره خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأهم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أمر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأهم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهدته مع ابن الأهم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها ، وبعث يزيد ابنه مخلداً بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتبية بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له ونار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيده وابعث به إلى ، فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فعاقبه وحبسه قبل أن يجيئ أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتبية تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلب فقسلم خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب فغزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإنما هي جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له صول ، فتحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، وولياها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق . ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبد الله وجماعة ، وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة على ، وقد ترجمه ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة ، وقفه للناس ، ولا تراني إلا قاتله . فأرسل خلفه فعلمه على بن الحسين^(١) كلمات الكرب فقالها حين دخل عليه فنجاه الله منهم ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزارى . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقربة إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، فقال : الله ما هذا منى بمزح ولكنه الجد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ؟ . فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس اعلوا أن هذا ولى أمركم من بعدى ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر ثم تركه على لكان أول من ترك أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباؤنا إذ لم يعلمونا بذلك قد ظللونا وكنتموا عنا أفضل الأمور ، والله إني لأخشى أن يضاعف العذاب للعاصي منا ضعفين ، كما أنى لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مرتين ، ويلكم أحبونا إن أطعنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي

مولاهم ، كان مولى لا امرأة منهم ، وقيل كان مولى لبنى أمية ، افتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من حبن التمر ، وقيل إنه من أراشة من بلى ، سبى أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصرأ فصفر ، روى عن تميم الدارى ، وروى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي ، وولى غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبني هنالك حصوناً كما لما غوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون التى بناها بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جعله وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأى وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال البغوى^(٢) . ولى موسى ابن نصير إمرة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه (١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة على بن الحسين قبل هذا . (٢) فى المصرية الفسوى .

افتتح بلاد الاندلس ، وهى بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسبى منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يعد ، وأما الآلات والمتاع والدواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسبى من الفلاندان الحسان والنساء الحسان شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على العجل لكثرتها وعجز الدواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح فى بلاد المشرق ، فجزاها الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : ابعث معى رجلاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجلاً فأتى بهم إلى مكان فقال : احفروا ، فحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لوابن حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهرهم ، وأما الذهب فشئ لا يعبر عنه ، ووجدوا فى ذلك الموضع الطنافس ، الطنفسة منها منسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالؤلؤ الغالى المفتخر ، والطنفسة منظومة بالجواهر المكنن ، واليواقيت التى ليس لها نظير فى شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ مناد ينادى لايرون شخصه : أيها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم نخذوا حذرکم . وقيل إنهم وجدوا فى هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التى كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره وما جرى له فى حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيرى .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شئ رأيت فى البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مختومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه ويقول : والذى أكرمك بالنبوة لأعود بعدها أفسد فى الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأرى بهاء سليمان وملسكه ، فانساخ فى الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقى فرددن إلى مكانهن .

وقد ذكر السمعاني وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التى بقرب البحر المحيط الأخضر ، فى أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقبل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا مامعهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم

يبلغوا أعلى سورها ، فأمر فعمل سلام فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألقاها في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصعود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحدا خارجا من هذه المدينة أو دخلا إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياما ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والعهد على من ذكر ذلك أولا .

وقد استسقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث وتسعين حين أقعطوا بأفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس وميز أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا يذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم الجمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرهم ، والأسيان ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخشم والخشم والأبهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن يمين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشئ كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لى لقتنهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهى المدينة العظمى فى بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على ىدى إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه ثلاثين ألفا من السبى غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كان غنمه فى آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلى والجواهر ما لا يحد ولا يوصف ، ولم يزل مقبلا بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتبا على موسى لخبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل فى يده حتى حج بالناس سليمان فى هذه السنة وأخذه معه فمات بالمدينة ، وقيل بوادى القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفى فى سنة تسع وتسعين فآله أعلم ورحمه الله وعفا عنه وفضله آمين .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

فى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراء الجيش الذين هم بها ، فسار إليها ومعه جيش عظيم ، ثم التف عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه فى بلادهم ، وازرعوا فى أما كن الزرع واستغلوه ، وابنوا لكم بيوتا من خشب ، فانا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله . ثم إن مسلمة داخل رجلا من النصارى يقال له اليون ، وواطأه فى الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح فى بادئ الأمر ، ثم إنه توفى ملك القسطنطينية ، فدخل اليون فى رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفا شديدا ، فلما دخل إليهم اليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فأعمل الحيلة فى الغدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذى للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم فى القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلعوا إليك البلد سريعا ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر اليون فى السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش فى الليل ، وأصبح وهو فى البلد محاربا للمسلمين ، وأظهر العداوة الأكيدة ، وتمحصن واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شئ إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، ففكروا راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهدا شديدا ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجدا بالقسطنطينية شديد البناء محكما ، رحب الفناء شاهقا فى السماء .

وقال الواقدى : لما ولى سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببيت المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ،

حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلوا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع مادونها من البلاد ويفتحها عنوة ، ففى ما فتحت فان باقى مادونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الرأى ، ثم أخذ فى تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهرز فى البر مائة وعشرين ألفا ، وفى البحر مائة وعشرين ألفا من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بغزو القسطنطينية والاقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرذل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومى المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاوره ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك ونملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم ، فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، فحلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحى عنهم أخذوا فى ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار ، وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله .

قال ابن جرير : وفى هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فعزل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أيوب فى حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ونعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو فى قلة من الناس فى هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشا فماتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصين فحاصرها وقاتل عندها قتالا شديدا ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبغاً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحصى ولا يوصف كثرة وقيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقاتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجمعى - وكان فارساً شجاعاً باهراً - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه التركى بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركى ناشب فى

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرأ أحسن من هذا ، مَنْ هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهما كه في الشراب . ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف نوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفرانا ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس ، على الترس طيلسان وجام من فضة وسرفة من حرير ، وهذه المدينة كان سعيد بن العاص فيها فتحها صلحا على أن يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ، ويمنعون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جملة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلب وردھا صلحا على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالا كثيرة جدا ، فكان من جملة ما تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحدا يزهد في هذا ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلا لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهد فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مغازيا - فعرض عليه أخذ التاج فقال : لاحتاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلا أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فر بساتل فطلب منه شيئا فأعطاه [التاج] بكامله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالا كثيرا

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ، ثم استدعى الذي وشى به فشنمه ، فقال في ذلك القطامي الكلبي ، ويقال إنها لسنان بن مكل النخيري

لقد باعَ شهرُ دينه بخريطة * فن يَأْمَنُ القراءُ بملك ياشهرُ
أخنتُ به شيئا طفيفاً وبمنه * من ابنِ جوثبوذان هذا هو الفدرُ

وقال مرة بن النخعي :

يا ابنَ المهلبِ ما أردتَ إلى امرئ * لولاك كانَ كصالح القراء

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفا ، منهم ستون ألفا من جيش الشام أنابهم الله ، وقد تمهت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جدا ، ثم عزم يزيد على المسير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف إن الله وإنا إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها - وهو الاصهبند - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والرقيق . ومن توفي فيها

عبدالله بن عبدالله بن عتبة

من الأعيان :

كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة .
أبو الحفص النخعي . عبدالله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه
وتعالى أعلم . ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت
خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقيت من رمضان
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيلة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الافك ، رواه ابن عساكر من طريق ابنه عبد الواحد
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيذة أنه صحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت
فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أنمى . فقال ابن عمر : فأتهمي يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال
لي : لو أن لي أحداً هذا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن
يفتر بي . رواه محمد بن يحيى الذهلي عن أبي صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن
الزهري عنه

قال ابن عساكر : وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها ،
وبني داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الإمارة ،
وعمل فيها قبة صفراء تشبها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعبد محباً للفرز ، وقد أنفذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحوم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استفشد الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلموا أو يحكموا شعر الأعشى ،
فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قالته العرب ولا يفتح ، هات
يا وليد ، فقال الوليد :

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يعجني • كركبٍ بينَ دملوجٍ وخلخالٍ

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ؟ هات يا سليمان ، فقال :

حبذا رجعها يديها إليها * في يدي درعها تحمل الأزارا
 فقال : لم تصب ، هات يا مسلمة ، فأنشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربي * بسهميك في أعشار قلبٍ مقتل

فقال : كذب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما ينبغي
 للعاشق أن يفتضى^(١) منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فمن
 أتاني به فله حكمة ، أي مهما طلب أعطينه ، فتهضوا من عنده فبينما سليمان في موكب إذا هو بأعرابي
 يسوق إبله وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في مودتها * لمال يهوي سرياً نحوها راسي

فأمر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ،
 فأنشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس
 صاحبك . فقال : يا أمير المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعنك الوليد ، وإني أحب أن أكون ولياً
 العهد من بعده ، فأجابه إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وثمانين ، وأطلق له مائة ألف درهم ،
 فأعطاهما سليمان لتلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين
 وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع
 دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان
 سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه
 هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس ، فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس
 في قبة في صحن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقسم
 فيهم الأموال ، ثم عزم على الحجى إلى دمشق : فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له :
 إنا قد ولينا مائري وليس لنا علم بتدبيره ، فما رأيت من مصلحة العامة فرب به فليكتب ، وكان من
 ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأعطية بالمراق ،
 ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسمعها
 من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بغزو القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر
 نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر
 عليهم عمر بن هبيرة ، وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلمة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك

(١) يفتضى الجفاء أى يفتضى عنه . ولعله «ينتضى» بمعنى يخلع ، في مقابل قوله «ويكسوها»

في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب ، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال : أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، وزينة قلب ، تضحك باكيا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمناء وتؤمن خائفاء ، تفقر مثرىها ، وتثرى فقيرها ، ميالة لآفة بأهلها . يا عباد الله اتخونا كتاب الله إماما ، وارضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن يفسخه كتاب بعده . اعلوا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أديار الليل إذا عمس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنا أهل الدنيا على رحيل ، لم تمنص لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن لجائتها ولا تبقى من شر أهلها ثم يتلو [أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون] وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان [كان] : آمنت بالله مخلصا ، وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سلمة بن العيار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول : افتتحه خلافته بخير وختمها بخير ، افتتحها بأجابة الصلاة لمواقبتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز . ثم أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة ، قال الهيثم ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم غدا خصاؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال : بالله أستمع . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة ، حتى فزعوا لذلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أما ترى ما نحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمة فيها شائد ما ترى ، فكيف بأثار سخطه وغضبه ؟ ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والنطق يقطنه ، ولا يتم هذا إلا بهذا . ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقته ثم فتنه فلم يحمد عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقله على منطقته هجته ، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضاً وقال : الماقل أحرص على إقامة لسانه
منه على طلب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل
من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شره يتسلى عن صديق له مات فقال :
وهون وجدى فى شراحيل أنى * متى شئت لاقيت امرأ مات صاحبه
ومن شره أيضا :

ومن شيعى ألا أطارق صاحبي * وإن ملنى إلا سألت له رُشدا
وإن دام لي بالودر دمت ولم أكن * كآخز لا برعى ذماماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناء فى معسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس
ليسهل فتستودق له الرمكة ، وإن الجمل ليهدر فتضبع له الناقة ، وإن التيس لينب فتستغذى له
العنز وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز
قال : يا أمير المؤمنين إنها مثله ، ولكن انهم ، فنظام . وفى رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن
أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من
عنده من المغنين الحنثين .

وقال الشافعى : دخل أعرابى على سليمان فدعاه إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد فى
الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [رأس] البغل .
وذكروا أن سليمان كان نهما فى الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء فى ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح
فى بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع
الناس على العادة فى السباط العام^(١) . ودخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ،
فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلأ ذريعا من تلك الفواكه ، ثم
استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى
الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل ملوماً سويقاً وممناً وسكراً فأكله ثم عاد إلى دار
الخلافة ، وأتى بالسباط فافقدوا من أكله شيئاً^(٢) . وقد روى أنه عرضت له حمى عقب هذا الأكل أدته
إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربعمائة بيضة وسلتين تيناً فالله أعلم .

وذكر الفضل بن أبى المهلب أنه لبس فى يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء .

(١) هذا وامثاله من مبالغات الاعاجم التى كانوا يتقربون بها إلى بنى العباس . وسيأتى فى ص ١٨٣
أن سليمان رحمه الله أنه كان نحيفاً جميلاً ، وهى صفة لاتتفق مع ما نسبوه اليه (٢) الذى اخترع هذه
الأكاديب نسى أن المعدة لاتقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً .

واعتم بعامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرأة فأعجب حسنه ، وشمر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقه إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حبيباً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فذنا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :

أَنْتَ نَعَمَ الْمُنْتَعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى * غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

أَنْتَ خُلُوْءٌ مِنَ الْعَيُوبِ وَمَا * يَكْرَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَانِ

قالوا : فصاح بها وقال : عزتني في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القعقاع العنسي^(١) أن يصب عليه وقال :

قَرَبَ وَضُوءُكَ يَا وَلِيدُ فَإِنَّمَا * دُنْيَاكَ هَذِي بَلْعَةً وَمَتَاعٌ

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا * فَالْذَّهْرُ فِيهِ فِرْقَةٌ وَجَمَاعٌ

ويروى أن الجارية لما جاءت به بالطست جعلت تضطرب من الحمى ، فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محمومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محمومة ، وكان بمرج دابق من أرض قنسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج يصلي بالناس فأخذته بحجة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحمى فمات في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه أصابه ذات الجنب فمات بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفتح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فمات قبل ذلك رحمه الله وأكرم مثواه ، قالوا : وجعل يلهج في مرضه ويقول

إِنَّ بَنِي صَغَارَ * أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارُ

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يقول

إِنْ بَنِي صَبِيَّةٌ صَيْفِيُونَ * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رُبْعِيُونَ

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كريماً ، ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبني أمية - قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي له ابناً صغيراً لم يبلغ الحلم ، قلت : إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، قلت : إنه غائب عنك بالقسطنطينية ولا تدرى أحيى هو أم ميت ، فقال : من ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن اتخوف عليه إخوتك أن لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك وأشار رجال ^(١) أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان ، فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إني قد وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيقطع فيكم عدوكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العباسي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختموماً ، فمن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستمع فيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ، قلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : ولقيه هشام بن عبد الملك فقال : يارحاه إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إلى علمت ، وإن كان لغيري فما مثلي قصربه عن هذا . قلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرّه إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فاذا هو يموت ، فجعلت إذا أخذته السكره من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فاذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يارحاه ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارحاه إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفته إلى القبلة فمات رحمه الله . قال : ففطينته بقטיפه خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق ، قلت : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، قلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تغيرت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبأ به أبداً ، قلت : أضرب عنقك والله ، قم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصعدوه على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال : رجاء بن خبوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فنبأهم ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم ! إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت

(١) في المصرية : وأشار سليمان بن رجاء . ولعله : وأشار رجاء .

تتنازع هذا الأمر. ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وباعوه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا واليكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل، فأخذوا في جهاز سليمان، قال الأوزاعي: فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب، فلما انصرف عمر أتى بمراكب الخلافة [فأبى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق، فلما به نحو دار الخلافة قال: لا أنزل إلا في منزلي^(١) حتى تفرغ دار أبي أبوب، فاستحسنوا ذلك منه، ثم استدعى بالكاتب فجعل يعل عليه نسخة الكتاب التي يبايع عليه الأمصار، قال رجاء: فما رأيت أفصح منه.

قال محمد بن إسحاق: وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين، على رأس سفتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من متوفى الوليد، وكذا قال الجمهور في تاريخ وقاته، ومنهم من يقول: لعشر بقين من صفر، وقالوا: كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم. وقول الحاكم أبي أحمد: إنه توفى يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من رمضان سنة تسع وتسعين، حكاه ابن عساكر، وهو غريب جداً، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله، وعندما أنه جاوز الأربعين فقبل بثلاث وقيل بخمس والله أعلم. قالوا: وكان طويلاً جميلاً أبيض نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً بليغاً، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قريبة من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت، فمات هنالك كما ذكرنا، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله ممن يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي مامضونه: إن مسلمة ابن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتبع المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان^(٢) يستنصره على مسلمة، ويقول له: ليس لهم (١) كان منزله في موضع مدرسة السيساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمال. أما قصر الخلافة الذي يسمى (الدار الخضراء) فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية. ويسمى موضعه الآن (المصنعة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية.

همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنيهم متى فرغوا مني خلصوا إليك ، فهما كنت صانعاً حينئذ فاصنه الآن ، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إلى يستنصرني عليك ، وأنا معك فرني بما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجالاً ولا عبيداً ، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزواد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلها ويشتري منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هنالك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من السكائن بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بغتة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فأنال الله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل جيشاً كثيراً صحبة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يعبروا خليج القسطنطينية أولاً فيقاتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقطعوا إليهم تلك الخلعجان ، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ، فهزمهم المسلمون بأذن الله ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم نجحوا إلى مسلمة فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أنابهم الله .

خليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر ماضين ، وقد قيل بقين من صفر من هذه السنة - أثنى سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدمنا ، وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتعشف والصيانة والنزاهة ، من أول حركة بدت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد المعدة لها ، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً نواقة لا تعطى شيئاً إلا ناقت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة ناقت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها برحمتك الله . وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله ، وكان مما بادر إليه عمر في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبيد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخيول كثيرة عتاق ، يقال خمسمائة فرس ، وفرح الناس بذلك ،

وفيهما أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقا كثيرا من المسلمين ، فوجه إليهم عمرُ حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو بمخاضرة . وقد كان المؤذنون يذكرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك والله أعلم . فروى ابن عساكر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت . وفي هذه السنة عزل عمر يزيد بن المهلب عن إمرة العراق وبعث عدي بن أرطاة الغزاري على إمرة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استغفاه فأعفاه ، واستقضى مكانه إلياس بن معاوية الذكي المشهور ، وبعث على إمرة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشمي . قال الواقدي : فلم يزل قاضيا عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمرة خراسان الجراح بن عبد الله الحسكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمرة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمرة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيان إلى جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتنون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلق كثير من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد بن الحنفية

تابي جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفي في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الأعلام أنه توفي هذا العام ، والله أعلم .

عبد الله بن عمار بن جنادة بن عبيد

القرشي الجمحي المكي ، نزيل بيت المقدس ، تابي جليل ، روى عن زوج أم أبي مخنف المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهرى ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بمأبدهم ابن عمر ، فانا نفخر عليهم بمأبدهم عبد الله بن عمار . وقال بعض ولده : كان ينظم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه .

قالوا : وكان صموئيل معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله المحمودة ، ورأى على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه ، فقال : إنما البسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن محيريز : لا تعدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين . وقال الاوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فان الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حانوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له ، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لنشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه .
محمود بن لبيد بن عقبة

أبو نعيم الأنصاري الأشيلي ولد في حياة النبي (ص) ، وروى عنه أحاديث لكن حكها حكم الارسال . وقال البخاري : له صحبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين

نافع بن جبير بن مطعم

ابن عدي بن نوفل القرشي النوفلي المدني ، روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً بحج ماشياً ومركوبه يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

كريب بن مسلم

مولى ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حمل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

محمد بن جبير بن مطعم

كان من علماء قریش وأشرافها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل حجة بجمها النبي (ص) في وجهه وعمره أربع سنين ، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

مسلم بن يسار

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد ، له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاعداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في داره حريق فاطفاؤه وسوفي الصلاة لم يشعر به ، وله مناقب كثيرة رحمه الله . قلت : وانهممت مرة ناحية من المسجد ففرع أعل السوق لهدتها ، وإنه لني المسجد في صلاته فما التفت . وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك

وأنت عني راض ، ثم ينهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألقاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته

حنش بن عمرو الصنعاني

كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفي غازيا ، وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة.

خارجة بن زيد

ابن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ، كان يفتي بالمدينة ، وكان من فقهاء المحدثين ، كان عالما بالفرائض وتقسيم الموارث. وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الامام أحمد : حدثنا علي بن حفص أنبأ ورقاء عن منصور عن المنهال بن عمرو عن نعم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله -س- : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة » ؟ إنما قال رسول الله -س- : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة ممن هوى ، وإن رخاء هذه الأمة بعد المائة » . تفرد به أحمد . وفي رواية لابنه عبد الله أن عليا قال له : يافروخ أنت القائل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هوى اليوم ، وإنما رخاء هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله -س- : « لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف » . أخطأت أستاذك الحفزة ، وإنما أراد من هو اليوم حي . تفرد به (١) وهكذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر . فوهل الناس في مقالة رسول الله -س- ، تلك ، وإنما أراد أنخرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالمرق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعوهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسروهم الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جيشه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حربهم ، فأظفروهم الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك علي ؟ فإن كنت خرجت غضاً لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وهلم أنا ظرك ، فإن رأيت حقا اتبعته ، وإن أبيت حقا نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختار منهم عمر رجلين فسالهما : ماذا تتقدمون ؟ فقالا : جعلك يزيد بن عبد الملك من بعدك ، فقال : إني لم أجعله أبداً وإنما جعله غيري . قال : فكيف ترضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال إن بني أمية دست إليهم بما قتلوه خشية أن يخرج الأمر من أيديهم ويمنعهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولعله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد »

وفيهما غزا عمر بن الوليد بن هشام الميظلي ، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص ، الصائفة
وفيهما ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الجزيرة فصار إليها . وفيها حمل يزيد بن المهلب إلى عمر
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر ينفذ
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها محاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب
الأعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . يقال له عمر : لا أسمع
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بعث على إمرة
خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي عوضه ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، مغلدة بن يزيد ، فقال :
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قدم على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكون نحن أشقى الناس بك
فعلام نجس هذا الشيخ وأنا أقوم له أنصالحني عنه ؟ قال عمر : لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع
ما يطلب منه ، ولا آخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . قال : يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بينة عليه بما تقول وإلا فأقبل يمينه أو فصالحني عنه ، فقال : لا آخذ منه إلا جميع ما عنده .
فخرج مغلدة بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات مغلدة . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف وبركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي
إليها الفساق ، فشفعوا فيه فردوه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي ، وأظنه
كان علما أن عمر قد سقى سما .

وفيهما في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان ،
بعد سنة وخمسة أشهر ، وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية من أسلم من الكفار ويقول : أنتم إنما
تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الإسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن
الله إنما بعث محمداً (ص) داعياً ، ولم يبعثه جايياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم
عن الشر ، ويبين لهم الحق وبوضعه لهم ويعظم فيهم بينته وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان
فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله فاحمداً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولاولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ،

والتوفير عليهم . وأدعى الامانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون ميلك ميلا إلى غير الحق ، فان الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهب عن الله مذهبا ، فانه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواعظ كثيرة إلى العمال . وقال البخارى فى صحيحه : وكتب عمر إلى عدى بن عدى : إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسفناً ، من استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص .

وفيهما كان بدو دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن على بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلاً بأرض انشراة - بعث من جهته رجلاً يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكيم قبل أن يعزل فى رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة الذى بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن على ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إمامه ، وأول رأى قد أحكم الله إبرامه ، أن دولة بنى أمية قد بان عليها مخايل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتى بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن على اثني عشر نقيباً ، وهم سليمان بن كثير الخزاعى ، ولاهز بن قريظ التميمى ، وقحطبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب التميمى ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمى ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبى ميعيط - ومالك بن المهيم الخزاعى ، وطالحة بن زريق الخزاعى ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - ، وشبل بن طهمان أبو على المروى - مولى لبنى حنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن على كتاباً يكون مثلاً وسيرة يقتدون بها ويسرون بها .

وقد حجج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة . والنواب على الأمصار المذكورون فى التى قبلها ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يحج عمر ابن عبد العزيز فى أيام خلافته لشغله بالأمر ، ولـسـكـنـه كان يبرء البريد إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله (ص) ، عني ، وسيأتى بإسناده إن شاء الله .

ومن توفي فيها من الأعيان

(سلم بن أبى الجعد الأشجعى) مولاهم السكونى . أخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران

ومسلم ، وهو تابعي جليل ، روى عن ثوبان^(١) وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان ابن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعمش وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلاً .

أبو أمانة سهل بن حنيف

الأنصاري الأوسى المدني ، ولد في حياة النبي (س) ، وولاه وحدث عن أبيه وهر وعثمان وزيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو جازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا . وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خروجة خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حصبه الناس وحلوا بينه وبين الصلاة ، فصل بالناس يومئذ أبو أمانة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم

أبو الزاهرية حدير بن كريب المحصي

تابعي جليل ، سمع أبا أمانة صدى بن مجلان ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا الدرداء ، الصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلة ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن معين وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتيبة : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس فجاءت السدنة فأغلقت عليّ الباب ، فما انتبهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعوراً فإذا الملائكة صفوف ، فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره :

أبو الطفيل عامر بن واثلة

ابن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي (س) ، وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي (س) يستلم الركن بمحجنه ، وذكر صفة النبي (س) ، وروى عن أبي بكر وهر وعلى ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن قم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رايته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقي لك الدهر من ثكالك عليا ؟ فقال : ثكل المعجوز المقلاة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التفسير . قيل إنه أدرك من حياة النبي (س) ثمان سنين ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة فله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من ملئت من الصحابة مطلقاً ومات سنة مائة .

أبو عثمان النهدي

واسمه عبد الرحمن بن ملج البصري ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة

(١) في خلاصة تذهيب الكمال : قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه ،

النبي (س)، ولم يره، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي (س)، ومثل هذا يسميه أحمد الحديث مخضرمًا، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب، فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة وصحب سلمان الفارسي ثنتي عشرة سنة حتى دفنه، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، منهم أيوب، وحيد الطويل، وسليمان بن طرخان التيمي، وقال عاصم الأحول: سمعته يقول: أدركت في الجاهلية ينفوث صنًا من رصاص يحمل على جمل أجرد، فاذا بلغ واديا برك فيه فيقولون: قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فيزلون فيه، قال: وسمعته وقد قيل له أدركت النبي (س)؟ فقال: نعم! أسلمت على عهده، وأديت إليه الزكاة ثلاث مرات، ولم ألقه، وشهدت اليرموك والقادسية وجولاء ونهاوند. كان أبو عثمان صومًا قوامًا، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه، وكان يصلي حتى يفشى عليه، وحج سنين مرة ما بين حجة وعمره، قال سليمان التيمي: إني لأحسبه لا يصيب ذنبًا، لأنه ليله قائمًا ونهاره صائمًا، وقال بعضهم: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: أتت على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أُملي فاني أجده كما هو. وقال ثابت البناني عن أبي عثمان. قال: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قال فيقول: من أين تعلم ذلك؟ فيقول قال الله تعالى [فاذكروني أذكركم] فاذا ذكرت الله ذكرني. قال: وكنا إذا دعونا الله قال: والله لقد استجاب الله لنا، قال الله تعالى [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] قالوا: وعاش مائة وثلاثين سنة، قاله هشيم وغيره. قال المدائني وغيره: توفي سنة مائة، وقال الفلاس: توفي سنة خمس وتسعين، والصحيح سنة مائة والله أعلم.

وفيها توفي عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وكان يفضل على والده في العبادة والانقطاع عن الناس، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه.

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

فيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز فواعد غلمانه يلقونه بالخيال في بعض الأماكن، وقيل بابل له، ثم نزل من محبسه ومعه جماعة وامرأته عاتكة بنت الفرات العامرية، فلما جاء غلمانه ركب رواحه وسار، وكاتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك، ولو رجوت حياتك ما خرجت، ولكني خشيت من يزيد بن عبد الملك فإنه يتوعدني بالقتل، وكان يزيد يقول: لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب طائفة، وذلك أنه لما ولي العراق عاقب أصحابه آل عقيل، وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجًا ببنت محمد بن يوسف، وله ابنة الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي. ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال: اللهم إن كان يزيد بهذه الأمة

سوءاً فأكفهم شره واردد كيده في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بخصاصة ، من دير سمعان بين حماه وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الاربعاء لخمس بقين من رجب من هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فآله أعلم .

وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً دينياً ، لا تأخذه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى .

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الأمام المشهور رحمه الله

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاطب رضي الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعدلا بني مروان . فهذا هو الأشج وسيأتي ذكر الناقص . كان عمر تابعياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابي صغير . وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الأمام أحمد بن حنبل : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز . يوقع له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بمصر ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، فآله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة ولكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خنيفة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شريحيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن منادياً بين السماء والأرض ينادي : أياكم القيين والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين ، فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إيس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه فضربه فرس فشجه ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بنى أمية إنك إذا لسميد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ أمه فأرسلت إليه فقالت : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضحاك بن عثمان الخزامي . كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يؤدبه ، فلما حج أبوه اجتاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ماخبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت مرجلتى تسكن شعري ، فقال له : قد غبت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أمه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر مفضضا وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ قال ففهنها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يدكر عليا إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ثنا الفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي - . فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني العتيبي قال : إن أول ما استبين من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى قهائها وأتأدب بأدابهم ، فعند ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقعده مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذه عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُها * أختُ الخلائفِ والخليفةُ زوجها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال العتيبي : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئا سوى متابعتة في النعمة ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأخنف بن قيس : الكامل من عدت هفواته ولا تعد إلا من قلة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والدواب هو وإخوته ما لم يرثه غيره فيما نعلم ، كما تقدم ذلك ، ودخل يوما على عمه عبد الملك وهو يتجاف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشي غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحا ، فقال : وأين هو من جسدك ؟ قال : بين الزائقة والصفن - يعني بين طرف الالية وجلدة الخصية - فقال عبد الملك لروح بن زنباع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ، ولما ولى الوليد عامه بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

وبنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي (ص) ، ووسعه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر النبي (ص) ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر منهم ، وهم عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيثمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سميد بن المسيب ، وقد كان سميد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ، وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد ندبهم عمر يوماً إلى رأى

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البربري أنه ذا كر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي نفسى بيده ما أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه بصلاة رسول الله (ص) من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة . قالوا :

وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع والتسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المدني ، قال : رأيت سليمان ابن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ، قلت : تعلمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر نعلمه فابرحنا حتى تعلمنا منه . وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ، كان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال عبد الله بن طاووس : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ، فلما افتراقا قلت : يا أبا من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لى فقال لى: اذكر ليلة صبيحتها يوم القيامة^(١)

وقال الامام مالك: لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه: يا مزاحم، نخشى أن نكون ممن نفت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبير خبث الحديد - وينصح طبيبها. قلت: خرج من المدينة فتزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً^(٢)، ثم قدم دمشق على بنى عمه. قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم. قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى، فلما قدمت الشام نسيت. وقال الامام أحمد: حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد عن معمر عن الزهرى قال: سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فحدثته، فقال: كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت. وقال ابن وهب عن الأيث عن عقيل عن الزهرى قال قال عمر بن عبد العزيز: بعث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة، فدخلت عليه فإذا هو عابس، فأشار إلى أن اجلس، فجلست فقال: ما تقول فيمن يسب الخلفاء أقتل؟ فسكت، ثم عاد فسكت، ثم عاد فقلت: أقتل يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن سبب، فقلت: ينكل به، فغضب وانصرف إلى أهله، وقال لى ابن الريان السيف: اذهب، قال: فخرجت من عنده وما نهب ربح إلا وأنا أظن أنه رسول يردنى إليه. وقال عثمان بن زبر: أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين ومعه عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال، فقال سليمان: ما تقول يا عمر فى هذا؟ فقال: أرى دنيا يأكل بعضها بعضاً وأنت المسئول عن ذلك كله، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة فى فيه من فسطاط سليمان وهو طائر بها، ونمب نعمة، فقال له سليمان: ما هذا يا عمر؟ فقال: لا أدري، فقال: ما ظنك أنه يقول؟ قلت: كأنه يقول: من أين جاءت وأين يذهب بها؟ فقال له سليمان: ما أعجبتك؟ فقال عمر: اعجب من عرف الله فعصاه، ومن عرف الشيطان فأطاعه، ومن عرف الدنيا فركن إليها.

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بعزفة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر: هؤلاء رعيتك

(١) بالأصول « يوماً صبيحتها يعنى يوم القيامة » ومصححناه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز، واستنبط فيها من عطائه عين ماء، وله فيها قصر مبنى. ولما تنازل لبیت المال عن جميع ما ورثه عن آبائه أبى (السويداء) و (خير) لأنه اطمأن إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة. وكان هو خليفة يأكل من غلتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مسئول عنهم غدا . وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكي سليمان وقال : بالله نستعين . وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فزع سليمان وضحك عمر فقال له : أضحك ؟ فقال : نعم هذه آثار رحمته ونحن في هذه الحال ، فكيف بآثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك أن سليمان وعمر تقاولا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزم على الرحيل إلى مصر ، فلم يمكنه سليمان ، ثم بعث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمر يهمني إلا خطرت على بالي . وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك والله الحمد .

فَضِيلَتُهُ

وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ثنا عبد الله بن دينار قال قال ابن عمر : يا عجبا ! يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجهه أثر ، فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقال البيهقي : أنبا الحاكم أنبا أبو جامد بن علي المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عفان ثنا عثمان بن عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدى رجلا بوجه شجان يلى فيما لا الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ؟ قال وهيب بن الورد : بينما أنا نائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله . فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفره فاذا مكتوب عليه عمر ، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزازي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله (ص) في روضة خضراء فقال له : « إنك ستلى أمر أمتي فزع عن الدم فزع عن الدم » ، فان اسلمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسلمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رياح بن عبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن (١) وزعه يزعه فاتزع ، أي كف عنه .

هذا الشيخ جاف ، فلما صلى ودخل لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذي أتتكاته يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أتى سألني أمر هذه الأمة وأنى سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عتبس . قال : كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل علينا من عين ؟ فقال أبو عتبس : فقلت عليكما من الله عين بصيرة ، وأذن سمعية ، قال : فترقت عيننا الفتى . فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي أمير المؤمنين ، ولئن طالت بك حياة لترينه إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن معاوية شيء جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر في النجوم والطب . وقد ذكرنا في ترجمة سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يعهد إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الصالح رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء فكتب سليمان العهد في صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك عمر ولا أحد من بني مروان سوى سليمان ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة بإحضار الأمراء ورموس الناس من بني مروان وغيرهم ، فبايعوا سليمان على ما في الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا ثانية قبل أن يعلموا موت الخليفة ، ثم فتحها فقرأها عليهم ، فاذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ، فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه فأنعمت له البيعة .

وقد اختلف العلماء في مثل هذا الصنيع في الرجل يوصي الوصية في كتاب ويشهد على ما فيه من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ، وروى ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة الحزمي ومكحول ، ونمير بن أوس وزرعة بن إبراهيم ، والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه وقضاة جنده ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاةهم . وروى عن قتادة وعن سوار ابن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ العنبري فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخاري في صحيحه . قال المعافى : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم إبراهيم وحامد والحسن ، وهو مذهب الشافعي وأبي ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبي جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعي بالعراق يذهب

الى القول الأول ، قال الجربري : وإلى القول الأول نذهب : وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمرآة الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلولا التقي ثم النهى خشية الردى * لعاصيت في حب الصبا كل زاجر

قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى * له صبوة أخرى الليالي الغواير

ثم قال : ماشاء الله لا قوة إلا بالله . قدموا إلى بغلق ، ثم أمر ببيع تلك المرآة الخليفة فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المشتمة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مغتما مهموما وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشرق والمغرب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلى في ذلك أو لم يكتب ، طلبه مني أو لم يطلب . قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكى جوارها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحما الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شغل شاغل * وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فرا * غ لنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من يحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا . نرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويعيننا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ، ولا يفتان عندنا أحدا ، ولا يعرضن فيما لا يعنيه . فانقشع عنه الشعراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما سمعنا أن يفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أبا ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبر أبائك وصل أخاك ، وتمطف على ولدك . وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأتاه إلهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت . وقال سالم : اجعل الأمر واحدا وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت . فكان قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال - وقد خنقته العبرة - أيها الناس أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، وأصلحوا أمراركم يصلح لكم علانيتكم ، والله إن عبدا ليس

بينه وبين آدم أب إلا قد مات ، إنه لمرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مقتبط عما قليل يظمن . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قير العين فيها يانع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حقه ، فسلبه إثارة دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصانعه ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا ككتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكني منفذ ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع ، إن الرجل الهارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو العاصي ، ألا لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنني لأقتلكم حملا ، ألا لا طاعة للمخلوق في معصية الله ، ألا هل أسمعتم .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن لسعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، تغاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانياً ببالق ، ونافلاً بما لا نفاد له ، وقليلًا بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم للباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبته حتى تنفيوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير موسد ولا ممد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك ، فقير لما قدم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، راقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وإيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنها سنن من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته ، فعا عاد لمجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله (ص) في النوم وهو يقول : « ابن يا عمر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فأعمل نحواً من عمل هذين ، فإذا كهلان قد اكتنفاه ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر . » وروينا أنه قال : لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك ،

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجحد على الخير أعوانا ، وأنت لا تجحد من يمينك على الخير . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية آمنت بالله ، وفي رواية الوفاء عزيز . وقد جمع يوما رموس الناس فخطبهم فقال : إن فذك كانت يسد رسول الله (س) يضعها حيث أراه الله ، ثم وإياها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدرى ما قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أقطعها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت عليه في زمان رسول الله (س) . قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال رسماها أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجع فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة فتزلات عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين عاما ما أقت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الامام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طاووس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسى من إساءته ، وزيد المحسن في إحسانه ، صرح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، فقيل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فمن عمر الآخر ؟ قال : يوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان . وقال عباد السامك وكان يجالس سفيان الثوري - : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء فاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم ينادى : أين الفارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدلته وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته وصحبته ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله (س) . خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها إماماً أوهبة ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهدتها إليه وهبتها منه ، فلما أختلها به أعرض عنها ، فتمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : ياسيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لباقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبعث بي إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوماً عليه وهو جالس في مصلاه واضعاً خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فنفكرت في الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعمري المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد (ص) ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فمكبت . وقال ميمون بن مهران ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلى بعض عماله : إذا دعيتك فمديرك على الناس إلى مظلة ، فاذكر قدرة الله عليك وفاد ما تأتي إليهم ، وبقاه ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للأسلام سننا وفرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيديها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحر يص . وذكر البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثلب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه وينفعه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياها ، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال لرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بمرّة السلطان فأقال منك ماتتالي مني غداً ؟ قم عافاك الله لا حاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة ، والعفو في المقدرة ، والرفق في الولاية ، ومارفق عبد

بمعد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشبهه صبي منهم ، فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاؤا به إلى عمر ، فسمع الجليلة فخرج اليهم ، فاذا مريثة تقول : إنه ابني وإنه يتيم ، فقال لها عمر : هوني عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ! قال : فاكتبوه في الذرية . فقالت زوجته فاطمة : أتفضل هذا به وقد شج ابنك ؟ فقل الله به وفصل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يتيم وقد أفزعتمود . وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة . قالوا : ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس ، وقد وقف مرة على راهب فقال له : ويحك عظمي ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

تجرد من الدنيا فانك إنما * خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد

قال : وكان يمجبه ويكرهه وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهماً أو فلوساً يشتري لها عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتي ما تشتري به شيء ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأنكال غداً في نار جهنم . قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسه طين ، قالوا : وبعث يوماً غلامه ليشوي له لحمه فجاء بها سريعاً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كلها فاني لم أرزقها ، هي رزقك . وسخنوا له الماء في للمطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطباً . وقالت زوجته : هاجم ولا احتلم وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان يحدث الحوض فبعث إليه فأحضره على البريد وقال له ، كالتلوجع له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافني بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت ثوبان يقول قال رسول الله (ص) : «حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وأول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين ، الشعث رؤساء ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنتهات ، ولا تفتح لهم السدد » . فقال عمر : لكنني نكحت المنتهات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لأغسل رأسي حتى يشعث ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لبيت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرطاً . وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً فاشتبهه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محلها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (ص) كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية

كانت لرسول الله (ص) هدية ، فأما نحن فهي لنا رشوة . قالوا : وكان يوسع على عماله في النفقة ، يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أمنعهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجل من ولد علي : إني لأستحي من الله أن تقف بيابي ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدنيا لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن و بنو عمنابنوهاشم مرة لنا ومرة علينا ، فلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسبت كل نافع ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب ثنا خالد بن خدّاش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي - وكان يرعى الغنم لحمد بن عيينة - قال : كانت الأسد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال فحسبناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجالاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيقك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقني . ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبقاك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، متلوّاً بالخطايا ، أتمنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنا مثلك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر

وإذا المرء زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فعشى السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا آتبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ! دعه ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملين . فقلت : أفلا أقوم أصلحه ؟ فقال : لا ! ليس من المروءة استخدام الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتاً ثم جاء وقال : قت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر ابن عبد العزيز ، وقال : أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : إنه لينعني من كثرة ذكرها مخافة المباهاة ، وبلغه أن رجلاً من أصحابه توفي ، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه ، فصرخوا في وجهه

بالبكاء عليه ، قال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذى يرزقكم حى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبرة إلا امتلأت عبدة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذى يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم باكياً فليبك على نفسه ، فإن الذى صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لى : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائى بنى أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذتهم وعيشهم ، أما ترام صرعى قد خلت بهم المثلثات ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد أمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز فى جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتى قبور الأجنة ، فأقام فجعل يبكى ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : يا عمر ألا تسألنى ما فعلت فى الأجنة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مرقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الحذقتين ، ونزعت الكفين من الساعدين ، والساعدين من المضدين ، والمضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقدمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن ينهب قال له : يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال : وماهى ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقمت الليلة مفكراً ، قال : وفيه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث فى قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قر به بعد طول الأنس منك بناحيته ، ولرأيت بينا نجول فيه الهوام ، ونخترق فيه الديدان ، ويجرى فيه الصديد ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، وفناء الثوب ، قال : ثم شفق شهقة خر مغشياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقرأ [وقفوم إنهم مسؤولون] فجعل يكررها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلى العشاء ثم يجلس يبكى حتى تغلبه عيناه ، ثم يفتبه فلا يزال يبكى حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معى فى الفراش فيذكر الشئ من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض المصفور فى الماء ، ويجلس يبكى ، فأطرح عليه الحاف رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشركين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : مارأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز .
وقال بعضهم : رأيته يبكي حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ [إن ربكم الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام] الآية ، وقرأ [أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون]
ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ،
ثم ييكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فما تزودَ مما كانَ يجمعه * سوى حنوطٍ غداةَ البينِ في خرقِ
وغيرِ نفحةِ أعوادٍ تشبُّ له * وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلقِ
بأبما بلدٍ كانتَ منيتهُ * إن لايسرُ طائفاً في قصدها يُسقى

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلمشوا من الغبار والشمس انحازوا إلى
الظل فبكى وأنشد :

من كانَ حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتهُ * أو الغبارُ يخافُ الشينَ والشعنا
ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتهُ * فسوفَ يسكنُ يوماً راغماً جدنا
في قبرٍ مظلمٍ غبراءَ موحشةٍ * يطيلُ في قعرها تحتَ الثرى اللبنا
تجهزى بجهازٍ تبلغينَ بهِ * يأنفسُ قبلَ الردى لم تخلقِ عبنا

هذه الأبيات ذكرها الأجرى في أدب النفوس بزيادة فيها قال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا
أبو حفص عمر بن محمد القراطيسي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح
القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال :
أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى اليون طاغية الروم يدعوه إلى الاسلام ، فقال له
عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إئذن لي في بعض بنى يخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من
الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيت ابنك
عبد الله يمشى مشية كرهتها منه ومقته عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما مشيته
تلك فبرزة فيه ، وأما الشعر فأنما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيني وخذ
معك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشد فأنشده ذلك الشعر المتقدم :

تجهزى بجهازٍ تبلغينَ بهِ * يأنفسُ قبلَ الردى لم تخلقِ عبنا
ولا تكدى لمن يبقى وتفتري * إن الردى وارثُ الباقي وما ورننا
واخشى حوادثِ الدهرِ في مهلٍ * واستيقظى لا تكوني كالذى بجنا
عن مديّةٍ كانَ فيها قطعُ مدتهِ * فوافتَ الحرثَ موفوراً كما خرنا

لا تأمنى فجع دهرٍ مترفٍ ختلٍ * قد استوى عندهم طلبٌ أو خبثا
 ياربِ ذى أملٍ فيه على وجلٍ * أضحي به آمنا امسى وقد حدا
 من كان حينَ تصيبُ الشمسُ جبهتهُ * أو الغبارُ يخافُ الشينَ والشمنا
 ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتهُ * فكيف يسكنُ يوماً راعماً جدنا
 قراءَ موحشةٍ غرباءَ مظلمةٍ * يطيلُ تحتَ النرى من قمرها البشا
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فصر أنشدها عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .
 وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويكيه

وقال الفضل بن عباس الجلي : كان عمر بن عبد العزيز لا يحيف فوه من هذا البيت :
 ولا خيرَ في عيشٍ امرئٍ لم يكن له * من الله في دارٍ القرارِ نصيبُ
 وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :
 فان تُعجبَ الدنيا أناساً فانها * متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ
 ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أنا ميتٌ وعز من لا يموتُ * قد تيقنتُ أنني ساموتُ
 ليس ملكٌ يزيله الموتُ ملكاً * إنما الملكُ ملكٌ من لا يموتُ
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تسرُّ بما يفنى وتفرحُ بالمتى * كما اغترَّ بالذاتِ في النومِ حالمُ
 نهاركُ يامغرورٌ سهوٌ وغفلةٌ * وليك نومٌ والردى لك لازمُ
 وسعيكُ فيما سوف تتركه غبةٌ * كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ
 وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يلوم نفسه :

أيقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائمٌ * وكيف يطيقُ النومَ حيرانُ هائمُ
 فلو كنتَ يقظاناً الغداة لحرقتَ * محاجرَ عينيكِ اللموعُ السواجمُ
 أصبحتَ في النومِ الطويلِ وقد دنتُ * إليك أمورٌ مغطياتُ عظامُ
 وتكدحُ فيما سوف تتركه غيباً * كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ
 فلا أنتَ في النومِ يوماً بسالمٍ * ولا أنتَ في الايقاظِ يقظانُ حازمُ

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : اتبته عمر ذات ليلة وهو يقول :
 لقد رأيتُ الليلة رؤيا عجيبة ، قلت : أخبرني بها ، فقال : حتى نصبح ، فلما صلى بالمسلمين دخل

فسألته فقال : رأيت كافي دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه الفضة تخرج منه خارج فنأدى ابن محمد بن عبد الله ، ابن رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله (س) ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فنأدى : ابن أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنأدى ابن عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنأدى ابن عثمان بن عفان ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنأدى ابن علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فنأدى ابن عمر بن عبد العزيز ؟ فتمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله (س) ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله (س) رجل ، قلت : لابي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنت عليه ، واثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي ، وإذا علي في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربي .

فصل في ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله (س) قال : « إن

الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . فقال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق ، لأمامته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي سيرة لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردها سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة ، ومسند في مجلد ضخ ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا ، يستدل به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يعطى من انقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، للفقه ونشر العلم وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار ، وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالسنة ، ويقول : إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله ، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذمي من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ولا سراويل ، ولا يمشين أحد منهم إلا بزغار من جلد ، وهو مقرون الناصية ، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه . وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ، فإن لم يكن عندهم خير فقيرهم أولى أن لا يكون عنده خير . وكان يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضاعها فهو لما سواها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعظة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العمالة وطوى البلاد من شدة ما تقع موعظته منه ، وذلك أن الموعظة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسان ولو تفحصنا ذلك لطلال هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة ، فيها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرا . وكتب إلى آخر : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العمالة وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

قصص النبائل

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا ، حتى انه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم في اللبس والمأكل والمتاع ، حتى انه ترك التمتع بزوجته الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلي الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربعين دينار في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، مات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان يبدى ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يغسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفرو الغليظة ، وكان سراجة على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يلبس شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالى بشئ من النعيم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بمخافتها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروحته ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها وجعل

بروحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابني . وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الاسلام عني خيراً . ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غللاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يظنون أنه مالا أو جوهراً من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المكان فإذا فيه غل ومسح .

وكان يبكي حتى يبكي الدم من الدموع ، ويقال إنه بكى فوق سطح حتى سال دمه من الميزاب ، ولكن يأكل من الشمس ليرق قلبه وتغزر دمعته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أو صاله ، وقرأ رجل عنده [وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين] الآية ، فبكى بكاء شديداً ثم قام فدخل منزله وتفرق الناس عنه ، وكان يكثر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد ، وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد . وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فمهمهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء ففرتهم وشتنتهم وأبعدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من عصم من المرء والغضب والطمع . وقال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تقله . وقال : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب . وقال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع . وقال : قيدوا العلم بالكتاب ، وقال لرجل : علم ولدك الفقه الأكبر : القناعة وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فأحسن فقال : هذا هو السحر الخلال . وقصته مع أبي حازم مطولة حين رآه خليفة وقد شحب وجهه من النقشف ، وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك نقياً ؟ ووجهك وضياً ؟ وطعامك شهيياً ؟ ومركبك وطياً ؟ فقال له : ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « إن من ورائكم عقبة كثودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته تلك أن القيامة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فن أنت ؟ قال : أنا الحاجج بن يوسف ، قتلتني ربي كل قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون . وفضائله ومآثره كثيرة جداً ، وفيها ذكرنا كفاية والله الحمد والمنة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل ، وقيل سببها أن مولى له صمغ في طعام أو شراب ، وأعطى على ذلك ألف

دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولاة الذي سقاه، فقال له: ويحك!! ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها. فقال: هاتها، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد قهالك. ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفاقي أن أمس شحمة أذني أو أوتي بطيب فأشمه ما فعلت، قيل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشيء فانهم فقراء؟ فقال: [إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] والله لا أعطيهم حق أحد وم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فلا كنت لأعينه على فسقه. وفي رواية فلا أبالي في أي وادهلك. وفي رواية أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل. ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أتيت المدينة، فإن قضى الله موتا دفنت في القبر الرابع مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب، إلا النار فانه لا صبر لي عليها، أحب إلى من أن يعلم الله من قلبي أنني لذلك الموضع أهل. قالوا: وكان مرضه بدبر سمعان من قرى حصن وكانت مدة مرضه عشرين يوما، ولما احتضر قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، ثلاثا، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة مام بانس ولا جان، ثم قبض من ساعته. وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلمة بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسمعه يقول: مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إانس ولا جان ثم قرأ [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين] ثم هدأ الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض وسوى إلى القبلة وقبض.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

فقرأوها فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكفانه ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده عن عمير ابن حبيب السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذا له ابنة مثل الشمس ، فعرضها عليّ على أن يقامني نعمته وأدخل معي في دينه فأبيت ، وخلصت بي ابنته فعرضت نفسها على فامتنعت ، فقالت : ما يمنعك من ذلك ؟ فقلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سر على هذا النجم بالليل واكن بالهيار ، فانه يلقيك إلى بلادك ، قال : فسرت كذلك ، قال فبينما أنا في اليوم الرابع مكن إذا بخيل مقيلة فخشيت أن تكون في طلي ، فاذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير . فقلت : لهم أوليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عمير ، فأردفتي فسرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحقتني شر . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فاذا حلت عقدة الكفن أن أنظر في وجهه فادلى ، ففعلت فاذا وجهه مثل القراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحل عن وجوههم فاذا هي مسودة . وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف ابن ماهك قال : بينما نحن نسوى التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك فذكره ، وفيه غرابة شديدة والله أعلم . وقد رثيت له منامات صالحة ، وتأسف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والعباد ، ورثاه الشعراء ، فن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير غزاة يرثي عمر : -

عمت صنائعه فعمّ هلاكه * فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأثم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله * خيراً لأنك بالنار جدبر
ردت صنائعه عليه حياته * فكأنه من نشرها منشور

وقال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله : -

ينعى النعامة أمير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمراً عظيماً فاضطلمت به * وسرت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر
وقال محارب بن دثار رحمه الله يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :-

لو أعظم الموت خلقاً أن بواقعه * لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة عدل قد نعثت لهم * كادت تموت وأخرى منك تفتقر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي * على المدول التي تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأيت عيني لهم شهباً * تضم أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تقبعم لم تأل مجتهداً * سقياً لها سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك والاقدار غالباً * تأتي رواحاً وتبيناً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعة * بدير سمعان لكن يغلب القدر

قالوا : وكانت وفاته بدير سمعان من أرض حمص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة لخمس مصين ، وقيل
بقين من رجب ، وقيل لعشر بقين منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة
ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،
وكان عمره يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرأ ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة .
وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعا وثلاثين ، وقيل
ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها . وقال أحمد عن عبد الرزاق
عن معمر : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول
تسعا وثلاثين سنة وأشهرأ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،
وقيل سنتان ونصف .

وكان رحمه الله أتمر دقيق الوجه حسنه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بجمته أثر شجة
وكان قد شاب وخضب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

قصة أمه

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع
الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه
حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتليت بهذا الأمر
عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم
من بيعتي ، فاخاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصاح المسلمون ضيعة واحدة : قد اخترناك

لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خلف من كل شيء ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقاً ، ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم ! ثم نزل فدخل فأمر بالسور فهتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يقبوا مقيلاً ، فأتاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قال : تعيل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ فقال : إني سهرت البارحة في أمر سليمان ، فإذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : ادن مني أي بني ، فدنا منه فقبل بين عذيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبى من يعيننى على دينى . ثم قام وخرج وترك القائة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلة فليرفعها ، فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضى . والعباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ما تقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلاً ، فقال عمر : ما تقول يا ذمى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فاردد عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تتابع الناس في رفع المظالم إليه ، فمارفت إليه مظلة لإرداه ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئاً ، فأتوا عمتهم فاطمة بنت مروان . وكانت عمته - فشكوا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويستقصبون عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأساً ، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثها ، فرآها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ فقالت : بنو أخي عبد الملك وأولادهم يهاتون في زمانك وولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويسبون عندك فلا تنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحمة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجد ، فقال : يا عمه ! اعلم أن النبي -

(١) في الأصل « من أهل خضر » وصحناه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحوزي صفحة ١٠٤

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئا حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئا حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقى حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وإيم الله لئن أبقانى الله لأردته إلى مجراه الأول ، فن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يسبوا عنك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظلمته فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فاذا عليه قميص وسخ ، فقلت فاطمة : ألا تنسلوا قميص أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قميص غيره ، وبكى فبكت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما أنجلت عنهم العبرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسد أفنه حتى وضع ، فقيل له في ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريحه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فنظر إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يمثل كثيراً بهذه الأبيات : -

يرى مستكيناً وهو لقول ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغل
وأزعجه علم عن الجهل كله * وما عالم شيئاً كمن هو جاهل
عبوس عن الجهال حين يرام * فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبق من العيش فارغى * فأشغله عن عاجل العيش آجل

وروى ابن أبى الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى وهو ينشد شعراً ، فأنهى في شعره إلى هذه الأبيات : -

فكم من صحيح بات للموت آمناً * أنه المنايا بقتة بعد ما جمع
فلم يستطع إذ جاء الموت بقتة * فراراً ولا منه بقوة امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنماً * ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله * وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى لاله * ولا معدماً في المال إذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة ، أنه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال يزيد يا أمير المؤمنين إن هذا المرأى - يعنى عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودرنمين ، في بيتين في داره مملوءين ، وهما مقفولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغنى أن عمر خلف جوهرًا ودرًا في بيتين مقفولين . فأرسلت إليه : يا أخى ما ترك عمر من سبد ولا لبد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فله فوجد فيه قيصا غليظا مرقوعا ، ورداء قشبا ، وجبة محشوة غليظة واهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلت تقول له : والذي فجئنى بأمر المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولى الخلافة ، لملى بكرهته لذلك ، وهذه مفاتيحهما فتعال فحول ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فاذا فيه كرسى من آدم وأربع أجرأت مبسوطات عند الكرسى ، وققم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله ، ثم فتح البيت الثانى فوجد فيه مسجداً مفروشا بالحصا ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الانسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبته ، وربما كان يضعها إذا نفس لثلا ينام ، ووجدوا صندوقا مقفلا ففتح فوجدوا فيه سبطا ففتحها فاذا فيه دراعة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : يرحمك الله يا أخى ، إن كنت لتلقى السريرة ، نقي العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول : أستغفر الله ، إنما قات ما قيل لى .

وقال رجاء : لما احتضر جعل يقول : اللهم رضى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب لما عجلت تأخيرها ، ولا لما أخرت تعجيلها . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت ومالى فى الأمور هوى إلا فى مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة : أما بعد يا عمر فإنه قد ولى الخلافة والملك قبلك أقوام ، فأتوا على ما قد رأيت ، ولتوا الله فراذى بعد الجوع والحفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون ، فانفقت عينهم التى كانت لا تنفثا تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير موسدين بعد لين الوسائد ، وتظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، وانشتت بطونهم التى كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح المعطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين ممن كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، ولنفر منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب والنياب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافا فى أغراضهم وأهوائهم ، ويقتررون فى حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوبون مرتبهون بما عليهم ، وأنت غير محبوب ولا مرتبه بشئ فافعل ، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله سبحانه .

وما ملك عما قليل بسالم * ولو كثرت أحراسه ومواكبه
ومن كان ذاباب شديد وحاجب * فما قليل يهجر الباب حاجبه
وما كان غير الموت حتى تفرقت * إلى غيره أعوانه وحبايبه
فأصبح مسروراً بكل حاسد * وأسلمه أصحابه وحبايبه
وقيل إن هذه الآيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فاني أرجو أن يمن الله به على من سمعه أو بلغه ، فقتل إليك عني يا أبا أيوب ، فان في القول على الناس فتنة لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالؤمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يمشون على القبور !! وروى عبد الرزاق قال : سمعت معمرًا يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره - : أما بعد فانه غرني بك مجالستك القراء ، وعمايتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت العلانية فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فمليك لزوم السنة ، فانه إنما سنّها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحق والخطأ ، والتمق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإنا كان عملهم على الأسد ، ولو كان فيما يعملون أنفسهم فضل لكانوا فيه أخرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد

قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون ففلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز . ما أحسن هذا القول الذي ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمثابرة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذي يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مرزبان عن رشيد بن سعيد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : من رسول الله (ص) وخلفاؤه بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأى من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاء الله ما تولى ، وأصله جهنم وساءت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعد له أحق ، والمكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى [ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم] وقوله تعالى [وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون]

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بثس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيا لم يعرف النية - أולם تدخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أظمت ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرتفع النهار ، فإني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني ، فقال له موله : رأيك البارحة بكيت بكاء ما رأيته بكيت مثله ، قال فبكى ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشى عليه فلم يفق حتى علا النهار ، قال : فما رأيته بعد ذلك متبسما حتى مات .

وقرأ ذات يوم [وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا] الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى مضمه أهل الدار ، فقامت فاطمة فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز

خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، وراه حبهشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجع الحبهشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحلنا الله ، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ [إذا الشمس كورت] فقال : وما شأن الشمس [وإذا الجحيم صعرب وإذا الجنة أزلقت] فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءت بي إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلثمائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلائق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن عاملك بأذربيجان عدا عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شتائية ، فجعلت أصطلي على كانون هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلي معي على ذلك الكانون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قصّ عليّ ، قلت ما أنا بغاصّ ، فقال : تكلم ، فقلت زياد ، فقال : ماله ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون .

وقال له زياد العبدى : يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف واعملها في الخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألد ماحاله ؟ قال : سيّء الحال ، قال : فان كانا خصمين الدين ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فان كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا يهنه عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد (ص) إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فان من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويفشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فن انتبه فلا ينتبه إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله عما حرم ، فاما من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استخف بما حرم الله عليه فله أشد عقوبة له وأشد تنكيلا

خلافة يزيد بن عبد الملك

بويح له بمهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أغنى سنة إحدى ومائة - بإيحه الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذلك تسع وعشرون سنة ، فعزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضاغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحده حدين فيها

وفيهما كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جنود الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرم ، فتذاوروا بينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً ، وقتلوا من آخرهم ، فلم يبقوا منهم نائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب فخلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتال طويل ، فلما ظهر عليها بسط الدمل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى ابن أرطاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من محبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمارة أتى بعدى بن أرطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت تتل كما يتل العبد . فقال عدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك وأن من ورائي طالبا لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أمية بالشام ، ولا يتركونك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأمواله ، فتطالب الأقالمة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواب ما قال ، ثم سجنه كما سجن أهله ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان ، ومعه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمة بين يدي عمه مسلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتاله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء فيما ذا يعتمد ؟ فاختلوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رؤس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن نجعلوني طائراً في رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزله بأحسن حصن فيها ، ويجمع

عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام، وانسلخت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصده. وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة، وعلى مكة عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعلى قضائها عامر الشعبي، وعلى البصرة يزيد بن المهلب. قد استعوذ عليها وخلص أمير المؤمنين يزيد ابن عبد الملك. وفيها توفي عمر بن عبد العزيز، وربيع بن حراش، وأبو صالح السمان وكان عابداً صادقاً نبياً، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم.

ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

فيها كان اجتماع مسلعة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من واسط واستخلف عليها ابنه معاوية، وسار هو في جيش، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب، حتى بلغ مكاناً يقال له المقر، وانتهى إليه مسلعة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها، وقد التقت المقدمتان أولاً فقتلوا قتالا شديداً، فهزم أهل البصرة أهل الشام، ثم تذاصر أهل الشام فحملوا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان، منهم المنتوف، وكان شجاعاً مشهوراً، وكان من موالى بكر بن وائل، فقال في ذلك الفرزدق:

تبكى على المنتوف بكر بن وائل * وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

فأجابه الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان، وهذا الرجل هو أول الجهمية، وهو الذي ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد:-

نبكى على المنتوف في نصر قومه * وليتنا نبكى الشائد بن أباهما

أرادا فناء الحي بكر بن وائل * فمزّ تميم لو أصيب فساهما

فلا لقيا روحاً من الله ساعة * ولا رقأت عينا شجى بكاهما

أفى النش نبكى إن بكينا عليهما * وقد لقيا بالفش فينا رداهما

ولما اقترب مسلعة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب، خطب يزيد بن المهلب الناس وحرّضهم على القتال - يعنى قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف، وعشرين ألفاً، وقد بايعوه على السمع والطاعة، وعلى كتاب الله وسنة رسوله (ص)، وعلى أن لا يظأ الجنود بلادهم، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج، ومن بايعنا على ذلك قبلنا منه، ومن خالفنا قاتلناه.

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة، وينهاهم أشدّ النهي، وذلك لما وقع من القتال الطويل العريض في أيام ابن الأشعث، وما قتل بسبب

ذلك من النفوس المدينة ، وجعل الحسن يخطب الناس ويدّهم في ذلك ، وبأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه - يثبط الناس ، أما والله ليكنن عن ذلك أو لأفعلن ولأفعلن ، وتوعد الحسن ، فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجّهت تبارز الناس قليلاً ، ولم ينشب الحرب شديداً حتى فر أهل العراق سريعاً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهزموا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يفرّ من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : قبّحهم الله ، ثم رام أن يرد المنهزمين فلم يمكنه ، فثبت في عصابة من أصحابه وجعل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شردمة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتجاوزون عنه يميناً وشمالاً ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغيظاً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السميذع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له الفجل بن عياش ، فقتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلمة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستخوذ مسلمة على مافي معسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلمة فنزل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عمد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عدى بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبد الملك ابنا مسمع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة وسعه الخزائن من الأموال ، وجاء معه معه الفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن وتجهزوا أنم الجهاز واستعدوا للهرب ، فساروا ببياهم وأقالمهم حتى أتوا جبال كرمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعة ممن قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقد أمروا عليهم الفضل بن المهلب ، فأرسل مسلمة جيشاً عليهم هلال بن ماجور الحاربي في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمروا عليهم رجلاً يقال له مدرك بن ضب الكلبي ، فلحقهم ببجبال كرمان فاقبلوا هناك ، قتلاً شديداً ، فقتل جماعة من أصحاب الفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهزم بقيتهم ، ثم لحقوا الفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلمة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخفوا لهم أماناً من أمير الشام

منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأثقال والأموال والنساء والذرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث مسلمة بالرؤس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحلف مسلمة بن عبد الملك لبييعن ذراري آل المهلب ، فاشترام بعض الأمراء إبراراً لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وخلي سبيلهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك الأمير شيئاً وقد رنا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستناب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان ختنة - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بخديته ، فسار إليها فخرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالاً ممن كان ينوب لآل المهلب ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشاً إلى الصفد لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم فائب سمرقند - وهو عثمان بن عبيد الله بن مطرف - على أربعين ألفاً ، ودفع إليهم سبعة عشر دهنقاراً رهائن عندهم ، ثم نسب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [خطبهم] فخطبهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غالق جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسايتهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبتهم يومهم ذلك ، فثبتوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جعلوا شعارهم يا محمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وعقروا دواب كثيرة ، ونهض إليهم الترك فقاتلهم قتالاً شديداً ، حتى فر أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالاً عظيماً ، والنف الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلبون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب :

أن لا تتبعوا أحدا ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتملوهم وحازوا مافي معسكر أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الغد فلم يجدوا به داعياً ولا نجياً ، فقالوا في انفسهم : هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفى فيها من الأعيان والسادة :

الضحاك بن مزاحم الهلالي

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاك إماما في التفسير ، قال الثوري : أخذوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ، وقال الامام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفاً . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وحلت به أمه ستين ، ووضعته وله أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

ابو المتوكل الناجي

اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر ، مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فيها عزل أمير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خذينة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجريشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهقروا من بلاد الصفد إلى ماوراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

يزيد بن أبي مسلم

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد القاصي المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، ووثقه غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفى سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفى قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جلوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

مجاهد بن جبير المكي

أبو الحجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطاوس ، وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركاني وقال : وددت أن ابني سلما وغلامي نافعا يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين ، ألقه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

قصته

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنامن إلا على وضوء فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) قال : يسلم عليه إذا لقيه وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة عنه أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبة عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئاً ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولاً . وروى ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحاً . وقال : فلا أنفسهم يمهدون . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يجمع من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بلغوا أرواف الحرم خلعوا نعالهم ثم دخلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : [يا مريم اقنتي لربك] قال : اطلبي الركود . وفي قوله تعالى : [واستغفر من استغفرت منهم بصوتك] قال المزاهير . وقال في قوله تعالى [أنكلا وجحيا] قال : قيود . وقال في قوله : [لا حجة بيننا وبينكم] قال لا خصومة . وقال : [ثم لتسألن يومئذ عن النعيم] قال : عن كل لغة في الدنيا . وروى أبو الدبيع عن جرير ابن عبد الحسيب عن منصور عن مجاهد . قال : رن إبليس أربع رفات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين بعث النبي (ص)، وحين أنزلت [الحمد لله رب العالمين] وأنزلت بالمدينة . وكان يقال : الرنة والنخرة من الشيطان ، فلمن من رن أو نخر . وروى ابن نجيح عنه في قوله تعالى [أتبنون بكل ريع آية تعبثون] قال : بروج الحمام . وقال في قوله تعالى [أنفقوا من طيبات ما كسبتم] قال : التجارة . وروى ليث عن مجاهد قال [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] قال : استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبيجر عن طلحة بن مصرف عن مجاهد [ولم يكن له كفوا أحد] قال : صاحبة . وقال ليث عن مجاهد قال : النملة التي كملت سليمان كانت مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيح عن مجاهد . قال : كان الغلام من قوم عاد لا يحتمل حتى يبلغ مائتي سنة . وقال : [سأل سائل] دعا داع . وفي قوله [ماء غدا لنفنتهم فيه] حتى يرجعوا إلى علمي فيه [لا يشركون بي شيئا] قال لا يحبون غيري . [الذين يمكرون السيئات] قال هم المراؤون . وفي قوله تعالى : [قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله] قال هم الذين لا يدرون أنعم الله عليهم أم لم ينعم . ثم قرأ [وذكركم بآيام الله] قال : أيامه نعمه ونقمه . [فردوه إلى الله والرسول] فردوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سنته . [وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة] قال : أما الظاهرة فالاسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب . وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأت حطبا جزلا فقالت لغلام سليمان : هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب ؟ فقال الغلام : دعى مولاى أنا أعرف كم وزن دخانه ، فكيف مولاى ؟ قالت : فكم وزنه ؟ فقال الغلام : يوزن الحطب ثم يحرق الحطب ويوزن رماده فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون] قال : من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينقضى من الدنيا إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذى أراحنى من الدنيا وأهلها ، ثم يطوى عليه فيختم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عز وجل هو الذى يفض خاتمه . وقال في قوله تعالى : [يؤتى الحكمة من يشاء] قال : العلم والفقه ، وقال إذا ولى الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : [ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] قال : البدع والشبهات . وقال : أفضل العبادة الرأى الحسن - يعنى اتباع السنة - وقال : ما أدرى أى النعمتين أفضل ، أن هدانى للإسلام ، أو عافانى من الأهواء ؟ . وقال في رواية : ألو الأمر منكم ، أصحاب محمد ، وربما قال : أولو العقل والفضل فى دين الله عز وجل [بما صنعوا قارعة] قال السرية . [ويخلق ما لا تعلمون] . قال : السوس فى الثياب . [وهن العظم منى] قال : الأضراس . [حفيا] قال رحيا . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت فى كتاب محمد بن أبي جاتم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد . قال : لو أن رجلاً أنفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى [وهو شديد المحال] قال : العداوة [بينهما برزخ لا يبغيان] قال : بينهما حاجز من الله فلا يبغي الحلو على المالح ولا المالح على الحلو . وقال ابن منده : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعشى قال : كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بئر برهوت . قال : وذهب إلى بابل ، قال : وعليها وال صديق لمجاهد : فقال مجاهد : تعرض على هاروت وماروت ، قال : فدعا رجلاً من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب بي إلى قلعة فقطع منها حجراً ثم قال : خذ برجلي ، فهو بي حتى انتهى إلى حوبة ، فاذا هما معلقين منكسين كالجليلين العظيمين ، فلما رأيتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطربا فكأن جبال الدنيا قد تدكنت ، قال : فغشي على وعلى اليهودي ، ثم أفاق اليهودي قبلي ، فقال : قم ! كدت أن تهلك نفسك وتهلكني .

وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر ، بالغنى ، والمرضى ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للغنى : ما شغلك عن عبادتي التي إنما خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكثر ما لي من المال فطغيت . فيؤتى بسلامان عليه السلام في ملكه فيقول لذا : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فان هذا لم يمنعه ما أوتى من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرضى فيقول : ما منعك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأيوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أأنت كنت أشد ضرا ومرضا أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضربه ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول الله له : ما منعك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت على أربابا فلكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رقبته وعبوديته فيقول الله له : أأنت كنت أشد في رقك وعبوديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فان هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي . وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أردت أن أركب مسك ركابي ، فاذا ركبت سوى علي ثيابي فرآني مرة كأني كرهت ذلك في ، فقال : يا مجاهد إنك لضيق الخلق ، وفي رواية : صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جعلت الأرض ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للفناء . وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد . [ويأمنهم اللاعنون] قال : تلعن عصاة بني آدم دواب الأرض وما شاء الله حتى الحيات والعقارب ، يقولون : منعنا القطر بذنوب بني آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في قبورهم ، لما كان ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم ، فتلك الحشرات من العقارب والحيات هي السيئات التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلذونها ، صارت عذاباً عليهم . نسال الله العافية . وقال : [إن الانسان لربه لكنود] لكفور . وقال الامام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ابيث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن زروق حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد . قال [فظن أن لن نقدر عليه] أن لن نعاقيه بذنبه . وبهذا الاسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى سمعتها في قراءة عبد الله بيتاً من ذهب . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خليفة عن ابيث عن مجاهد : إن الله عز وجل ليصلح بصلاح العبد ولده . قال : وبلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى للمؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بخير . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكنب عن مجاهد في قوله تعالى [وتقطعت بهم الأسباب] الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : [لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة] قال : الالاء الله عز وجل . وقال في قوله تعالى [بقية الله خير لكم] طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى [ولن خاف مقام ربه جنتان] قال : هو الذي يذكر الله عند الهم بالمعاصي . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : [سيام في وجوههم] الخشوع . وفي قوله تعالى : [وقوموا لله قانتين] قال القنوت الركود والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصا ، أو يعبت بشئ أو يتحدث نفسه بشئ من الدنيا . إلا خاشعاً مادام في صلاته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو وحدثنا ابن إدريس حدثني عقبة بن إسحاق - وأثنى عليه خيراً - حدثنا ابيث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت العرب استخفيت وجديتها من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة الكف ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قبض هكذا - وضم الخنصر حتى ضم أصابعه كلها اصبعاً اصبعاً - قال : ثم يطبع ، فكانوا يرون ذلك الزان : قال الله تعالى : [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وروى قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : [بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته] قال : الذنوب تحيط بالقلوب كالحائط المبني على الشئ المحيط ، كلما عمل ذنباً ارتفعت حتى تغشى القلب حتى تكون هكذا - ثم قبض يده - ثم قال : هو الزان . وفي قوله : [بما

قدم وآخر [قال : أول عمل العبد وآخره [وإلى ربك فارغب] قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فممت إلى الصلاة فاجعل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور عن مجاهد [النفس المطمئنة] قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربها وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : مامن ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكرك فمن أهل الذكرك ، وإن كان من أهل اللهوف فمن أهل اللهوف . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يعجزني ابن آدم فلن يعجزني من ثلاث خصال : أخذ مال بغير حق ، وإتفاقه في غير حقه ^(١) وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حر مندم قد ضل حماره فهو مهم . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد قال قال لي : يا أبا الغازی كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فان الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصا . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي علي عن ليث عن مجاهد قال : ذهب العلماء فما بقي إلا المتعلمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن يحياه منه بمنعه من المعاصي لكان في ذلك خير . وقال : الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه ، والجاهل من عصي الله وإن كثر علمه . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : [وثيابك فطهر] قال : عملك فأصاح ، [واسألوا الله من فضله] قال : ليس من عرض الدنيا [والذي جاء بالصدق وصدق به] قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للعبد إني معك ما اتبعني ، فإذا لم تعمل بي اتبعتك . [ولا تنفس نصيبك من الدنيا] قال : خذ من دينك لا آخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحبر عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أي حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقة من حلال ، فذكرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال فماذا يضره قلة عقله ؟ فقال : يا أبا حجاج ، سألتني عما سألت عنه رسول الله (ص) ، فقال : « والذي نفسي بيده ما أطاع العبد الله بشيء أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبد ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً فاق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر » ^(١) كذا بالأصل . . .

مما يصلح . قلت : ذكر العقل في هذا الحديث ورفعته إلى النبي (ص) من المنكرات والموضوعات ، والثلاث الخصال موقوفة على ابن عمر ، من قوله من جمع ثلاث خصال ، إلى قوله : قال ابن عباس صدق ، والباقي لا يصح رفعه ولا وقفه ، وداود بن المحبر كنيته أبو سليمان ، قال الحاكم : حدث بيغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة ، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة ، وله كتاب العقل ، وأكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله (ص) ، وذكر العقل مرفوعاً في هذه الرواية لعله من جملتها ، والله أعلم . وقد كذبه أحمد بن حنبل [١]

مصعب بن سعد بن أبي وقاص

تابعي جليل القدر . موسى بن طلحة بن عبيد الله التميمي ، كان يلقب بالمهدي لصلاحه ، كان تابعياً لجليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

ثم دخلت سنة اربع ومائة

فيها قاتل سعيد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الصغد وحاصر أهل خجندة وقتل خلقاً كثيراً ، وأخذ أموالاً جزيلة ، وأسر رقيقاً كثيراً جداً ، وكتب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك ، لأنه هو الذي ولاه . وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس ، وكان سببه أنه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك ، فألح عليها وتوعدها ، فأرسلت إلى يزيد تشكوه إليه ، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب الطائف فولاه المدينة ، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين وهو متكئ على فراشه بدمشق ، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار ، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلة بن عبد الملك ، فدخل على أخيه فقال : إن لي إليك حاجة ، فقال : كل حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك ، فقال : هو والله حاجتي ، فقال : والله لا أقبلها ولا أعفو عنه ، فرده إلى المدينة فتسلمه عبد الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف ، فسأل الناس بالمدينة ، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا ، وكان الزهري قد أشار عليه برأى سديد ، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل ، ولم يفعل ، فأبغضه الناس وذمه الشعراء . ثم كان هذا آخر أمره .

وفيها عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشي ، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة ، فلما عزله أحضره بين يديه وعاقبه وأخذ منه أموالاً كثيرة ، وأمر بقتله ثم عفا عنه ، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة السكلابي ، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانت منكسرة في

أيام سعيد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وخرارهم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر ، وأجلى عامة أهلها ، والتقى هو والخلقان الملك فجرت بينهم وقعة هائلة آل الأبر فيها إلى أن انهزم خاقان ، وتبعهم المسلمون ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون . وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

خالد بن سعدان الكلاعي

[له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين المعبودين المشهورين ، وكان يسمح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في أمراد الحق ، قلب الله تلك الحامد عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمن الغيب بالغيب ، وإذا أراد الله بالعبد خلافاً ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه نفع ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى]^(١)

عامر بن سعد بن أبي وقاص الليثي

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

عامر بن شراحيل الشعبي

توفي فيها في قول [كان الشعبي من شعب همدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماماً حافظاً ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضا روى جماعة من التابعين ، قال أبو مجلز : ما رأيت أفقه من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أحداً أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيدك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم قل : الله أعلم ، فانه

علم حسن . وقال : لو أن رجلا سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيت سفره عقوبة وضياعا وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، نخذ من كل شيء أحسنه [(١)] .

ابو بردة بن ابو موسى الأشعري

تولى قضاء الكوفة قبل الشعبي ، فان الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، ولما أبو بردة فانه كان قاضياً في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أبا بكر ، وكان أبو بردة قتيها حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة .

ابو قلابة الجرمي

[عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والفقهاء ، وطلب للقضاء فهرب منه وتغرب ، قدم الشام فتنزل دارياً وبها مات رحمه الله . قال أبو قلابة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما تحدث به الناس ، فلعل غيرك ينتفع ويستغنى وأنت في الظلمة تتعثر ، وإني لأرى هذه المجالس إنما هي مناهج البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تذكره فالتمس له عنراً جهلك ، فان لم تجد له عنراً فقل : لعل لأخي عنراً لا أعلمه] (٢) ثم دخلت سنة خمس ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد اللان ، وفتح حصونا كثيرة ، وبلاداً مقسعة الأكناف من وراء بلنجر ، وأصاب غنائم جمّة ، وسبي خلقاً من أولاد الأتراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصغد ، فصالحه ملكها على مال كثير يحمله إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً وفيها لحس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، قيل إنها دفنت بقبر عاتكة فنسبت الحلة إليها والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بعهد من أخيه سليمان ، أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، لحس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام ثنا جعفر ابن برقان حدثني الزهري قال : كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولى الخلافة معاوية ورث المسلم من الكافر . ولم يرث الكافر من

المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء - يعني أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، يتعلم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأسي بعمر بن عبد العزيز ، فسا تركه قرناه السوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرملة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فكث كذلك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب ، وقد اتهمه بعضهم في الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتي ، أما هذا فما كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بعد فإني لأراني إلا ملماً بي ، وما أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، فإله الله في أمة محمد ، فانك عما قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يمسرك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته ونميت وفاته ورمت الخلافة ، وكتب في آخره

تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علموا لو ينفع العلم عندهم * متى مت ما الباغى على بمخلد
منينته تجرى لوقت وحتفه * يصادفه يوماً على غير موعد
قل للذي يبقى خلاف الذي مضى * نهياً لأخرى مثلها وكأن قيد

فكتب إليه هشام : جعل الله يومى قبل يومك ، وولدى قبل ولدك ، فلا خير في العيش بعدك وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظاياه يقال لها حبابة - بتشديد الباء الاولى - والصحيح تخفيفها - واسمها العالية ، وكانت جميلة جداً ، وكان قد اشتراها في زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد هممت أحجر عني يدك ، فباعها ، فلما أفضت إليه الخلافة قالت له امرأته سعدة يوماً : يا أمير المؤمنين ، هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعثت امرأته فاشتريتها له ولبستها وصنعتهما وأجلستهما من وراء الستارة ، وقالت له أيضاً : يا أمير المؤمنين هل بقي في نفسك من أمر الدنيا شيء ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟ فقالت : هذه حبابة - وأبرزتها له وأخلته بها وتركتها وإياها - فخطبت الجارية عنده ، وكذلك زوجته أيضاً ، فقال يوماً أشتهى أن أخلو بحبابة في قصر مدة من الدهر ، لا يكون عندنا أحد ، ففعل ذلك ، وجمع إليه في قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط الهائلة ، والنعمة الكثيرة السابغة ،

فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرّ حال وأنعم بال ، وبين يديهما عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحجة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت ، فكث أياما يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى أنتنت وجيبت فأمر بدفنها ، فلما دفنها أقام أياما عندها على قبرها هائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فان تسلُّ عنكُ النفسُ أو تدعُ الصبا * فبالأيسر تسلو عنكُ لا بالتجمل
وكلُّ خليلٍ زارني فهو قاتلٌ * من أجلكُ هذا هامةُ اليوم أو غد

ثم رجع فما خرج من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل . وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لحس بقين من شعبان من هذه السنة - اعني سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وقيل ستا وقيل ثمانياً وقيل تسعا وثلاثين ، وقيل إنه بلغ الأربعين فآله أعلم . وكان طويلاً جسيماً أبيض مدور الوجه أقم الفم لم يشب ، وقيل إنه مات بالجولان ، وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد عهد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاماً

خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

ببيع له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه لحس بقين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فسماه منصور اتفاؤلاً ، ثم قسم فوجد أمه قد أسمته باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أتنه الخلافة وهو بالديوثنة في منزل له ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، فسلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فعزل في شوال منها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ، وقيل إنه استعمله على العراق في سنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزرجي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواء حتى طلقها ، لأنها كانت حقة . وفيها قوى أمر دعوة بني العباس في السرب أرض العراق ، وحصل لدعاتهم أموال جزيلة يستعينون بها على أمرهم ، ومأم بصده . وفيها توفي من الأعيان :

أبان بن عثمان بن عفان

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، قال عمرو بن شعيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقہ ، وقال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فذكر أبان بن عثمان أحدهم ، وخارجة بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . عامر الشعبي . في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

ثم دخلت سنة ست ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحزومي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقية عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الجراح الحكمي في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج . وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليها أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليلتقاه ويكتب له مناسك الحج ، ففعل ، فتلقيه الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبد الله ابن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن الصالحة لم يزالوا يلعنون أبا تراب ، فالعنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : فشق ذلك على هشام واستنقله ، وقال : ما قدمت لشم أحد ، ولا لعنة أحد ، إنما قدمنا حجاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بمحادثته ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فتظلم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظلمني ، قال : فالوليد ؟ قال : ظلمني ، قال : فسليمان ؟ قال : ظلمني ، قال فمصر ابن عبد العزيز ؟ قال ردها علي ، قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب لضربتك ، فقال : بلى في مضرب بالسوط والسيف ، فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان العامل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها ، سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمرو الفقيه ، أحد الفقهاء وأحد العلماء وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العباد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله ، فقال له : سالم ؟ ^(١) سألني حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسألني حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم من لا يملكها ؟ وكان سالم خشن العيش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يعالج بيده أرضاله وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير .

وطاوس بن كيسان البجلي من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمناهم في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فأما طاوس فهو أبو عبيد الرحمن طاوس بن كيسان البجلي ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك خمسين من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمر بن دينار ، وإبراهيم ابن ميسرة ، وأبو الزبير ومحمد بن المنكدر ، والزهري وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم . وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن الحارث ووهب بن منبه ، والمغيرة ابن حكيم الصنعاني ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

توفي طاوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بها رحمه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث هشام ابنه بالحرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي (ص) : « الإيمان بيمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووهب وكعب ووطاوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجمعوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حج أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طاوس بالمزدلفة - أو بمعى - حاجا ، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره . فما زال به حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق

قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقبل لطاوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيت
قال : مالى إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون : وقال ابن جرير قال لى
عطاء : جاءنى طاوس فقال لى : يا عطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل
دونه حجاب . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعدك
الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طاوس [أوائك ينادون من مكان بعيد] قال : بعيد من
قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لى طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك ، فإن الأمانة والصدق قد ذهبوا من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد
عن الصلت بن راشد . قال : كنا عند طاوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ،
فسأله عن شيء فأنهره طاوس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذاك
أهون له على . وقال لطاوس : إن منزلك قد استرم ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس في قوله تعالى [وخلق الانسان ضعيفا] قال : في
أمر النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا يحيى بن
بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن أبيه قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس
فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف
بذروة هذا الجبل فترد منه . فانظر أتعيش أم لا ، قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجر بني
عبدى ، فاني أفعل ما شئت . وفي رواية عن الزهري عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ،
ولكن الرب يختبر عبده ، وفي رواية أخرى : إن العبد لا يتلى ربه ، ولكن الرب يتلى عبده .
قال : فخصمه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حج الأبرار
على الرجال ، رواه عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نميلة عن ابن أبي داود . قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صلوا
المصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى في الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم
يل مال يقيم لم ينله جهد البلاء . روى عنه أبو داود الطيالسي ، وقد رواه الطبراني عن محمد بن
يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبي داود فذكره . وقال لابنه : يا بني صاحب العقلاء
تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن
لكل شيء غاية : وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنهره ، فقال : - يا أبا عبد الرحمن
إني أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ . وفي رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال :
إني أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أيوب قال : سألت

رجل طاوساً عن شئ فأنهره ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنقي جبلاً ثم يطاف بي ؟ ورأى طاوس رجلاً مسكيناً في عينه عمش وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن القفر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ وروى الطبراني عنه قال : إقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فلق الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فترل الناس يمينا وشمالاً فالتقوا أنفسهم ، وقام طاووس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية فقال ابنه - : ألا تنام فانك قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينাম السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحداً ينَام السحر . وروى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قال : حدثنا ابن طاوس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طاوس بسبع مائة دينار وقال للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : فخرج بها حتى قدم على طاوس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك ، فقال : مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، فغفل طاوس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعاً إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فكشوا حيناً ثم بلغهم عن طاوس ما يكرهون - أو شئ يكرهونه - فقالوا : ابعثوا إليه فليبعث إلينا بما لنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رده إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئاً ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المال الذي جئتكم به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئاً ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فيه فوجدها كما هي ، وقد بنت عليها العنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى فقيرها أسأله عن بعض المناسك ، قال : فخرج الحاجب يلتمس له ، فر طائوس فقالوا : هذا طاوس البهاني ، فأخذه الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخله عليه ، قال طاوس : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا المقام يسألني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفاً حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! ! ويلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه فجار . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت ، له جمال وكال ، فقال : من هذا يزهري ؟ فقلت : هذا طاوس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان فأتاه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله (ص) : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي (ص) - قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً - قال : دعاني رسول الله (ص) ، إلى طعام في مجلس من مجالس قریش ، ثم قال : « إن لكم على قریش حقاً ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحوا راحوا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : فتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لو ما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو معمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طاوس مالى إليه من حاجة ، فكأنه عجب من ذلك ، قال : سفيان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل السمكة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس . قال : وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يعلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرجنا حججاً فقلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبي من الحكم لشدة وغلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية عامل لمحمد بن يوسف - أخى الحجاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيح ، وكان من أحبب عمائمهم كبراً ونجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فاذا ابن نجيح قد أخبر بطاوس فجاء فقمع بين يدي طاوس ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت ما به قمت إليه وأخذت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك ، فقال طاوس : بلى ! إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفته بي فملت بي مارأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لى أبي : بالكعب ، بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ! أنا ابنه ، فقلت : إن كنت أنت ابنه فان الشيخ قد خرف ، فقال : إن العالم لا يخرف ، فدخلت عليه فقال طاوس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أو جرت لك ،

فقال تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والانجيل والفرقان ؟ قال : قلت نعم ! قال : خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب لنفسك .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : يجاء يوم القيامة بالمال وصاحبه فيتحاجان ، فيقول صاحب المال للمال : جمعتك في يوم كذا في شهر كذا في سنة كذا ، فيقول المال : ألم أقض لك الحوائج ؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن تصنع فيما أمرك الله عز وجل من حبك إياي ، فيقول صاحب المال إن هذا الذي نفذ على حبال أوثق بها وأقيد ، وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الضريس عن أبي سنان عن حبيب ابن أبي ثابت قال : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم قط ، عطاء وطاوس ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال سفيان : قلت لعبيد الله بن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعمامة ، وكان طاوس يدخل مع الخاصة ، وقال حبيب : قال لي طاوس إذا حدثتك حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه أحداً - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة ، حدثنا الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله - . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس قال : قلت لأبي : أريد أن أتزوج فلانة ، قال : اذهب فانظر إليها ، قال : فذهبت فلبست من صالح ثيابي ، وغسلت رأسي ، وادهنت ، فلما رآني في تلك الحال قال : اجلس فلا تذهب . وقال عبد الله بن طاوس : كان أبي إذا سار إلى مكة سار شهراً ، وإذا رجع رجع في شهر ، فقلت له في ذلك ، فقال : بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة عن هلال بن كعب . قال : كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية ، وقال له رجل : ادع الله لي ، فقال : ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل فيما خلا من الزمان ، وكان عاقلاً لييباً ، فكبر فقعد في البيت ، فقال لابنه يوماً : إني قد اغتممت في البيت ، فلو أدخلت على رجالا يكلموني ؟ فذهب ابنه فجمع نفراً فقال : ادخلوا على أبي فخذوه ، فان سمعتم منه منكراً فاعذروه فانه قد كبر ، وإن سمعتم منه خيراً فاقبلوه . قال : فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال : إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح ، فإذا اطلعت على فجرة رجل فاحذروه فان لها أخوات

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري عن أبيه قال قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فإن لم تجدني فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فاتا الله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد في قبره شيئا ، وروى في وجه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم احرمني كثرة المال والولد ، وارزقني الإيمان والعمل . وقال سفيان عن معمر حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خالد الخزاعي . قال كنت جالسا عند عطاء فجاء رجل فقال : أبا محمد إن طاوسا يزعم أن من صلى المشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك كتب له مثل وقوف عرفة وليلة القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركنهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان ربما داوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجنون ، فحى بها إليه ، فنزلت عنده فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها انتضحت ، فأقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصلاحه ومنزلته ، فجاءهم الشيطان فقال : إيتهم لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ما نتمك ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فنبشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ، فأخذوها فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فتبرأ منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله [كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين] .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، وكان فقيرا وله عيال ، فأتى في النوم فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار فخذها ، فقال للآتي في المنام : ببركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب فخذها فإن من بركتها أن تكسوفني منها ونعيش منها . فأبى وقال : لا آخذ شيئا ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ

منه عشرة دنانير ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال ، نعم إذاً ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صياداً يحمل حوتين فقال : بكم هما ؟ قال : بدينار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقامت تصلحهما ، فشقت بطن أحدهما فوجبت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثلها ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلها ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأماه بها ، فلما رآها حلاها الله عز وجل في عينيه ، فقال : بعنيها ، فقال : لا أنقصها عن وقر ثلاثين بفلا ذهباً ، فقال الملك : أرضوه ، فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بفلا ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هذه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأتوه فقالوا له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : وتفضلون ؟ قالوا : نعم . فأبى الملك بها ، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه ، فأضفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطاوس : أدع بدعوات ، فقال : لا أجدها لك حسبة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخل أن يبخل الإنسان بما في يده ، والشح أن يحب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يقيع : وقيل الشح هو ترك التناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يد غيره ، وهو مرض من أمراض القلب ينبغي للعبد أن يميزه عن نفسه وينفيه ما استطاع ، وهو يأمرنا بالبخل كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم [أمرم] بالبخل فبخلوا وبالقطيعة قطعوا وهذا هو الحرص على الدنيا وحبا » وقال ابن أبي شيبة : حدثنا المحارب عن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بمشرآيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتبية بن سعيد : حدثنا سفیان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نكح الشاب حتى يتزوج . وعن سفیان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لننكحن أولاً قولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يمنك من النكاح إلا مجز أو مجور . وقال طاوس : لا يجرز دين المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً ينعب ، فقال : خير : فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصحبني ولا تمش معي . وقال بشر بن موسى : حدثنا الحميدي حدثنا سفیان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان اتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فلم نكح الشيطان

وقال : لا مقيل ، فاذا أتى بفدائه فذ كر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدر كنا المقيل ، فاذا أتى بفدائه ولم يذ كر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي العشاء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة يكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت لرعد يقول : سبحان من سبحت له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لطاوس يا أبا عبد الرحمن ! رأيتك تصلي في الكعبة والنبي (س) على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن طاوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! من قال واتق الله خير ممن صمت واتق . وقال مسعر عن رجل إن طاوسا أتى رجلا في السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طاوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان طاوس يصلي في غداة باردة معتمة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطاوس ساجد ، والأمير راكب في مركبه ، فأمر بساج أو طيلسان مرتفع القيمة فطرح على طاوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فآلقاه عنه ، ولم ينظر إليه ، مضى إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس : ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أتينه في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن فقيل له : إن طاوسا كان يكره أن ينال المرض فتركه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شابر . قال : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجد بقلبي خشية فأدعوك . وقال ابن طاووت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مرّ طاوس برواس قد أخرج رؤسا فغشى عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرأس المشوية لم يتعش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال طاوس إن الموتى يفتنون في قبورهم سغيا ، وكأوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت لينا يذ كر عن طاوس وذكر النساء فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقى . وقال

أبو عاصم عن بقیة عن سلمة ابن وهرام عن طاوس قال : كان یقال : اسجد للقرء فی زمانه ، ای اطعه فی المعروف . وقال أبو بکر بن أبی شیبة : حدثنا أسامة حدثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم . قال قال طاوس : ما رأیت مثل ^(١) أحد آمن علی نفسه ، ولقد رأیت رجلاً لو قیل لی : من أفضل من تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فمکنت علی ذلك حیناً ثم أخذته وجع فی بطنه ، فأصاب منه شیئاً استنضح بطنه علیه ، فاشتهاه ، فرأیته فی نطع ما أدری ای طرفیه أسرع حتی مات عرقاً . وروی أحمد حدثنا هشیم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فنیة من قریش یرفلون فی مشیتهم ، فقال : إنکم لتلبسون لبسة ما كانت آباءکم تلبسها ، وتمشون مشیة ما یحسن الزفافون أن یمشوها . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طاوساً قام علی رفیق له مرض حتی فاته الحج - لعله هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن کدام عن عبد الکبیر المعلم قال طاوس قال ابن عباس : سئل النبی (س) : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته یقرأ رأیت أنه یمحشی الله عز وجل » . وقد روى هذا ایضاً من طریق ابن لهیعة عن عمرو بن دینار عن طاوس قال قال ابن عباس : إن النبی (س) قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن یتحزن به » . وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رآنی رسول الله (س) وعلیّ توبان معصفران فقال : « أملك أمرتک بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » رواه مسلم فی صحیححه عن داود بن راشد عن عمر بن أبوب عن إبراهیم بن نافع عن سلیمان الأحول عن طاوس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهیم بن میسرة عن طاوس عن ابن عمرو قال قال رسول الله (س) : « الجلاوفة والشرط واعوان الظلمة کلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطالقی .

وقال الطبرانی : حدثنا محمد بن الحسن الأنماطی البغدادی حدثنا عبد المنعم بن إدريس حدثنا أبی عن وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالک قال : سمعت رسول الله (س) یقول لعلی بن أبی طالب : « یا علی استکثر من المعارف من المؤمنین فکم من معرفة فی الدنیا بركة فی الآخرة » . ففضی علی فأقام حیناً لا یلقى أحداً إلا انحنه للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له رسول الله (س) : « ما فعلت فیما أمرتک به ؟ قال : قد فعلت یا رسول الله ، فقال له النبی (س) : اذهب إذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبی (س) وهو منکسر رأسه ، فقال له النبی (س) : اذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبی (س) تبسم [فقال] : ما أحسب یا علی ثبت معک إلا أبناء الآخرة ؟ فقال له علی : لاواللهی بعتک بالحق ، فقال له النبی (س) : [الأخلاء یومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقین یا عبادی لاخوف علیکم] یا علی ! أقبل علی شأنک ، وأملك لسانک ، وأغفل من

فما شرم من أهل زمانك تكن سلماً غاماً . لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم
ثم دخلت سنة سبع ومائة

فيها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعيني فمدنا إلى مذهب الطوارج واتبعه فرقة من الناس
وحملوا قاتلهم يوسف بن عمر قتيله وقتل أصحابه ، وكاتوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ،
وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميسون بن مهران ، فقطعوا البحر إلى قبرص
وغزا مسلمة في الير في جيش آخر . وفيها ظفر أسد بن عبد الله القسري بجماعة من دعاة بني العباس
بخراسان فصلبهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القرقيسيان ، مما يلي جبال
الطالقان ، فصلحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد النور - وهي جبال هراة - فمد أهلها إلى
حواسلهم وأموالهم وأقتلهم فجعلوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستل
جداً ، فأمر أسد بالرجل فحملوا في ثوابت ودلام إليه ، وأمر بوضع ما هناك في الثوابت ورفعهم
فسلموا وغنموا ، وهذا وأى شديد . وفيها أمر أسد بجمع ماحول بلغ إليها . واستتاب عليها برك
والد خالد بن برك وبنها بناء جيداً جديداً محكاً وحسنها وجعلها مقدماً للمسلمين . وفيها حج
بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفى فيها من الأعيان :

سليمان بن يسار أحد التابعين

وهو أخو عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن
الناس وجهاً ، توفى بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً
فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام .
قال له : أنت يوسف ؟ قال : نعم أنا يوسف القى هممت ، وأنت سليمان القى لم تهتم . وقيل إن
هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبعثه إلى سوق الحجاج
ليشتري شيئاً فأنحطت على سليمان امرأة من الجبل حسناء قالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكاءه
فما رأت ذلك منه ارتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ قال خير ،
قال : لعلك ذكرت بعض وملك أو بعض أهلك ؟ قال : لا . قال : والله لتخبرني ما أبكاك أنت .
قال : أبكاني حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه قام فرأى يوسف في منامه
كما تقدم والله أعلم

عكرمة مولى ابن عباس

أحد التابعين ، والمفسرين الكثيرين والعلماء الربانيين ، والرحالين الجوالين . [وهو أبو عبد الله ،
وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس ،

قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والعراق وخراسان ، وبث علمه هناك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأعراء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجعل في رجل السكبل يملئ القرآن والسنن ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبدا ، عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلا . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسرت ما بين اللوحين . وقال ابن علية عن أيوب : سألت رجلا عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل - وأشار إلى سلع - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمة الجند حمله طاوس على نجيب فقال : ابتمت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طاوسا حمله على نجيب فممنه ستون ديناراً وقال : ألا تشتري علم هذا العبد بستين ديناراً ؟

ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات أفعه الناس وأشعر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفقت الناس فن سألك عما يعنيه فأفقه ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفقه ، فانك تطرح عن ثلثي مؤنة الناس . وقال سفيان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يتحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمرأ يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال فاني لفي سوق البصرة فإذا رجل على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فما قدرت أنا على شيء أسأله عنه ، ذهبت مني المسائل ، وشردت عنى فقممت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه . وقال شعبة عن خالد الحذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخبرت ؟ أي فنت . وقال زياد بن أبي أيوب : حدثنا أبو ثيملة حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريد الخلاه وفي إصبعه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجعل فسه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الحذاء : كل شيء قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمعه من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة . وقال سفيان الثوري : خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضا : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت مثني من أصحاب رسول الله

س. في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن
عكرمة : قال : كانت الخليل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفا فقرها ، وقال
أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة : [الذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب] قال : الدنيا كلها قريب وكلها جهالة . وفي قوله : [الذين لا يريدون
علا في الأرض] قال : عند ملاطيتها وملوكها . [ولا فساداً] لا يعملون بما يحصى الله عز وجل .
[والعاقبة] هي الجنة . وقال في قوله تعالى : [فلا نسوا ما ذكروا به] أي تركوا ما وعظوا [بمذاب
بئس] أي شديد [فلما عتوا عما نهوا عنه] أي تعادوا وأصرّوا . [خاسئين] صاغرين . [نجملناها
نكالا لما بين يديها] أي من الأمم الماضية [وما خلفنا] من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم
[وموعظة] تقي من انقطع بها الشرك والمعاصي .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ومحاسب الذين تركوا الأمر والنهي
كل المسخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال
ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس : الذين أصرّوا ونهوا نجوا ، والذين لم يأصروا ولم
ينهوا هلكوا فيمن هلك من أهل المعاصي . قال : وذلك أهل إيلة - وهي قرية على شاطئ البحر -
وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ
من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوكة . وذكرنا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد
عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتيتهم يوم السبت ولا تأتيتهم في غيره من الأيام ، وذكرنا احتيالمهم على
صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت وعظوم ، فجاء قوم آخرون
مداهنون فقالوا : [لم نظن قوماً الله مهلكهم أو مغيثهم عذاباً شديداً ؟] قال الناهون [معذرة إلى
ربكم ولعلمهم يتقون] أي ينتهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس
إن المداهين هلكوا مع الغافلين ، كساه ثوبين . وقال حوثة عن مغيرة عن عكرمة قال : كانت
القضاة ثلاثة - يعني في بني إسرائيل - فأت واحد فجعل الآخر مكانه ، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا
فبعث الله ملكا على فرس فر على رجل يسقي بقره معها عجل ، فدعا الملك العجل فتبع العجل
الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله اعجلني وابن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن
فرسي ، فخاصمه حتى أعيأ ، فقال : القاضي بيني وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتضا إلى أحد القضاة
فتكلم صاحب العجل فقال له : مر بي على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده ، قال : ومع الملك
ثلاث درات لم ير الناس مثلهما ، فأعطى القاضي درة وقال : اقض لي ، قال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال :
نرسل العجل خلف الفرس والبقره فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له . قال

صاحب العجل : لا أرضى ، بينى وبينك القاضى الآخر ، ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث فقضا عليه قصتهما ، وناولوه الملك الدرة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أقضى بينكما اليوم ، فقالا : ولم لا نقضى بيننا ؟ فقال : لأننى حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحبض ! . فقال القاضى : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس عجلا ؟ فقضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبك .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالي عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى فى مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشى ؟ فقالت : كيف أقصدق عليك والملك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشى ، فتصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها يقطع يديها ، ثم إن الملك قال لأمه : دلينى على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مث لها ، لولا عيب بها ، قال : أى عيب هو ؟ قالت : مقطوعة اليدين ، قال : فأرسلى إليها ، فلما رآها أعجبته . وكان لها جمال . فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك : قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فتهد إلى الملك عدو فخرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصى بها خيرا وافعلى وافعلى معها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها فحسدنها فأخذن الكتاب فغيرنه وكتبن إلى أمه : انظري فلانة فقد بلغت أن رجالا ياتونها فأخرجنها من البيت وافعلى وافعلى ، فكتبن إليه الأم إنك قد كذبت ، وإنها لامرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فنزل بهن فأخذن الكتاب فغيرنه فكتبن إليه : إنها فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتب إلى أمه : انظري فلانة فاجملى ولدها على رقبته واضربي على جيبها واخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : اخرجى ، فجعلت الصبي على رقبته وذهبت ، فمرت بنهر وهى عطشانة فنزلت لتشرب والصبي على رقبته فوقه فى الماء ففرق ، فجلست تبكي على شاطئ النهر ، فمر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ فقالت : ابني كان على رقبتي وليس لى يدان فسقط فى الماء ففرق . فقالا لها : ماتحين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها ، ثم قال لها : أتدريين من نحن ؟ قالت : لا قال : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال فى قوله : [طيرا أبابيل] قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جدرت جلودهم ، وما رؤى الجدرى قبل يومئذ وما رؤى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفى قوله تعالى : [ويل للمسكرين الذين لا يؤتون الزكاة] قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفى قوله [قد أفلح من تزكى] قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : [هل لك إلى أن تزكى] إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا [على شهادة أن لا إله إلا الله . وفي قوله [أليس منكم رجل رشيد] أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفي قوله : [وقال صوابا] قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : [إنك لا تخلف الميعاد] لمن قال : لا إله إلا الله . وفي قوله [لا عدوان إلا على الظالمين] على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : [واذا ذكر ربك إذا سبت] قال : إذا غضبت [سيئام في وجوههم] قال : السهر وقال : إن الشيطان ليزين للعبد الذنب ، فإذا عمله تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتمسكن له ويبيكى حتى يغفر الله له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربى ليبغضنى إلى الشئ لا مضيه فأجد الكون قد سبقنى إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فإن منع الرجل غربالا أو قدراً أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزجاة التى فيها نجور . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم وقال : [كما يئس الكفار من أصحاب القبور] قال : إذا دخل الكفار القبور وعابثوا ما أعد الله لهم من الخزى ، يئسوا من نعمة الله . وقال غيره . [يئس الكفار من أصحاب القبور] أى من حياتهم وبعثهم بعد موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنكالا ، أى قيودا . وقال فى كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم العذاب : من أراد سفرأ بعيداً وحملأ شديداً ، فعليه بعمان ، ومن أراد الخز والخير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببصرى - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات فى الوحل ، والمقبات فى المحل فعليه بيثرب ذات النخل . فخرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وهم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وهم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا يثرب ، ذات النخل ، فلما كانوا يبطن مرت قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا يزيد به بدلا ، فتلوا ، فمن ثم سميت خزاعة ، لأنهم فخرعوا من أصحابهم . وتقدمت الأوس والخزرج حتى نزلوا يثرب ، فقال الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف ابعفوك عن إخوتك رفعت لك ذكرك مع الذاكرين . وقال : قال لقمان لابنه : قد دقت المارافلم أذق شيئا أمرت من الفقر . وحملت كل حمل ثقيل فلم أحمل أثقل من جار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح عن سفیان عن أبيه عن عكرمة : [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى] قال : ما وقع شيء منها إلا فى عين رجل منهم . وقال : فى قوله تعالى [زعيم] هو اللئيم الذى يعرف الأثمة كما يعرف الشاة بذنبتها . وقال فى قوله تعالى [الذين يؤذون الله ورسوله] قال : هم أصحاب التصاوير ، [وبلغت القلوب الحناجر] قال : لو أن القلوب تحركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإنما هو الخوف والفرع . [ففتنهم أنفسهم] أى بالشهوات [وتربصهم] بالتوبة [وغرتكم الأمانى] أى التسويف [حتى جاء أمر الله] الموت [وغرکم بالله الفروور]

الشیطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحکیم لم یزل ذلك اليوم فی سرور حتی یمسی .

قال سلمة بن شعيب : حدثنا ابراهيم بن الحکم عن ابان عن أبيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة عند البحر فذكروا الذين یغرقون فی البحر فقال عكرمة : الذين یغرقون فی البحر تقسم لحومهم الحینان فلا یبقى منهم شیء إلا العظام ، حتی تصیر حائلا نخرة فذر بها الابل فتأكلها ، ثم تسیر الابل فتسبرها ، ثم یجیء بئسدم قوم فینزلون ذلك المنزل فیاخذون ذلك البحر فیوقدونه ثم یصیر دماذا فتجیء الريح فتأخذنه فتذریه فی كل مكان من الأرض حیث یشاء الله من بره وبحره ، فاذا جاءت النفخة - نفخة المبعث - فیخرج أولئك وأهل القبور المحجوعین سواء . وبهذا الاسناد عنه قال : إن الله أخرج رجلین ، رجلا من الجنة ورجلا من النار ، فقال لصاحب الجنة : عبدي ! کیف وجدت مقيلك ؟ قال خیر مقيل . ثم قال لصاحب النار : عبدي کیف وجدت مقيلك ؟ فقال : شر مقيل قاله القائلون ، ثم ذكر من عقاربها وحياتها وزنا بیرها ، ومن أنواع ما فیها من العذاب وألوانه ، فیقول الله تعالى لصاحب النار : عبدي ! ماذا تعطینی إن أنا أعفیتك من النار ؟ فیقول العبد : إلهی وماذا عندي ما أعطيك ، فقال له الرب تعالى : لو كان لك جبل من ذهب أكنت تعطینی فأعفیک من النار ؟ فقال نعم ، فقال له للرب : كذبت لقد سألتك فی الدنيا ما هو أیسر من ذلك ! تدعونی فأبیتجیب لك ، وتستغفرنی فأغفر لك ، وتسألنی فأعطيك ، فكنت تتولى ذاهبا .

وبهذا الاسناد قال : ما من عبد یقر به الله عز وجل يوم القيامة للحساب إلا قام من عند الله بعفوه ، وبه عنه : لكل شیء أساس ، وأساس الاسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شكاني من الانبیاء إلى ربه عز وجل الجوع والعری ، فأوحى الله إلیه : أما ترضی أنى سددت عنك باب الشر الناشئ عنها ؟ . وبه عنه قال : إن فی السماء ملكا یقال له إسماعیل لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه یسبح الرحمن عز وجل لمات من فی السموات والأرض . وبه عنه قال : سعة الشمس سعة الأرض وزيادة ثلاث مرآت ، وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بحرا نحت العرش تسبح الله حتی إذا أصبحت استعفت ربهما تعالى من الطلوع فیقول لها : ولم ذاك - وهو أعلم - فتقول : لئلا أعبد من دونك ، فیقول لها : اطلعی فلیس عليك شیء من ذلك ، حسبهم جهنم أبشها إلیهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تقودها حتی یدخلوهم : وهذا خلاف ما ثبت فی الحديث الصحيح « إن جهنم یؤتی بها تقاد بسبعین ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك » . وقال مندل عن أسد ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ص . « لا یقفن أحدكم علی رجل یضرب ظلما فان اللعنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه . ولا یقفن أحدكم علی رجل یتنل ظلما فان اللعنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه » . لم یرفعه إلا مندل هذا .

وروى شعبة عن عمار بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) « كان إذا عطس غطى وجهه بثوبه ، ووضع يديه على حاجبيه » ، هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقية عن إسحاق بن مالك الخضري عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، قال : « من حلف على أحد يميناً ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فأنما إيمه على الذي لم يبره » . تفرد به بقية بن الوليد مرفوعاً . وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر التماري حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمار بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثنا عائشة أن النبي (ص) كان عليه بردان قطريان خشنان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن نوبيك هذين غليظان خشنان ، ترشح فيهما فيثقلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقد أتاه برد من الشام فاشتر منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله (ص) بعث إليك لتبيعه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبي ويعطاني بثنهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله (ص) فأخبره فقال (ص) : كذب ! قد علموا أني أتقام لله ، وآدام للأمانة . وفي هذا اليوم قال النبي (ص) : « لأن يلبس أحدكم من رقع شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم [(١)] .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

كان أحد الفقهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خالته فنشأ عندها ، وساد له مناقب كثيرة . أبو رجاء العطاردي .

وفيهما توفي كثير عزة الشاعر المشهور

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي جمعة ، وعزة هذه المشهور بها المنسوب إليها ، لتغزله فيها ، هي أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار ، وإنما صغر اسمه فقل كثير ، لأنه كان دميم الخلق قصيراً ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلكان : كان يقال له رب الدبان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان ينفذ على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر المسلمين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسبة بعضهم إلى منهج التناسخية ، وكان محتج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه ، في قوله تعالى [في أي صورة ما شاء ركبك] وقد استأذن يوماً على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، فقال : حَيْهَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ ، إِنْ نَطَقَ نَطَقَ بَيِّانًا ، وَإِنْ قَاتَلَ قَاتَلَ بِجَنَانٍ ، وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ

وَجَرَبْتُ الْأَوْدَ وَجَرَبْتُ * وَقَدْ أَبَدْتُ عَرِيكَتِي الْأَوْدَ
وَمَا نَحْنُ الرِّجَالُ عَلَى أُنَى * بِهِمْ لَأَخُو مُتَأَفِّفٌ خَبِيرٌ
تَرَى الرَّجُلَ النَحِيفَ قَزْدَرِيهِ * وَفِي أَنْوَابِهِ أَسَدٌ زَبِيرٌ
وَيَجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَخْتَبِرُهُ * فَيَخْلُفُ ظَنُّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ
وَمَا هَامُ الرِّجَالِ لَهَا بَزِين * وَلَكِنْ زَيْنُهَا دِينٌ وَخَيْرُ
بِذَاتِ الطَّيْرِ أَطْوَلُهَا جِسْمًا * وَلَمْ تَطُلْ الْبَزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ
وَقَدْ عَظُمَ الْبَعِيرُ بِغَيْرِ لَبٍ * فَلَمْ يَسْتَفْنِ بِالْعَظَمِ الْبَعِيرُ
فَيَرْكَبُ ثُمَّ يَضْرِبُ بِالْهَرَاوِي * وَلَا عَرَفَ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرُ
وَعُودُ النَّبْعِ يَنْبِتُ مُسْتَمِرًّا * وَلَيْسَ يَطُولُ وَالضَّبَاءُ حَوْرُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل
كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها : —

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دُرُوعُ حَصِينَةٍ * أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَدَاهَا
قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَفَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى لَقَيْسِ بْنِ مَعْدِيكَرَبَ : —
وَإِذَا تَجَيَّأَ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ * شَبَّاهُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ صِيَالَهَا
كَتَمْتُ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَا بَسِ جَبَّةٌ * بِالسَّيْفِ يَضْرِبُ مَعْلَمًا أَبْطَالَهَا

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصْفُهُ بِالْخُرْقِ وَوَصْفَتُكَ بِالْحَزْمِ . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز
للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : وَيْحَكَ يَا كَثِيرُ ، ذَكَرْتُكَ الْآنَ بِشُرْكَ فَإِنْ أَصْبَحْتَ أُعْطِيْتُكَ
حُكْمَكَ ، فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّكَ لَمَّا وَدَعْتَ عَاتِكَةَ بَنَتْ يَزِيدُ بَكَتَ لِفِرَاقِكَ فَبَكَى لِبِكَائِهَا
حَشَمَهَا فَذَكَرْتُ قَوْلِي :

إِذَا مَا أَرَادَ الْغَزْوُ لَمْ تَثْنِ عَزْمُهُ * حَصَانٌ عَلَيْهَا نَظْمُ دِرْزِينِهَا
نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ * بَكَتَ فَبَكَى مِمَّا عَرَاهَا قَطِينِهَا

قال : أَصَبْتَ فَاحْتَكَمْ ، قال : مَائَةٌ نَاقَةٌ بِنُوقِكَ الْخَنَازَةِ ، قال : هِيَ لَكَ ، فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ الْمَلِكِ
إِلَى الْعِرَاقِ نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كَثِيرِ عَزَّةَ وَهُوَ مُفَكِّرٌ فِي أَمْرِهِ فَقَالَ : عَلَيَّ بِهِ ، فَلَمَّا جِيءَ بِهِ قَالَ لَهُ : أَرَأَيْتَ
إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِمَا كُنْتَ تَفَكِّرُ بِهِ تَعْطِينِي حُكْمِي ؟ قال : نَعَمْ ، قال : وَاللَّهِ ؟ قال : وَاللَّهِ ، قال له عبد الملك
إِنَّكَ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ : هَذَا رَجُلٌ لَيْسَ هُوَ عَلَى مَذْهَبِي ، وَهُوَ ذَاهِبٌ إِلَى قِتَالِ رَجُلٍ لَيْسَ هُوَ عَلَى

مذهبي ، فان أصابني سهم غرب من بينهم خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إي والله يا أمير المؤمنين فاحذركم ، قال : أحسبكم حكى أن أردك إلى أهلك وأحسن جزئتك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف وقال حماد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبتنا إياه وما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيشارك في الخلافة . فخرج نسير وفختمنا في رحالنا ، فلما انتهينا إلى خنصرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء ؟ قال : فوجئنا لذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا التفقات وعلف دوابنا ، وأقام عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لاسمع خطبته فسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعتة يقول في خطبته : السكل سفر زاد ، فترودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاب ما أعد الله له من عذابه وثوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الآمد فتفسو قلوبكم وتتقادوا لعدوكم . فانه والله ما يسطر أمل من لا يدري لعدو لا يمسي بعد إصابحه ولا يصبح بعد إمساكه ، وربما كانت له كرامة بين ذلك خطرات الموت والمنايا ، وإنما يطعم من وثق بالنجاة من عذاب الله وأهوال يوم القيامة ، فاما من لا يداوى من الدنيا كلما أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطعم ، أعوذ بالله أن أمركم بما أنهى عنه نفسه فتخسر صفقتي وتبدو مسكنتي في يوم لا تنفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى ظننا أنه قاض نحيبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والويل : قال : فانصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ سرحاً من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فانه رجل أخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة ، ونحدث بحفائك إيانا وفود العرب . فقال : [إنما الصدقات للفقراء والمساكين] وقرأ الآية ، فان كنتم من هؤلاء أعطيتم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع ، فقال : ألسنم عند أبي سعيد ؟ - يعني مسلمة بن عبد الملك - فقلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : ائذن لي يا أمير المؤمنين بالأنشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقاً ، فأشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشتم عالياً ولم تخف • يريثاً ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المنقال مع الذي أتيت فأسمى راضياً كل مسلم
ألا إنما يكفي الفتى بعد ربه * من الأود النادى ثقاف المقوم
وقد لبست تسعى اليك ثيابها * تراهى لك الدنيا بكف ومعصم
وتومض أحياناً بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فأعرضت عنها . شـمـئـزاً كأنما * سقتك مذوقاً من سلامٍ وعلقمٍ
وقد كنت من أحبالها في منع * ومن بحرهما في مزبد الموج معممٍ
ومازلت نوافاً إلى كل غاية * بلغت بها أعلى البناور المقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم تكن * لطالب دنيا بسده في تكلم
تركت الذي يقى وإن كان موثقاً * وآثرت ما يبقى برأي مصمم
وأضررت بالفاني وشمرت للذي * أمالك في يوم من الشر مظلم
ومالك إذ كنت الخليفة مانعاً * سوى الله من مال رعيت ولادم
سما لك هم في الفؤاد مؤرقاً * بلغت به أعلى المعالي بسلم
فابين شرق الأرض والغرب كلها * مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنين ظلمتني * بأخذك ديناري وأخذك درهمي
ولا بسط كف لأمري غير مجرم * ولا السفك منه ظالماً مل محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسوا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فشت بها ما حجج الله راكباً * ملب مطيف بالقسام وزمزم
فاربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأخص
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهماً ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعد
ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائد فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان
كثير عزة شيعياً خبيثاً يرى الرجعة ، وكان يرى التناسخ ويحنج بقوله تعالى [في أي صورة
ما شاء ربك] وقال موسى بن عقبة هول كثير عزة ليلة في منامه فأصبح بمتدح آل الزبير ويرى
عبد الله بن الزبير ، وكان يسى الرأي فيه :

بمفـضـح البطـاحـا تـأول أنه * أقام بها ما لم ترمها الأخشاب
سرحنا سروياً آمين ومن يخف * بوائقي ما يخشى تنبه النوايب
تبرأت من عيب ابن أمية إنني * إلى الله من عيب ابن أسماء نائب
هو المرء لا ترزى به أمهاته * وآباؤه فينا الكرام الأطياب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذي يدعوك إلى
ما تقول من الشعر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك في ربي أمثالي فانا

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فاقت النساء حسنا وجمالا وأصاله -
وإنما قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال:-

ضحى قلبه يا عَزْ أوكاذ يذهل * وأضحى يريد الصوم أو يتبدل
وكيف يريد الصوم من هو واما * لمة لا قال ولا متبدل
إذا واصلتنا خلة كي نزيلنا * أيننا وقانا الحاجبية أول
سنو ليك عرفاً إن أردت وصالنا * ونحن لتيك الحاجبية أوصل
وحدثها الواشون أني هجرتها * فحملها غيظاً على الحمل

فقالت له عائشة : قد جعلتني خلة ولست لك بخلة ، وعلاقت كما قال جميل فهو والله أشعر
منك حيث يقول :

يارب عارضة علينا وصلماً * بالجد تخططه بقول الهازل
فأجبتها بالقول بعد تسير * حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لو كن في قلبي بقدر قلامة * فضل وصلتك أو أتتك رسائي

فقال : والله ما أنكر فضل جميل ، وما أنا إلا حسنة من حسناته ، واستحيا . وما أنشده ابن
الأنباري لكثير عزة :

بأبي وأمي أنت من معشوقتي * طبن العدو لها فغيز حالها
ومشى إلي بعيب عزة نسوة * جعل الآله خدودهن نعالها
الله يعلم لو جمن ومثلت * لأخذت قبل تأمل تمثالها
ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موقي لقضى لها
وأنشد غيره لكثير عزة :

فأحدث النأي الذي كان بيننا * ملوا ولا طول اجتماع تقاليا
وما زادني الواشون إلا صباية * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
غيره له : فقلت لها يا عَز كل مصيبة * إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر * لمة من أعراضنا ما استحلحت
وقال كثير عزة أيضاً وفيه حكمة أيضاً :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتبع جاهداً كل عثرة * يجدها ولا يبقى له الدهر صاحب

وذكروا أن عزة بنت جميل بن حفص أحد بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو الضمرية

وفدت على عبد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامه فقال : لا أفضيها لك حتى تنشدني شيئاً من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات :

قضى كل ذي دين علة غريبة * وعزة ممطول معنى غريبة

فقال : ايس عن هذا أسألك ولكن أنشدني قوله :

وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير

تغير جسمي والمحبة كالذي * عهدت ولم يخبر بذلك مخبر

قال فاستجيت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتهم يحكونه عنه ، ولكن أحفظ له قوله :

كأنني أنادي صخرة حين أعرضت * من الظلم لو تمشي بها المصم زات

صفوح فما تلقاك إلا بخيلة * ومن مل منها ذلك الوصل ملت

قال فقضى لها حاجتها وردّها ورد عليها ظلامتها وقال : أدخلوها الحرم لينتعلوا من أدبها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن وجهها ، فإذا هي حبراء حلوة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذاك الموقع حتى تكلمت فإذا هي أبرع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقي في أعيننا امرأة تفوقها حسناً وجمالاً وحلاوة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكينه بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أراد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوفى غريبه * وعزة ممطول معنى غريبة

فقالت : كنت وعدته قبله فطلته بها ، فقالت : أنجزها له وإثمها على ، وقد كانت سكينه بنت الحسين من أحسن النساء حتى كان يضرب بحسنها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة فأبى عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعد ما فضحني بين الناس وشهرني في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الامتناع ، ذكره ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختبر ما عنده ، فتعرض لها فقالت : فأين حبك عزة ؟ فقال : أنا لك الغداء لو أن عزة أمة لي لوهبته لك ، فقالت : ويحك لا تفعل ألسن القائل : إذا وصلتنا خلة كي نزيلنا * أيينا وقلنا الحاجبية أول ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أقصرى عن ذكرها واصمعي ما أقول :

هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها بدل

قالت : فهل لك في المجالسة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ؟ قال :

أقلبه فيتحول لك ، قال فسفرت عن وجهها وقالت : أغدراً وتنا كئنا يافسق ، وإنك لها هنا ياعدو

الله ، فببت وأبلس ولم ينطق ونحير وخجل ، ثم قالت : قال الله جبريلا حيث يقول : -
 عفا الله عن لا ينفع الود عند * ومن حبله إن صد غير متين
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد خلافا بكل يمين
 ثم شرع كثير يعتذر ويتنصل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعار ذا كراً وآثراً . وقد ماتت
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ودناها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :
 ما بال شعرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ،
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلل .
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

[ففيها افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح إبراهيم بن هشام بن عبد الملك
 حصناً من حصون الروم أيضاً ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك
 كسرة فاحضة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورنان ورمها بالمناجيق ، فسار إليه
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه
 وقتل من جيشه خاق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من جيشه ، وقتل
 الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها غزا معاوية بن هشام بن
 عبد الملك أرض الروم ، وبعث البطال على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثيراً ^(١)
 وفيها توفي من الأعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [كان علماً عابداً زاهداً متواضعاً قليل
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خاق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت
 من هو أكبر منك من المسلمين قتل : سبقته إلى المعاصي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرهونك
 ويعظمونك قتل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً قتل : هذا بذنب أحدثته . وقال :
 من مثلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحراب متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب .
 وقال : إذا رأيتم الرجل موكلاً بعبود الناس فاسيا لعبيبه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل قد
 من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ الصالح من العمل فثب في الناس فظلمه غمامة ، قال : فمر رجل قد
 أظلمه غمامة على رجل فاعظمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحب الغمامة فأمرها الله أن تتحول

عن رأسه إلى رأس الذي احتقره ، وهو الذي عظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، ولكن بشئ قرّ في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره [(١) راشد بن سعد المقراني المحصي عمر دهرآ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة محمد بن كعب القرظي

توفي فيها في قول [وهو أبو حمزة ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان عالماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً ، قال الأصمعي : حدثنا أبو المقدم - هشام بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يقبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيح . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن وهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهما وأردد فيهما الفكر ، أحب إلى من أن أهد القرآن هداً - أو قال أنثره نثرآ - . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لذكر يا عليه السلام ، قال تعالى : [آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والأبكار] فلو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص له ، ولرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون] وقال في قوله تعالى : [اصبروا وصابروا ورابطوا] قال : اصبروا على دينكم وصابروا لوعدهم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني . وقال في قوله تعالى : [لولا أن رأى برهان ربه] : علم ما أحل القرآن مما حرم [منها قائم وحصيد] قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحصيد ما حصد فهم . [إن عذابها كان غراما] قال : غرموا ما نعموا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم ممن نعمة فلم يقدروا عليها ولم يؤدوها ، فأغرمهم منها . فأدخلهم النار . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية [وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله] قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكافئه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعفون هم الذين يعطون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : [أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق] قال : أجمل سربرتي وعلايتي حسنة . وقيل : أدخلني مدخل صدق في العمل الصالح ، أي الاخلاص ، وأخرجني مخرج صدق أي سالماً . [أو ألقى السمع وهو شهيد] أي يسمع القرآن وقلبه معه في مكان آخر . [فاسعوا إلى ذكر الله] قال : السعي العمل ليس بالشد . وقال : الكبائر ثلاثة ، أن تأمن مكر الله ، وأن تقنط من رحمة الله ، وأن تيأس من روح الله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، فقها في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوب نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، و رغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسعد الناس بها ، هي الغاوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخائنة لمن اتقاد لها ، علمها جهل ، وغناؤها فقر ، وزيادتها نقصان ، وأيامها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي من كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أنقلها . ثم قرأ [فما بكتم السماء والأرض] وقال في قوله تعالى : [فنعمل مثقال ذرة خيراً] : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع على في بعض ما يكره فقتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينتفي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً - وكان عابداً خبيراً زاهداً - فكتب إليه : - إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأتاه سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما نرى ، وأنا والله أتخوف أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم عظمي ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : نزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى * درج الجنان وطيب عيش العابد
ونسيت أن الله أخرج آدم * منها إلى الدنيا بذنب واحد

وقال : من قرأ القرآن متع بعقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ماتقول في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرايت إن أعطيت الله عهداً أن لا تعصيه أبداً ؟ قال : فمن أعظم جرماً منك ، تتألى على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدام . قالوا كلهم : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله (ص) قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشرادكم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفته ، وجلده عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يففر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجى خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجبال فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموهم - ولا تظلموا ظالماً ، ولا تطاولوا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأمور ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تحفظ عن النبي (ص) بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بطوله والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

وفيها توفي أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطة العبدي ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، واستناب هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلي ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسري ، وكان أشرس فاضلاً خيراً ، وكان سمي الكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المراقبة بخراسان ، واستعمل المراقبة عبد الملك بن زياد الباهلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، وفرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمة في جوع عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسلمة سالماً غانماً ، فسلك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه الغزاة غزاة الطين ، وذلك أنهم سلكوا على مفارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خاق كثير ، فماتوا حتى قاسوا شدائد وأهوالاً صعباً وشدائد عظيماً ، وفيها دعا أشرس بن عبد الله السلي نائب خراسان أهل الذمة بسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الاسلام ، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طالبهم

بالجزية فنصبوا له الحرب وقتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متوليا عليها ، فلما وصل جهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأمسروا بطريقهم وانهزم باقيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم ، وغنم غنائم جمّة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشرس السلمي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

جرير الشاعر

وهو جرير بن الخطفي ويقال ابن عطية بن الخطفي واسم الخطفي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن الياس ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق مرارا ، وامتح يزيدي بن معاوية والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد ثنا الاثنانداني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان بن النخعي قال : رأيت جريرا وما تضم شفثاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا ؟ فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعد من الله حق . وقال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أحمي بيت قالت العرب في الاسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

فَقُضِّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ * فَلَا كَمَبًا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابًا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام ؟ قال نعم ! قول جرير :

أَلَسَمَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحٍ

فقال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الاسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إِنَّ الْعَبُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا رَضٌ * قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ * وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقَ اللَّهِ أَوْكَانَا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريرا ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته لمشتاق ، قال : فهذا

جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول : -

خَسِيًّا إِلَاهُ أَبَا جِرْزَةَ * وَأَرْغَمَ أَنْفَكَ يَا أَخْطَلُ
وَجَدْتُ الْفَرَزْدَقَ أُنْعَسَ بِهِ * وَرَقَّ خِيَاشِيمُهُ الْجَنْدَلُ

فَأَنشَأَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ :

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفًا أَنْتَ حَامِلُهُ * يَا ذَا الْخَنَّا وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرَضَى حُكُومَتُهُ * وَلَا الْأَصِيلُ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
نَمَّ أَنْشَأَ الْأَخْطَلُ يَقُولُ :-

يَا شَرَّ مَنْ حَمَلَتْ سَاتِقٌ عَلَى قَدَمٍ * مَا مِثْلُ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يَحْتَمِلُ
أَنَّ الْحُكُومَةَ لَيْسَتْ فِي أَيْبِكَ وَلَا * فِي مَعْشَرٍ أَنْتَ مِنْهُمْ أَنْتُمْ سَفَلُ
فَقَامَ جَرِيرٌ مَغْضِبًا وَقَالَ :-

أَنْتُمْ ثَمَانٍ سَفَاهَا خَيْرُكُمْ حَسَبًا * فَفِيكُمَا - وَالْأَهْيَ - الزُّورُ وَالْخَطَلُ
شَتْمَاهُ عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِكُمَا * لَا زِلْمًا فِي سَفَالٍ أَبْهَا السَّفَلُ

ثم وثب جرير فقبل رأس الأعرابي وقال : يا أمير المؤمنين جائزني له ، وكانت خمسة آلاف ، فقال عبد الملك : وله مثلها من مالي ، فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج . وحكى يعقوب بن السكيت أن جريرا دخل على عبد الملك مع وفد أهل العراق من جهة الحجاج فأنشده مديحه الذي يقول فيه :
أَلَسْتُمْ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ

فأطلق له مائة ناقة وثمانية من الرعاء أربعة من النوبة وأربعة من السبي الذين قدم بهم من الصند قال جرير : وبين يدي عبد الملك جامان من فضة قد أهديت له ، وهو لا يعبأ بها شيئا ، فهو يقرعها بقضيب في يده ، فقلت : يا أمير المؤمنين المحلب ، فألقى إلى واحداً من تلك الجمامات ، ولما رجع إلى الحجاج أعجبه إكرام أمير المؤمنين له فأطلق الحجاج له خمسين ناقة تحمل طعاماً لأهله .

وحكى فطويه أن جريراً دخل يوماً على بشر بن مروان وعنده الأخطل ، فقال لبشر جرير : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، ومن هذا أبها الأمير ؟ فقال : هذا الأخطل ، فقال الأخطل : أنا الذي قذفت عرضك ، وأسهرت ليلك ، وآذيت قومك ، فقال جرير : أما قولك شتنت عرضك فاضرب البحر أن يشتمه من غرق فيه ، وأما قولك وأسهرت ليلك ، فلوتركتني أنام لكان خير آ لك ، وأما قولك وآذيت قومك فكيف تؤذي قوما أنت تؤذي الجزية إليهم ؟ وكان الأخطل من نصارى العرب المنتصرة ، قبحه الله وأبعد مثواه ، وهو الذي أنشد بشر بن مروان قصيدته التي يقول فيها :

قَدْ اسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ * مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف السكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً ، فانه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاضياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشرى على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا نجد أضعف من حجج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فكشوا بيابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فسأهم ذلك وهموا بالرجوع إلى بلادهم ، فربهم رجاء بن حيوة فقال له جرير : -

يا أيها الرجلُ المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذنْ لنا عمرا
فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فربهم عدي بن أرطاة فقال له جرير منشداً :
يا أيها الراكبُ المرخي مطيته * هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفتنا إن كنت لآقيه * أنى لدى الباب كالمصنود في قرن
لا تنس حاجتنا لاقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء بيابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (ص) قد كان يسمع الشعر ويمجزي عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده : -

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنادين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظالمنا
ونورت بالبرهان أمراً مدلساً * واطفأت بالقرآن ناراً نصرماً
فن مبلغ عني النبي محمدآ * وكل امرئ يمجزي بما كان قدماً
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وكان قدماً ركنه قد تهتما
تعالى علواً فوق عرش إلھنا * وكان مكان الله أعلا وأعظماً

فقال عمر : من الباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال أليس هو الذي يقول :
ثم نهتها فهبت كعابا * طفلة ما تبين رجع الكلام

ساعةً ثم إنها بعدُ قالت * ويلنا قد عجلت يا ابن السكram
 أعلى غير موعدي جئت تسرى * تتخطى إلى رهوس النيام
 ما تجشمت ما تريد من الأمر * ولا حيث طارقاً لخصام
 فلو كان عدو الله إذ فجر كتم وستر على نفسه ، لا يدخل والله أبداً ، فمن بالباب سواء ؟ قال :
 همام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :
 هما دلياني من ثمانين قامةً * كما انقض باز أقم الریش كسرة
 فلما استوت رجلاي بالأرض قلنا * أحي برجي أم قتيل نحاذره
 لا يظأ والله بساطي وهو كاذب ، فمن سواء بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أوليس هو الذي يقول :
 ولست بصائم رمضان طوعاً * ولست بأكل لحم الاضاحي
 ولست بزاجر عيساً بكور * إلى بطحاو مكة للنجاح
 ولست بزائر بيتا بعيداً * بمكة أبتغي فيه صلاحي
 ولست بقائم كالعير أدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
 ولكني سأشربها شمولاً * وأسجد عند منبلج الصباح
 والله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالباب سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :
 أليس هو الذي يقول :

الله بيني وبين سيدها * يفر مني بها وأتبعه
 فما هو دون من ذكرت ، فمن ههنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذي يقول : -
 ألا ليتنا نجيا جميعاً وإن نمت * يوافق في الموتى خريجي خريجيها
 فما أنا في طول الحياة براغب * إذا قبل قدسوى عليها صفيحها
 فلو كان عدو الله نمني لقاءها في الدنيا ليعمل بذلك صالحا ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل
 بالباب أحد سوى ذلك ؟ قلت : جريبر ، قال أما إنه الذي يقول :

طرتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
 فان كان لابد فأذن لجريبر ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :
 إن الذي بعث النبي محمداً * جعل الخلافة للإمام العادل
 وسع الخلائق عدله ووافؤه * حتى ارعوى وأقام ميل المائل
 إني لأرجو منك خيراً عاجلاً * والنفس مولة بحب العاجل
 فقال له : ويحك يا جريبر ، اتق الله فيما تقول ، ثم إن جريبرا استأذن عمر في الانشاد فلم يأذن له ولم

ينبه ، فأشده قصيدة طويلة مدحه بها ، فقال له : ويحك يا جرير لا أرى لك فيما همنا حننا ، فقال : إني مسكين وابن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لا نملك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة وقد بقيت مائة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جرير ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض ، ثم أنشأ يقول :

رَأَيْتُ رَقِيَ الشَّيْطَانُ لَا تَسْتَفْزُهُ * وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَاقِيَا

وقال بعضهم فيها حكاه المعافى بن زكريا الجربري قالت جارية للحجاج بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما علمت عفيفا ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلاصها مع جرير في مكان يراهما الحجاج ولا يريانه ، ولا يشعر جرير بشيء من ذلك ، فقالت له : يا جرير ، فأطرق رأسه ، وقال : هأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا - شعر فيه رقة - فقال : لست أحفظه ولكن أحفظ كذا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشدها شعرا في مدح الحجاج - فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد كذا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشدها في الحجاج - حتى انقضى المجلس فقال الحجاج : لله درك ، آيت إلا كرما وتكرما . وقال عكرمة أنشدت أعرابيا بيتا لجرير الخطاني :

أَبْدَلَ اللَّيْلُ لَا تَجْرِي كَوَاكِبُهُ * أَوْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتُ النَّجْمَ حَيْرَانَا

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده من قولي

وَلَيْلٌ لَمْ يَقْصِرْ رَقَادٌ * وَقَصْرُهُ لَنَا وَصَلُّ الْحَبِيبِ
نَعِيمُ الْحَبِيبِ أَوْ رَقٌ فِيهِ * حَتَّى تَنَاوَلْنَا جَنَاهُ مِنْ قَرِيبِ
بِمَجْلِسٍ لَدَيْهِ لَمْ تَقَفْ فِيهِ * عَلَى شَكْوَى وَلَا عَيْبِ الذَّنُوبِ
نَفْسِنَا أَنْ نَقْطَعَهُ بِلَفْظٍ * فَتَرَجَّمَتِ الْعَيُونُ عَنِ الْقُلُوبِ^(١)

فقلت له : زدني ، قال : أما من هذا فخسبك ولكن أنشدك غيره فأنشدني :

وَكُنْتُ إِذَا عَقَدْتُ حِجَالَ قَوْمٍ * مَحْبَبَتُهُمْ وَشَيْئِي الْوَفَاءُ
فَأَحْسَنُ حِينَ يَحْسَنُ مُحْسِنُومٌ * وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
أَشَاءُ سِوَى مَشِيتِهِمْ فَآتِي * مَشِيتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءُ

قال ابن خلكان : كان جرير أشعر من الفرزدق عند الجمهور ، وأخبر بيت قاله جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو نَعِيمٍ * حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَبَا

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على ابنه ، وإذا هو يرتفع من ندى

(١) في هذه الأبيات تهريف ، ولم تقف عليها في مرجع آخر .

عنز ، فاستدعاه فتهض والابن يسيل على لحيته ، فقال جرير للذي سأله : أتبصر هذا ؟ قال : نعم ، قال :
 أنعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، وإنما يشرب من ضرع العنز لئلا يحلبها فيسمع جيرانه حس الحلب
 فيطلبوا منه لبنا ، فأشعر الناس من فخر بهذا ثمانين شاعرا فغلبهم ، وقد كان بين جرير والفرزدق
 ، قباولات ومهاجاة كثيرة جدا يطول ذكرها ، وقد مات في سنة عشر ومائة ، قاله خليفة بن خياط وغير
 واحد ، قال خليفة : مات الفرزدق وجرير بعده بأشهر ، وقال الصولي : ماتا في سنة إحدى عشرة
 ومائة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعين يوماً ، وقال السكري عن الأصمعي عن أبيه قال : رأى
 رجل جريراً في المنام بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقيل : بماذا ؟ قال بتكبيرة
 كبرتها بالبادية ، قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال أيها أهلكه قذف الحصنات . قال الأصمعي لم
 يدعه في الحياة ولا في الممات

وأما الفرزدق

واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن
 حنظلة بن زيد بن مناة بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي خطل التيمي البصري الشاعر
 المعروف بالفرزدق ، وجده صعصعة بن ناجية صحابي ، وفد إلى رسول الله (س) ، وكان يحبي المؤودة
 في الجاهلية ، حدث الفرزدق عن علي أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال من هذا ؟ قال ابني وهو شاعر ،
 قال علمه القراءة فهو خير له من الشعر . وسمع الفرزدق الحسين بن علي ورآه وهو ذاهب إلى العراق
 وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعرجة بن أسعد ، ووزارة بن كرب ، والطرماح بن عدي الشاعر ،
 وروى عنه خالد الحذاء ومروان الأصغر وحجاج بن حمجاج الأحول ، وجماعة ، وقد وفد على معاوية
 يطلب ميراث عمه الحبيب ، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك ، وقال أشعث بن
 عبد الله عن الفرزدق قال نظر أبو هريرة إلى قدمي فقال : يا فرزدق إني أرى قدميك صغيرين
 فاطلب لهما موضعاً في الجنة ، فقلت : إن ذنوبي كثيرة ، فقال : لا بأس فاني سمعت رسول الله (س) .
 يقول : « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها » . وقال معاوية بن
 عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتحرك فاذا في رجله قيد ، فقلت : ما هذا ؟ فقال :
 حلفت أن لا أنزعه حتى أحفظ القرآن . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت بدويّاً أقام بالخصر إلا فسد
 لسانه إلا روبة بن العجاج والفرزدق فانهما زادا على طول الإقامة جدة وحدة ، وقال راويته أبو شغل
 طلق الفرزدق امرأته الأنوار ثلاثاً ثم جاء فأشهد على ذلك الحسن البصري ، ثم ندم على طلاقها
 وإشهاد الحسن على ذلك فأنشأ يقول : -

فلو أني ملكك يدي وقلبي * لكان عليّ للقدر الخيار

ندمتُ ندامةَ الكسبي لما * غدت مني مطلقةً نوار
وكانت جنتي نخرجتُ منها * كآدم حين أخرجهُ الضرار

وقال الأصمعي وغير واحد : لما ماتت النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي امرأة الفرزدق - وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصري - فشهدا أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسن على بقلته ، والفرزدق على بعيره ، فسار فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد هذه الجنازة اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما أن صلى عليها الحسن مالوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يعافني * أشد من القبر التهاياً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائداً * عنيفاً وسواقاً يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشى * إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربلاً * سراييل قطران لباساً مخرقا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم * يذوبون من حر الصديد تمزقا

قال : فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم التزم الفرزدق ، وقال : لقد كنت من أبغض الناس إلى ، وإنك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله في قذف المحصنات ، فقال : والله الله أحب إلى من عيني اللتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟ وقد قدمنا أنه مات سنة عشر ومائة قبل جري باربعين يوماً ، وقيل بأشهر فآله أعلم .

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا التكميل مبسوطاً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فأما الحسن بن أبي الحسن

فاسم أبيه يسار وأبجد هو أبو سعيد البهرى مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع ، فتشاغله أم سلمة بشديها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله (ص) ، ثم كان وهو صغير يخرج به أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعوه له عمر بن الخطاب ، قال : اللهم قه في الدين ، وحبه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا عنها . ولما الحسن ، فانه سمع وصحنا ، لحفظ ونسينا ، وقال أنس مرة : إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلاً قهها إلا رأيت فضل الحسن عابه ،

وقال أيضا : ما رأيت عيناى أفقه من الحسن ، وقال أيوب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هيبه له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أجمل أهل البصرة وأهيبهم فهو الحسن ، فأقرأه منى السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعمش : ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها ، ولكن أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جامعاً للعلم والعمل ، عالماً رفيماً فقيها ثقة مأموراً عابداً زاهداً فاسكاً كثير العلم والعمل فصيحاً جميلاً وسياً ، وقدم مكة فأجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فخدمهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، عام عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

وأما ابن سيرين

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبو محمد من سبي عين التمر ، أسره خالد بن الوليد في جملة السبي ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولده من الأولاد الأخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبود ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء رحمهم الله . قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأموراً عالماً رفيماً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً . وكان به صمم ، وقال مؤرق العجلي : ما رأيت رجلاً أفقه فى ورعه ، وأورع فى فقهه منه ، قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشد الناس إزاراً على نفسه ، وأشد هم خوفاً عليها . قال ابن عون : ما بكى فى الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين فى العراق ، والقاسم بن محمد فى الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأتون بالحديث على حرفه ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذاك الأصم - يعنى محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحداً أجراً على تعبير الرؤيا منه . وقال عثمان البتى : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات فى تاسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم .

فضيلة

كان اللائق ، بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشعراء المتقدم ذكرهم فيبدأ بهم ثم يأتى بتراجم الشعراء ، وأيضاً فإنه أطال القول فى تراجم الشعراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم يفتن بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والثناء عليهم ، ولا سيما

كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه - كما ذكره بعد وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصرها جداً وإن المؤلف أقدر وأوسع علماً ، فما ينبغي أن يخل ببعض كلامهم وحكمهم ، فان النفوس مستشرفة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فان أقوال الساف لها موقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنفه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم تقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فانا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه . فكيف حل غيرهم . ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشعبت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي ضالة المؤمن . ولعل أن يقف على هذا راغب في الآخرة ، طالب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم الخلف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمعتير ومزدجر ، فان ذكر أئمة العدل والجور بعد موتهم فيها فضل أولئك ، وغم هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان متلبساً به من الفساد والظلم ، بل هو مدون في الكتب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصلاح والخير ، فان الله قد قص في القرآن أخبار الملوك والفراعنة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعملون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والمحسنين والأبرار والأخيار والمؤمنين ، للاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فنقول وبالله التوفيق :
اما الحسن

فهو أبو سعيد البصري الامام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعملوا وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره ، وأحدهم يصلي ليلة أو بض ليلة فيصبح وقد استطال على جاره ، وإن كان القوم ليجتمعون فيتذاكرون فتجىء الرجل عبرته فيردها ما استطاع ، فان غلب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكرهه عمر - أو قال : لكه - وقال : إن في هذا لفتنة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوما ألهمهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وارجو رحمة الله ، وكذب ، لو أحسن الغان بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يرشك من دخل المغارة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حادثوا هذه القلوب فانها سريرة الدثور ، واقدعوا هذه لأنفس فانها تنزع إلى شرغاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فاذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فعند ذلك ترحل عند بركات العلم ويبقى عليه رحمه . وروى الفتني عن أبيه قال : عاد الحسن عليلاً فوجده قد شفي من علته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكرك

فأذكره ، وقد أفالك فاشكره ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فأما أن يكون العليل بعد المرض فرساجوآء ، وإما أن يكون حماراً عثوراً معقوراً . وروى العتيبي عن أبيه أيضاً قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، مما لا حيلة لأحد في دفعه ، ولا ينفع الندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الجاهلين ، وشمر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لى ولك من الله . تماماً يسألنى وإياك فيه عن الحقير والدقيق ، والجليل والخافي ، ولا آمن أن يكون فيما يسألنى وإياك عنه وسوس الصدور ، ولحظ العيون ، وإصغاء الأصابع . وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جلوساً على باب ابن هبيرة فقال : طفحت نعالكم ، ويضتم ثيابكم . ثم أتيتهم إلى أبوابهم تسعون ؟ ثم قال لأصحابه : ما ظنكم بهؤلاء الخدباء ؟ ليست مجالسهم من مجالس الأتقياء ، وإنما مجالسهم مجالس الشرط . وروى الخرائطي عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في ثمنه كسر جبره لصاحبه . ومر الحسن يقوم يقولون : نقص دائق أى عن الدرهم الكامل والدينار الكامل - إما أن يكون درهما ينقص نصفاً أو رباعاً ، والعشرة تسعة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هذه الأشياء ، وإن كان اشترى السلعة بدرهم ينقص دائقاً كله درهماً ، أو بتسعة ونصف كلها عشرة ، مروءة وكرماً . وقال عبد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دائق واحد ، فقال الحسن : إن هذه الأخلاق فما بقي من المروءة إذا ؟ . قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بمروءة . وباع بغلة له فقال له المشتري : أما تحط لى شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهماً ، أزيدك ؟ قال : لا أرضيت ، قال : بارك الله لك . وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعمى قال : ذهبت بى أُمى إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد : ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلعل الله أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لى يوماً : يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، وأبك فى ساعات الليل والنهار فى الخلوة لعل مولاك أن يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين ، قال : وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي ، وربما جئت إليه وهو يصلى فأسمع بكاءه ونحيبه ، فقلت له يوماً : إنك تكثر البكاء فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك ؟ يا بني ! إن البكاء داع إلى الرحمة ، فان استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل لعله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت نجوت من النار ، وقال : ما هو إلا حلول الدار إما الجنة وإما النار ، ما هناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه

قطرة حتى تمتق رقبته من النار . وقال : لو أن با كيا بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعا ، وليس شئ من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فانه لا يقوم الله بالدمعة منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم في لبن ، وإيمان في يقين ، وحكم في علم ، وحبس في رفيق ، وإعطاء في حق ، وقصد في غنى ، وتحمل في فاقة ، وإحسان في قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع في رغبة ، وتغف وصبر في شدة ، لا ترديه رغبته ، ولا يسدره لسانه ، ولا يسبقه بصره ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يعيل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستخفه حرصه ، ولا تقهر به نيته . كذا ذكر هذه الألفاظ عنه ^(١) . قال : حدثنا عبد الرحمن ابن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن فذكره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا علي بن إبراهيم اليشكري حدثنا موسى بن إسماعيل الجبلي حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبي شداد عن الحسن قال قال لقمان لابنه : يا بني العمل لا يستطاع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فأغلبه باليقين والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فأغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرغبة فأكبره أن الدنيا مفارقة متروكة . وقال الحسن : ما أيقن عبد بالجنة والنار حق يقينهما إلا خضع وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طلبت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدبت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق وفي معافاة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتعاونون في العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا . وقال : الناس في العافية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وفي رواية : فإذا نزل البلاء تبين من يعبد الله وغيره ، وفي رواية فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفرابي في فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : [كتاب أنزلناه مبارك ليبدروا آياته وليتذكر أولو الألباب] وماتدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فسا أسقط منه حرفا واحدا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إني لأقرأ السورة في نفس ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالعلماء ولا الحكماء

ولا الورعة ، ومتى كانت القراءة هكذا أو يقول مثل هذا ، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جنسب قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤتون إلا من قبلنا ، ومع ذلك نشأ آخر يقرؤن القرآن يكونون في آخر هذه الأمة ينثرونه ، نثر الدقل ، لا يجاوز تراقيهم ، تسبق قراءتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم الغيبة له قال : والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده . وكان يقول . ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شغلك في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الفاسق حرمة . وقال : ليس لمبتدع غيبة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الفاجر المعلن بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا تحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قوما يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقعة فيك سبيلا ، فقال : هون عليك يا هذا فاني أطعمت نفسي في الجنان فطعمت ، وأطعمتها في النجاة من النار فطعمت ، وأطعمتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلا ، فان الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم ؟ وقال : كانوا يقولون : من رمى أخاه بذنوب قد تاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فإنه شهى كلهم المصفور عما قليل يقله صاحبه . وقال الحسن : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يصدقه أو يكذبه ، فان سمعت قولاً حسناً فريداً بصاحبه ، فان وافق قول عملاً فتنم ونعمت عين أخته وأخيه ، وإذا خالف قول عملاً فإذا يشبه عليك منه ، أم ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه لا يخدعنك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولاً وعملاً ، فعملك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية ، فسريرتك أحق بك من علانيتك ، وإن لك عاجلة وعاقبة ، فعاقبتك أحق بك من عاجلتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أنبأ عبدان بن عثمان أنبأ معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حديد اللسان حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت أبصر به من نفسه ، ترى أبدانا ولا قاربا ، وتسمع الصوت ولا أنيس ، أخصب السنة وأجذب قلوبا ، يأكل أحدهم من غير ماله ويبيكي على عماله ، فإذا كفضته البطنة قال : يا جارية أو يا غلام ايتني بهاضم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك ؟ . وقال : من رق ثوبه رق دينه ، ومن سمن جسده هزل دينه ، ومن طاب طعامه أنتن كسبه . وقال فيما رواه عنه الأجرى : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال معه ، لا يخلفه في الرحال ، ولا يأتى عليه الرجال . وقال في قوله تعالى : [فلا أقسم بالنعس الاوامة] قال : لا تلقى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت بأكلة كذا ، ما أردت بمجلس كذا ، وأما الفاجر فيمضى قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا وتشددوا فانما هي ليال تعد ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فاتقلبوا بصالح ما يحضر تكم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما يصبر على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن الخثار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء ويعجبه فيقول : والله إنك لمن حاجتى وإني لأشتهيك ، ولكن والله ما من صلة إليك ، هيهات حيل بينى وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبدا إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته ، لا يأمن شيئا حتى يلقي الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في صمعه وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا صعب شديد ، وإنما معول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فكليس ، فإليك إن دخلت النار لم تجبر بعدها أبدا . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يهلك المرء نفسه . وقال : أدركت صدر هذه الأمة وخيارها وطال عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم عاملين بكتاب ربهم ، متبعين سنة نبيهم ، ما طوى أحدهم ثوبا ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهله بصنع طعام ، كان أحدهم يدخل منزله فان قُرب إليه شيء أكل وإلا سكت فلا يتكلم في ذلك . وقال إن المنافق إذا صلى صلى رياء أو حياء من الناس أو خوفا ، وإذا صلى صلى فقرأهم الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها ولم يحزنه فواتها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت : من جعل الحمد لله على النعم حصنا وحابسا وجعل أداء الزكاة على المال سياجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائسا ، أمن العطب ، وبلغ أعلى الرتب . ومن كان للمال قانصا ، وله عن الحقوق حابسا ، وشغله وألماه عن طاعة الله كان لنفسه ظالما

ولقلبه بما جنت يدها كالماء ، وسلطه الله على ماله سالباً وخالسا ، ولم يأمل العطب في سائر وجوده الطلب
وقيل : إن هذا لغيره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربع من كن فيه أتى الله عليه محبته . ونشر عليه رحمته : من رقى لوالديه ، ورق
لملوكه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضعيف . وسئل الحسن عن النفاق فقال : هو اختلاف السر والعلانية
والمدخل والخروج ، وقال : ما خافه إلا مؤمن ، ولا آمنه إلا منافق - يعنى النفاق - وحلف الحسن :
ما مضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق ، وفي رواية : إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى
منافق ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبك الدينار
والدرهم ؟ قال : لا أحبهما ، فكتب إليه : تولى فانك تعدل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت
أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بصيبة ، وقال مسمع : لو رأيت الحسن
لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن وعمر بن
عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما . وقال ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ،
وأربعين سنة لم يمزح . وقال : ما سمع الخلائق بعورة بادية ، وعين باكية مثل يوم القيامة . وقال :
ابن آدم ! إنك ناظر غداً إلى عملك يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تنقيه ، فانك
إذا رأيت غداً في ميزانك شرك^(١) مكانه . وقال : ذهبت الدنيا وبقيت أعمالكم فلا تد في أعناقكم
وقال : ابن آدم ! بع دنياك بآخرتك ترجعها جميعاً ، ولا تبسج آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً ، وهذا
مأثور عن لقمان أنه قاله لولده .

وقال الحسن : نجب الرجل قد لبس الأحمر والأبيض . قال : هلموا فانظروا إلى ، قال الحسن :
قد رأيته يا أفق الفاسقين فلا أهلاً بك ولا سهلاً ، فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا بنظرهم إليك
مزيد حرص على دنياهم ، وجراً على شهوات الغنى في بطونهم وظهورهم . وأما أهل الآخرة فقد
كرهوك ومقتوك . وقال : إنهم وإن هملجت بهم البراذين ، وزفرت بهم البغال ، ووطئت أعقابهم
الرجال ، إن ذل المعاصي لا يفارق رقابهم ، يأبى الله إلا أن يدل من عصاه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد : ألا يعجبك من محمد بن الاعمش ؟ فقال : ماله ؟
قلنا : دخلنا عليه آفئاً وهو يجود بنفسه فقال : انظروا إلى ذاك الصندوق - وأومأ إلى صندوق في
جانب بيته - فقال : هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال : درهم - لم أؤد منها زكاة ، ولم
أصل منها رحماً ، ولم يأكل منها [محتاج] . قلنا : يا أبا عبد الله ، فلن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة
الزمان ، ومكاثرة الأقران ، وجفوة السلطان . فقال : انظروا من أين أتاه شيطانه فخوفه روعة زمانه ،

(١) كذا بالأصل وفيه نقص يظهر بالتأمل .

ومكاثرة أقرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث : لاتخذ عن كما خدع صويحبك بالأمس ، جاءك هذا المال لم تتعب لك فيه عمن ، ولم يعرق لك فيه جبين ، جاءك ممن كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، من حق منعه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لذو حسرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والافتاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بيباقيةٍ لحى * ولا حى على الدنيا بياق

وبهذا البيت في آخر النهار :

يسر النقي ما كان قدم من تقي * إذا عرف للداء الذى هو قاتله

ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعاه وحسكه . ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

محمد بن سيرين

أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبوه من سبي عين التمر أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلاء ، رحمهم الله تعالى .

قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يمل . وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وصمنا وخشوعا ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن مالك أوصى أن يفلسه محمد بن سيرين . وكان محمد محبوسا - فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوس فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسنى ، إنما حبسنى من له الحق ، فأذن له صاحب الحق ففلسه . وقال يونس : ما عرض لمحمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأوتقهما في دينه ، وقال : إني لأعلم الذند . الذى حملت بسببه ، إني قلت يوما لرجل : يا مفلس ، فذكر هذا لأبي سليمان الداراني فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا . ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى ، ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى وليمة يدخل منزله فيقول : ايتونى بشربة سويق فيشربها ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موائدم وطعامهم : وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول : إنها ساعة غفلة الناس ، وقال : إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيراً .
 مروال : العزلة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كان يشغبر
 ونه وينكر محاله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في
 اليقظة ولا يفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنني أصب الزيت في الزيتون ، فقال : ففش
 على امرأتك فأنها أمك ، ففتش فاذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيراً سبيماً مكث
 في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشتراها جاهلاً أنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكروها
 لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنني
 دست - أو قال وطئت - نمرة فخرجت منها فأرة . فقال له : تتزوج امرأة - أو قال : تطأ امرأة - صالحة
 تلد بنتاً فاسقة ، فكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأنني على سطح بيتي حبات شمير فجاء ديك
 فلقطها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني . فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء
 إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلكتك فخذ منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال
 له رجل : رأيت الحمام تلعط الياسمين . فقال : مات علماء البصرة . وأما رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً
 واقفاً على مزبلة ويده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا
 إلا للحسن البصري ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها
 تحت رجليه ، وعريته تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس .
 وقال له آخر : رأيت كأنني أسنك والدم يسيل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل
 لحومهم وتخرج في بابه وتأتيه ^(١) .

وقال له آخر : رأيت كأنني أرى اللؤلؤ في الحماة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند
 غير أهله ومن لا ينتفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ
 منه قطعة ، فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت
 من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه وهي حساب الجمل ، فالسنة ستون ، والذون خمسون ، والواو سنة
 والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبد في جواركم ، فالزموا
 عبداً أسود كان في جواركم وضرب فأقر بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا
 أنظر إليها . فقال له أمؤذن أنت ؟ قال : نعم . قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له
 آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسحتها كساء وبعته في السوق . فقال له : اتق الله
 فانك شاهد زور . وقال له آخر : رأيت كأنني آكل أصابعي ، فقال له تأكل من عمل يدك . وقال لرجل

انظر هل ترى في المسجد أحدا؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال :
أليس أمرتك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ^(١) ؟ . وقال عن رجل ذكر له
ذلك الأسود ، ثم قال : استغفر الله ! ما أراي إلا قد اغتبت الرجل - وكان الرجل أسود - وقال :
اشترك سبعة في قتل امرأة قتلهم عمر ، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبدت خضراءم .

وهيب بن منبه الياني

تابعي جليل ، وله معرفة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كعب الأخبار ، وله صلاح وعبادة ،
ويروى عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكميل والله الحمد . قال
الواقدي : توفي بصنعاء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : بمدها بسنة ، وقيل بأكثر ، والله أعلم .
ويزعم بعض الناس أن قبره غربى بصرى بقرية يقال لها عصم ، ولم أجد لذلك أصلاً ، والله أعلم .
انتهى ما ذكره المؤلف .

فضيلة

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير .
وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه من التابعين عدة . وقال وهب : مثل
من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به . وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش
قال : كنت جالساً مع وهب بن منبه فأراه رجل فقال له : إني مررت بفلان وهو يشتك ، فغضب
وقال : ما وجد الشيطان رسولا غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد
عليه السلام ، ومديده إليه وصاحفه وأجلسه إلى جنبه . وقال ابن طاوس : سمعت وهبا يقول : ابن
آدم احتل لدينك فان رزقك سيأتيك . وقال وهب : كفى أهل النار والعري كان خيراً لهم ، وطعموا
والجوع كان خيراً لهم ، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : اللهم
أيما فقير سأل غنيا فنصم عنه ، فأسألك إذا دعاك فلا تجبه ، وإذا سألك فلا تمطه . وقال : قرأت في
بعض كتب الله : ابن آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فان مثلك كمثل
رجل احتطب حطباً فحزم حزمة فذهب يحملها فمجز عنها فضم إليها أخرى . وقال : إن لله ثمانية
عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك
وعملك لله ، فان العمل لا يقبل ممن ليس بناصح ، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة
الطيبة ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، النصح ريحها ، والعمل طعمها ، ثم زين طاعتك بالحلم

والعقل ، والفقه والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعيب الدنيا ، وعبيدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكماء ، وامنعها عمل الأشقياء ، وألزمها سيرة الأتقياء ، واعزبها عن سبيل الخبثاء ، وما كان لك من فضل فأعن به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فراضله وعادبها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقويها ويرجيها حتى يبلغه ، إن كان قتيها حل من لافقه له إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصلحا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يعتر بالقول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على أن يغفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبعه بل يطلب ما لم يبلغ منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فإن الكذب كالأكل في الجسد تكاد تأكله ، أو كالأكلة في الخشب ، يرى ظهرها حسنا وجوفها نحر تفر من براها حتى تنكسر على ما فيها وتهلك من اغتربها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتربه ، يظن أنه معينه على حاجته ورائد له في رغبته ، حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين لذوى العقول غروره ، فتستنبط الفقهاء ما كان يستخفي به عنه ، فإذا أطلعوا على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبازوا شهادته ، واتهموا صدقه ، وحقروا شأنه ، وأبغضوا مجلسه ، واستخفوا منه بسرازم ، وكتفوه حديثهم ، وصرفوا عنه أماناتهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحذروه على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروه شيئا من محاضرتهم ، ولم يأمنوه على شيء من سرهم ، ولم يحكموه فيما شجر بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ، ومن شكك مصيبة نزلت به فانما يشكوك به عز وجل ، ومن أسف على ما فاتته من الدنيا سخط قضاء ربه عز وجل ، ومن تضرع لغنى ذهب ثلث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : أيما دار بنيت بقوة الضمءاء جعلت عاقبتها إلى الخراب ، وأيما مال جمع من غير حله أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر عن محمد بن عمر وقال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبيد استجبت له من قبل أن يدعوني ، وأعطيته من قبل أن يسألني ، وإن عبيد إذا أطاعني لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جعلت له المخرج من ذلك ، وإن عبدى إذا عضأتى قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يمتنع من شيء أرادته من خلقى . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أحبار بنى إسرائيل : تفقهون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن ، وتحملون نفس الذباب ، وتتغذون الغذاء من شرايبكم ، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وتنفلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لاتعينهم برفع الخناصر ، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تنقصون بذلك مال اليتيم والأرملة ، فبمزقنى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن محمد الصنعائى حدثنا همام بن مسلة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن معقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس يحمده أحداً على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيراً إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شرم ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إياهم ، إن مكروا به أباد مكرم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذب بهم ، وإن أدبروا قطع دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئاً من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإنما يأتى بالخير من الله تعالى رحمته ، ومن لم يبتغ الخير من قبل رحمته لا يجده أبداً غير ذلك يدخل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شيء إلا تعبد لهم ، وتضرعهم إليه حتى يرحمهم ، فإذا رحمهم استخرجت رحمته منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا تعبد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير يبتغى من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كله ، وباب خزائن الله رحمته ، ومفتاح رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وفيها ما تشاؤون وماتدعون فى مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يخافون ولا ينصبون ولا يهرمون ولا يفتقرون ولا يموتون ، فى نعيم مقيم ، وأجر عظيم ، ونواب كريم ، نزلا من غفور رحيم .

وقال سفيان بن عيينة : قال وهب : أعون الأخلاق على الدين الزهادة فى الدنيا ، وأسرعها رداً أتباع الهوى وحب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تنهك المحارم ، ومن انتهك المحارم بغضب الرب ، وغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى فى بعض كتبه يعتب به بنى إسرائيل : إني إذا أطعت رضيت ، وإذا رضيت باركت ، وليس لبركتى نهاية ، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ، وإن العنة منى تبلغ السابع من الولد . وقال : كان فى بنى إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل مائتي سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فألقوه على مزبلة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يارب إن بني إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائتي سنة ، قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى أسم محمد (ص) قبله ووضع على عينيه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كذا روى وفيه علل ، ولا يصح مثله ، وفي إسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يارب احبس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هذا بنفسى : وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ربي من خلقه ، عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريرته وخر له ساجداً ثم أقعده الملك معه على السرير ، وقال : [إنك اليوم لدينا مكين أمين] فقال : [اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم] حفيظ بهذه السنين وما استودعني فيها ، عليم بلغة من يأتيني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن النعمان الأقطس أنه سمع وهباً يقول : لما أمر الله الحوت أن لا يضره ولا يكلمه - يعني يونس - قال : [فلو لا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون] قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المتقدمة ، فلما خرج من البحر قام فأبنت الله شجرة من يقطين - وهو الدباء - فلما رآها قد أظلمت ورأى خضرتها فأعجبته ، ثم نام فاستيقظ فإذا هي قد يبست ، فجعل يتحزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تسبق ولم تنبت وتحزن عليها ، وأنا الذى خلقت مائة ألف من النار أو يزيدون ثم رحمتهم فشق ذلك عليك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد الفسائي حدثنا رباح حدثني عبد الملك بن عبد المجيد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والذئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال : من ألقى بينهم العداوة ؟ قال : أنت يارب ، قال : فإني أولف بينهم حتى لا يتضررون .

وقال وهب لمطاء الخراساني : ويحك يا معطاء ، ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ؟ ويحك يا معطاء ، أنأتى من يغللق عنك بابه ، ويظهر لك فقره ، ويوارى عنك غناه ، وتترك باب من يقول : [ادعوني أستجب لكم] ؟ ويحك يا معطاء ، إن كان بكيفيك ما يكيفيك فأوحى ما فى الدنيا يكيفيك ، وإن كان لا يكيفيك ما يكيفيك فليس فى الدنيا شئ يكيفيك ، ويحك يا معطاء ، إنما بطنك بحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يملؤه شئ إلا التراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنوتا وصمتاً ، والآخر أطول سجوداً ، فأيهما أفضل ؟ فقال : أنصحهما لله عز وجل . وقال : من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم ، أى

يجب أن يحمد على ما لم يفعل ، ويكره أن يذم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني اعقل عن الله فان أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العاقل . ما يستطيع أن يكايده . وقال لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طباً لا يتعافيه الأطباء ، وفقها لا يتعافيه الفقهاء ، وحلماً لا يتعافيه الحلما ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قلل : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحدته على آخره ، وأما الفقه فان سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما أتمم والإفعل : لا أدري ، وأما الحلم فان كثرت الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقتان ، الحياء والرهبة ، طمع في رشده .

وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك من لا يعقل كمن يغنى الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يبيل الصخر الأصم كي يلين ، وكمن يطبخ الحديد يلتصق أدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يضع المائدة لأهل القبور ، ونقل الحجارة من رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الراحمة كل صباح : أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الحسين ما ذا قدمتم ؟ أبناء الستين لا عذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، ولينهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، قد أتتكم الساعة فخذوا حذركم . وقال : قال دانيال : يالهي على زمن يلتصق فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ، إلا كالسنبلة في أثر الحاصد ، أو كالخصلة في أثر القاطف ، يوشك نوائح أولئك وبواكهم أن تبكيهم .

وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن معقل . قال : سمعت وهبا يقول في قوله تعالى : [ولنضع الموازين القسط ليوم القيامة] قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بعبده خيراً ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بعبده شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقكم وأفنيكم بحكمي حق قضائي وناقذ أمري ، أنا أعيدكم كما خلقكم ، وأفنيكم حتى أبقي وحدي ، فان الملك والخلود لا يحق إلا لي ، أدمو خلقي واجمعهم بقضائي ، يوم أحشر أعدائي ، ونجمل القلوب من هيبتي ، وتبتر الأسمه من عبدها دوني .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله وذكر عصمته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته وملكوته وربوبيته ، فأنصت كل شيء وأطرق له ، فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأسماء العلا ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الطول والمان والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمي ، وقهر كل شيء ملكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ، وأحصى كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لغاتي ، فانا الله يا معشر الخلائق

فاعرفوا مكاني ، فليس شيء في السموات والأرضين إلا أنا ، وخلق كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بي ، ويتقلب في قبضتي ، ويعيش برزقي ، وحياته وموته وبقاؤه وفناؤه بيدي ، فليس له محيص ولا ملجأ غيري ، لو تخليت عنه طرفة عين لدمر كله ، وكنت أنا على حالي لا ينقصني ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكي شيئاً ، وأنا مستغن بالعرز كله في جبروتي وملكى ، وبرهان نورى ، وشديد بطشى ، وعلو مكاني ، وعظمة شأني ، فلا شيء مثلي ، ولا إله غيري ، وليس ينبغي لشيء خلقته أن يعدل بي ولا ينكرني ، وكيف ينكرني من خلقته يوم خلقته على معرفتي ؟ أم كيف يكابرني من قهر قهره ملكي ؟ أم كيف يعجزني من ناصيته بيدي ؟ أم كيف يعدل بي من أمره وأسقم جسمه وأنقص عقله وأنوفى نفسه وأخلقه وأهرمه فلا يتمتع مني ؟ أم كيف يستنكف عن عبادتي عبدي وابن عبدي وابن أمتي ، ومن لا ينسب إلى خالق ولا وارث غيري ؟ أم كيف يعبد دوني من خلقه الأيام ، ويفنى أجله اختلاف الليل والنهار ؟ وهما شعبة يسيرة من سلطاني ؟ فإلى أي يا أهل الموت والفناء ، لا إلى غيري ، فإني كتبت الرحمة على نفسي وقضيت العفو والمغفرة لمن استغفرني ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغيرها وكبيرها لمن استغفرني ، ولا يكبر ذلك على ولا يتعاضمني ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقنطوا من رحمتي ، فإن رحمتي سبقت غضبي ، وخزائن الخير كلها بيدي ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت مني إليه ، ولكن لأبين به قدرتي ، ولينظر الناظرون في ملكي ، ويتدبروا حكمتي ، وليسبحوا بحمدي ويعبدوني لا يشركوا بي شيئاً ، ولتعنوا الوجوه كلها إلى .

وقال أشرس عن وهب قال قال داود : إلهي أين أجذك ؟ قال عند المنكسرة قلوبهم من مخافتى . وقال كان رجل من بني إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر في كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف يفوق الشيطان الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب ، قال في نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبي وما بيني وبين ربي لكان خيراً من هذا الأمر الذي أطلب ، ثم أقبل على نفسه فقال : يانفس من قبلك أتيت ، لو علم الله فيك خيراً لقضى حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيهم : أن قل لفلان العابد : إزراؤك على نفسك وكلامك الذي تكلمت به ، أعجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجاب الله سؤالك ، وفتح بصرك فانظر الآن ، فنظر فإذا أحبولة لابليس قد أحاطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بني آدم الا وحوله شياطين مثل الذباب ، فقال : إلهي رب ، ومن ينجو من هؤلاء ؟ قال صاحب القلب الوداع اللين .

وقال وهب : كان رجل من الساميين فأتى سبي أرض فيها قنأ فدعته نفسه إلى أخذ شيء منه ، فمات بها فقام مكانه يصلي ثلاثة أيام ، ففرّ به رجل وقد لوحته الشمس والريح ، فلما نظر إليه قال :

سبحان الله !! لكأنما أحرق هذا الانسان بالنار ، فقال السامع : هكذا بلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف بي لو قد دخلتها ؟ !

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنبا فقال : لله على أن لا يظلمنى سقف بيت أبداً حتى تأتبنى براءة من النار ، فكان بالصحراء فى الحر والقر ، فمر به رجل فرأى شدة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف بي إذا أنا وقعت فيها ؟ ! . وقال : لا يكون البطال من الحكماء أبداً ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء . وقال وهب فى موعظته : اليوم يعظ السعيد ، ويستكثر من منافعه اللبيب ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجهالة عنك ، وإنما أوقعت فيه مصاييح الهدى لتنبه لحزبك ، فلم أر كالיום ضل مع نوره متحير داع لمداداة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر من طلبته فى يده ، ولا أضعف ممن هو فى يد طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الحيلة فى بقاء ما سيذهب ؟ يا ابن آدم اقصر عن طلب ما لا تدرك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد . واقطع الرجاء عنك كما قعدت به عنك الأشياء ، واعلم أنه ربّ مطلوب هو شر لطالبه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترتجى ؟ يوم يحى فى غم أو يوم تستأخر عاقبته عن أوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر نجده ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم لا بد منه ، ويوم يحى لا تأمنه ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد فجعت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل الغيبة عنك ، وهو سريع الظن إياك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فان كان ما فيه لك فاشفعه بمثله أو ثقلك باجتماع شهادتهم ما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحلهم إلا فى غيرها ، وإنما يقبلون بالعوارى فى أحسنه - يعنى الشكر - للنعيم والتسليم للعباد ، يا ابن آدم إنما الشئ من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ ! إنما يقر الفرع بعد الاصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية فى عقله ممن ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقنا ولم نكن ، وسنبلى ثم نمود ، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدا ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصاحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس ! إنما أنتم فى هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، وإن ما أنتم فيه من دنياكم نهب للمصائب ، لا تتألون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معمر يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا يتخذ له زيادة فى ماله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ، ولا يحى له أثر إلا مات له أثر . نسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن مروان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم ^(١) لسائقها ، وإن فتر سائقها حزنتم ، ولم تتبع قائدها : فإذا اجتمعما استقامتا طوعاً أو كرها ، ولا تستطيع الدين إلا بالطوع والكره ، وإن كان كلما كره الإنسان شيئاً من دينه تركه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره ، فنه خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنقصة الأيام ولا نهزمه وتبليه ويموت ، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خلق يطعم ويرزق ، خلقه الله وخلق معه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، لو خرج مافي البحر إلى البر هلك ، ولو دخل مافي البر إلى البحر هلك ، ففي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أهمته قسمة الأرزاق والمعيشة فليتهبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فإنه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت بكل دابة منها فيما رزقت أصلحها ذلك وأحيأها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بما قسم الله له من رزقه أحيأه ذلك وأصلحها ، فإذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره وفضحه .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبذلون إليهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبذلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم ، فإياك يعطاء وأبواب السلطان فان عند أبوابهم فتنا كبرارك الأبل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجنيدي : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المديني حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لقي عالم عالماً هو فوقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ فقال : ما أحسب أحداً سمع بذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلّي فيها ، قال : فكيف ذكرك للوت ؟ قال : ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ فقال : إني لأصلّي وأبكي حتى ينبت العشب من دموعي ، فقال العالم : أما إنك إن تضحك وأنت ممترق بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدل بملك ، فان المدل لا يرفع له عمل فقال : أوصني فاني أراك حكيماً ، فقال ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها فيها ، وإن فيها كالنخلة ، إن

(١) كذا بالأصل وفيه نقص أو تحريف فليحرر .

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تكسره ، وانصح الله
نصح الكلب لأهله ، فانهم يجيئون به ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ،
وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأناه إذا كان الكلب أنصح لأهله
منك يا ابن آدم الله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قدمي ، فقال له : إنك إن
تبت قائما ، وتصبح نادما ، خير لك من أن تبيت قائما وتصبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان
عن رجل من أهل صنعاء عن وهب فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الطلت بن عاصم المرادي
عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فبسط عليه جبريل
فقال : يا آدم ألا أعلك شيئا تنفع به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم تم لي النعمة
حتى تهينني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تضرنى ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول
في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت
الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما أنصفتني ، تذكر بي وتنساني ، وتدعو إلى وتفر مني ، خيري إليك
نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل إليك من أجلك ، يا ابن آدم إن أحب ما تكون
إلى وأقرب ما تكون مني إذا رضيت بما قسمت لك . وأبغض ما تكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا
سخطت بما قسمت لك . يا ابن آدم أطلعني فيما أمرتك ، ولا تملني بما يصلحك ، إني عالم بخفي ، وأنا
أعلم بمحاجتك التي ترفلك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ،
لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حق . وقال وهب : قرأت نيحا وتسمين كتابا من كتب
الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن
آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فان تقلل ابن آدم شيئا من رزقه فليزدد إلى الله
رغبة ، ولا يقولن : لو أطلع الله على هذا من حال ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذي
خلقه وقدره ؟ أو يعتبر ابن آدم في غير ذلك بما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في
الأجسام والأموال والألوان والمقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق
والمعيشة ، فلا يكبر عليه أن يفضل عليه في الحلم والعلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذي
ورقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن
الرابع . أول زمان من أزماته حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو
في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شيء ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،

ولا رجل تسمى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هنك على أتم الوجوه وأهناها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها . ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويفنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعى ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وصاقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللبن إلى رزق يحدثه له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثرها على نفسيهما بكسبهما ، ويفنيهما ويغنيهما بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لا يعينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بحيلته ومكسبه وسعيه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجنس وما عليه من التنافس في طاب الدنيا ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والایمان ، ويمتلئ قلبه فقرًا وخوفًا منه مع المتاع ، ويمتلئ بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعلم أنه لن يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه ورزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مقال له ولا معذرة مما سلط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثير الشك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكر في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتفهم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خلقه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقيت وهبًا في الطريق فقلت : حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامى هذا وأوجز . فقال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما وعزتي وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته ، فتكبيده السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجًا ، أما وعزتي وجلالي لا يعنصم عبد من عبادي بخلق دوني أعلم ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي في أي واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصنعاني قال : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كفاي للعبد مالا ، إذا كان عسدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني ، وأستجيب له من قبل أن يدعوني ، فاني أعلم بحاجته التي مرفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمنا عاقلًا ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجبال الصم ، إنه يزلزل المؤمن العاقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآته بنو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى الطور فإذا هو بنهر أبيض

فيه مثل رؤس الكشبان كافور مخفوف بالرياحين ، فلما رآه أعجبه فدخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكشيب الآخر الذي فوق الطود ، فاذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قالا : بلى فنزل فحفر ، فقال لهما : لتحدثاني مثل من الرجل ؟ فقلا : على طولك وهيئتك ، فاضطجع فيه لينظروا فالتأمت عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لولا أنى كتبت النتن على الميت لحبسہ الناس في بيوتهم ، ولولا أنى كتبت الفساد على اللحم لحرمه الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرَّ عابد براهب فقال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مرَّ فان الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك للموت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تأنى عليه ساعة إلا يذكر الموت فيها ، وما أرفع قدما إلا وأظن أن لا أضمرها حتى أموت ، وما أضع قدما إلا وأنا أظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فجعل العابد يبكي ، فقال له الراهب : هذا بكائك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لا أبكي عند إفطاري فأشرب شرابي بدموعي ، ويصرعني النوم فأبلى متاعى بدموعي ، فقال له الراهب : إنك إن أضحك وأنت معترف بذنبك خير لك من أن تبكي وأنت مدل على الله بملك . فقال : أوصني بوصية ، قال : كن في الدنيا بمنزلة النخلة ، إن أكات أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن سقطت على شئ لم تضره ، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه في التراب ، وانصح لله نصيح الكلب لأهله ، فانهم يجيئونونه ويطردونه ، وهو يأبى إلا أن يجرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طاموس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون الكلاب أنصح لأهلها منا لولانا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب في صومعته في زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيدَه فلم يقدر عليه ، فأنام بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأنام متشبهاً بالمسيح فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلك فأنام المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فإلى إليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك . قال : فذهب عنه الشيطان خاسئا وهو حسير ، فلم يعد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً في صومعته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخلون بك ، ولئن كنت المسيح فما عسى أن أصنع بك اليوم شيئا ، لقد بلغتنا رسالة ربك عز وجل قبيلناها عنك ، وشرعت لنا الدين

فبحن عليه ، فاذهب فلست بفاتح لك فقال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً
 فسألني عما بدا لك أخبرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فيه . قال :
 فأخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلّوهم به ؟ قال ثلاثة أشياء : الجدة ، والشح ، والشكر .
 وقال وهب : قال موسى : يا رب أي عبادك قال : من لا تنفعه موعظة ، ولا يذكرك في إذا خلا ،
 قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشى ،
 وأجعله في كنفي . وقال وهب : اتق عالم عالماً هو فوقه في العلم فقال له : رحمك الله ما هذا البناء الذي
 لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكنك من الغيث . قال : فما هذا الطعام الذي
 لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكلف . قال : فما هذا اللباس الذي
 لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون . قال : فما هذا
 الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي
 لا إسراف فيه ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .
 قال : كم أخفى من عملي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلن من عملي ؟ قال :
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما ياتم بك الحريص ، واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل
 شيء طرفان ووسط ، فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فمليكم
 بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في التوراة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ،
 والفقر الموت الأحر ، وكما تدنين تدان ، ومن نجر فجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل
 من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيمظهم ، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا عن الدنيا
 وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد خفنا أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان
 أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى الملوك في ملكهم ، أرانا يجب أحداً
 أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أن يجابى لمكان دينه ، وأن يعظم إذا لقي الناس لمكان
 دينه ، وجعل يعدد آفات العلماء والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتعظيم .
 قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فعجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي
 لهذا أن يزار ، ثم اتفقوا لزيارته يوماً ، فركب إليه الملك ليسلم عليه ، فأشرف العابد . وكان عالماً جيد
 العلم بآفات العلوم والأعمال ودسائس النفوس - فرأى الأرض التي تحت مكانه قد سدت بالخیل
 والفرسان ، فقال ما هذا ؟ قيل له : هذا الملك قاصد إليك يسلم عليك لما بلغه من حسن كلامك

فقال : إنا لله ، وما أصنع به ؟ هلكننا والله إن لم نلقن الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأت به فضمه بين أيدينا ، قال : فهو شئ من ثمر الشجر ، وهو شئ من بقل وزيتون ، قال : فأت به ، فأتى به ، ثم أمر بجماعته فاجتمعوا حول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يتم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، امل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فاني أخاف الفتنة والشهرة وامتناع القاب منهما ، فلا نخاص إلا بنار جهنم . قال : فبكى القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جبلهم الذي هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد في الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا في الأكل العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤوسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الفاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فيه ، فلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاورا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدبر الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من علم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك ! الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لى كاره - أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به - وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عني وهو لى لائم .

وفي رواية أن هذا العابد كن ملكا ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والعمل الصالح فوعظه ، فأتته معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلبا لما عنده في الدار الآخرة ، وأنه وافقه جماعة من بنيته وأهله ورؤوس دولته ، فخرجوا برمتهم ، لا يدري أحد أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل المدل والخير والخوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجال ، فساروا حتى أتوا جبلا في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حيناً ، فقال الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدعونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فنزل مكانا بعيدا عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلوا منا ، فساروا من ذلك الجبل طالبين بلادا لا يعرفون ، فوجدوا بها جبلا فائيا عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قابيل العواقر ، وإذا في ذروته عين ماء جارية وأرض متسعة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فزولوا به وبنوا به أما كن للعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتدمون بها ، وأشجار زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبلهم ، فجعلوا يأتونهم ويزورونهم ، إلى أن شاع

ذلك الكلام المتقدم عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد فتصدهم للزيارة ، فذكر القصة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهّد الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصا - من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها معرضا ، من لم يبال من أين كسبه منها حلالا كان أو حراما ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بمحقوق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلا فيما سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بمحقوق الله عز وجل وإن رآه الناس جوادا فيما سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنفى حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مقسم قال سمعت عطاء بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رؤى النور على وجهه موسى ثلاثة أيام ، ولم يمس موسى امرأة منذ كلمه ربه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زرارة حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه البجلي يقول : إن للنبوة أثقالا ومؤنة لا يحملها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبدا صالحا ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه النبوة تنفس تحتها تفسخ الريح تحت الحمل ، فرفضها من يده وخرج هاربا ، فقال الله تعالى لنبيه (ص) : [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل] وقال : [فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم] الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الريح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، فذلك سمع كلام النملة .

وروى سفيان عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا ساح أربعين سنة أرى شيئا ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فساح رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئا ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والداي فما ذنبي ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أضرسا أنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمت غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الإنسان زاغ بصره ، فإذا أفطر على حلاوة عاد بصره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال سمعت وهباً يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فرآه مفكراً ، فقال له : مالك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مالت به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن اعجب ممن استقام كيف استقام .

وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل : حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بني إسرائيل أصابهم عقوبة وشدة ، فقال النبي : « ووددنا أن نعلم ما الذي يرضى ربنا فتبعه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوهم رضيت ، وإذا أسخطوهم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضا : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كن واقفا على قبر ومعه الحواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب القبر يدلي فيه ، قال : فذكروا من ظلمة القبر وضيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أصعب من ذلك ، في أرحام أمهاتكم ، فاذا أحب الله أن يوسع وسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل عابد من السباح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب ، فلم يستطع منه شيئا من ذلك ، فتمثل له حية وهو يصلي ، فضى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يعرکه حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاء على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذي أخوفك ، أتيتك من قبل الشهوة والغضب والرغبة ، وأنا الذي كنت أتمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئا ، وقد بدا لي أن أصادقك ولا آتيتك في صلاتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا يوم خوفني خفتك ، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك . قال : سلني عما شئت أخبرك قال فما عسيت أن أسألك ؟ قال : ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقتك . قال : أفلا تسألني عن أهلک من مات منهم ومن بقي ؟ قال : أنا مت قبلهم . قال أفلا تسألني عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم . فأخبرني عن أوثق ما في نفسك تضل به بنى آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والحدة ، والسكر . فان الرجل إذا كان شحيحاً قلنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس ، وإذا كان حديداً تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان الكرة ، ولو كان يجي الموتى بدعوته لم نأس منه ، وكل ما يدينه نهمة ، لنا كلمة واحدة . وإذا سكر قدناه إلى كل شروفضيحة وخزى وهوان كما تقاد القط إذا أخذ بأذننها كيف شئنا

وقال وهب : أصاب أبواب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، ومسح بختنصر في السباع سبع سنين . وسئل وهب عن الدنانير والدرهم فقال : هي خواتيم رب العالمين ، فالأرض لمعاش بني آدم لا تؤكل ولا تشرب ، فأينما ذهبت نخاتم رب العالمين قضيت حاجتك ، وهي أزمة المنافقين بها يقادون إلى الشهوات . وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن معمر عن سهاك ابن الفضل عن وهب قال : مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمي بغير وتر . وقال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن مهرب قال : سمعت وهبا يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبد رجاء ثواب الجنة فقط ، فأكون كالأجير السوء ، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل ، وإني لأستحي من الله أن أعبد مخافة النار فقط ، فأكون كالعبد السوء إن رهب عمل وإن ترك لم يعمل ، وإني ليستخرج مني حب الله ما لا يستخرج مني غيره .

وقال السري بن يحيى : كتب وهب إلى مكحول : إني قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وشرفا ، فاطلب بما بطن من علم الأنسان عند الله محبة وزاني ، واعلم أن إحدى المحبتين تمنع الأخرى - أو قال : سوف تمنع الأخرى - وقال زافر بن سليمان عن أبي سنان الشيباني قال : بلغنا أن وهب بن منبه قال قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تريد بها ربح الدنيا والآخرة ، والإيمان سفينتك التي تحمل عليها ، والتوكل على الله شراعها ، والدنيا بحرك ، والأيام موجك ، والأعمال الصالحة تجارتك التي ترجو ربحها ، والنافلة هي هديتك التي ترجو بها كرامتك ، والحرص عليها يسيرها ويزجيها ، ورد النفس عن هواها مراعيها ، والموت ساحلها ، والله ملكها وإليه مصيرها . وأحب التجار إلى الله وأفضلهم وأقربهم منه أكثرهم بضاعة وأصفاهم نية ، وأخلصهم هدية . وأبفضهم إليه أقلهم بضاعة ، وأرداهم هدية ، وأحبهم طوية ، فكأما حسنت تجارتك ازداد ربحك ، وكأما خلصت هديتك تكرم . وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله بضاعة تأتلك الأرباح من كل مكان ، واجمل سفينتك تقوى الله ، وحشوها التوكل على الله ، وشراعها الإيمان بالله ، وبحرك العلم النافع والعمل الصالح لعلك أن تنجو ، وما أراك بناج . وقال عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن رجل قال : إن للعالم طغيانا كطغيان المال .

وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الصنعاني حدثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن منبه قال : سمعت عبي وهب بن منبه يقول : الأجر من الله عز وجل معروض ، ولكن لا يستوجب من لا يعمل ، ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يبصره من لا ينظر إليه ، وطاعة الله قريبة ممن يرغب فيها ، بعيدة ممن زهد فيها ، ومن يحرص عليها يصل إليها ، ومن لا يحرص عليها لا يجدها ، لا تسبق من سعى إليها ، ولا يدركها من أبطأ عنها ، وطاعة الله تشرف من أكرمها ،

وتبين من أوضاعها ، وكتاب الله يدل عليها ، والإيمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يارب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفي رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استخارنى فى أمر نخرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يعبد الله تعالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل بإنسان فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى ، وجعل يزيد عليه فى العبادة ، فأجبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى مصلاه - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم ونمرنا ونهيننا ، كان أعظم لأجرنا ، فأجابه السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجله من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يفتنك . فقال السائح : رجل خرجت فى معصية الله وطاعة الشيطان لا تدخل معى ، فسا حولها من موضعهما ذلك حتى تارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب : أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأنظم الناس مكانه ، وهالهم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك - سرآ بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جدياً مما يحمل لك أكله ثم ادفعه إلى حتى أصنعه لك على حدته ، فاذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حللاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فذبح ذلك العالم جدياً ، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير ، أن يضموا بين يديه لحم هذا الجدى واجتمع الناس ، لينظروا أمر هذا العالم فيه أيا كل أم لا ، وقالوا إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحم الخنزير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدى الحلال المذكى ، فأنهم الله ذلك العالم فالتقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أتى أكلت لحم الجدى الذى أعلم حله أنا ، فاذا أصنع بمن لا يعلم ؟ والناس إنما يفتنرون أكلهم ليقنطروا به ، وهم لا يدعون إلا أتى إنما أكلت لحم الخنزير فإياكون اقتداء به ، فأكون ممن يحمل أو زارهم يوم القيامة ، لا أقبل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأبى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويومئ إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجدى ، فأبى أن يأكل ، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فذا ذهبوا به ليقنطروه . قال له صاحب الشرطة : مامنك أن تأكل من اللحم الذى ذكيت أنت ودفعته

إلى ؟ أظننت أني أتيتك بغيره وختك فيما أتممتني عليه ؟ ما كنت لأفعل والله . فقال له العالم قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأمرى الناس بي ، وهم إنما ينتظرون أكلى منه ، ولا يعلمون إلا أني إنما أكلت لحم الخنزير ، وكذلك كل من أريد على أكله فيما يأتي من الزمان يقول : قد أكله فلان ، فأكون فتنة لهم . فقتل رحمه الله . فينبغي للعالم أن يحذر المعاييب ، ويجتنب المحذورات ، فإن زلته وناقضته منظورة يقتدى بها الجاهل . وقال معاذ بن جبل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره : اتقوا زلة العالم ، فإنه إذا زل زل بزاتيه عالم كبير . ولا ينبغي له أن يشهين بالزلة وإن صغرت ، ولا يفعل الرخص التي اختلف فيها العلماء ، فإن العالم هو عصاة كل أعمى من العوام ، بها يصول على الحق ليدحضه ، ويقول : رأيت فلانا العالم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفعلون . وليجتنب العوائد النفسية ، فإنه قد يفعل أشياء على حكم العادة فيظنها الجاهل جائزة أو سنة أو واجبة ، كما قيل : سل العالم يصدقك ولا تقند بفعله الغريب ، ولكن سله عنه يصدقك إن كان ذا دين ، وكم أفسد النظر إلى غالب علماء زمانك هذا من خلق ، فما الظن بمخالطتهم ومجالستهم ولكن [من يهدي الله فهو المهتدى ، ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا] .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قلت لوهب بن منبه : كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كما رأيتموها ، قال : ذهب ذلك عني منذ وليت القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به معمرًا فقال : والحسن بعد ما ولي القضاء لم يحمدا فهمه ، فمن يأمن القراء بمدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في قاذورات الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما من بعد فتنة تمرللك ؟ فإن القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها موضعا ، فجالس من شئت منهم لتنظر مبادئ مجالستهم وغاياتها ، ولا تستخفك البدوات ، فإنما الأمور بعواقبها وخواتيمها ونتائجها ، وغاياتها . [ومن ينق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب] وقال وهب : البلاء لله من كالشكال للدابة . وقال أبو بلال الأشعري عن أبي شهاب الصنعاني عن عبد الصمد عن وهب قال : من أصيب بشئ من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء . وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا منذر قال : سمعت وهبا يقول : قرأت في كتاب رجل من الحواريين : إذا سلك بك طريق - أو قال سبيلا - أهل البلاء فطب نفسك فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين وقال الامام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أمية بن شبل عن عثمان بن بزويه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة يوم عرفة تحت نخيل ابن عامر ، فقال وهب لسعيد : يا أبا عبد الله اكمل لك منذ خفت من الحجاج ؟ قال : خرجت عن امرأتى وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج [شعر] وجهه ، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء عده رجاء ،

نصحة للعلماء

وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادي من سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليدع غيري ، فاتما هو أنا وخلق كلهم لي . وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح بن جعفر بن محمد عن التيمي عن وهب أنه قال : دخول الجبل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة . قلت : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول وقوف الأغنياء في الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال سمعت وهبا يقول : ترك المكافأة من التطفيف . وقال الامام أحمد : حدثنا الحجاج وأبو النصر قالا : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جعدة عن وهب قال : من يتعبد يزدد قوة ، ومن يتكسل يزدد فترة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فهي خير لك من نومة توهن بدنك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرني الآن . وهذا أمر مجرب أن العبادة تنشط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيقتسيه ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الفيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولي من الكسل والفتور مالا يملعه إلا الله عز وجل .

وقد قيل للحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالليل فالبسهم نورا من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهله عروساً أقر ما كانت نفسه وآنس ، بأشد سرورا منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل محياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحا مسرورا ، وإذا قام من حزنه أصبح حزينا مكسورا القلب كأنه قد فقد شيئا ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا .

وقال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله (س) : « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الاثم ، وتكفير عن السيئات ، ومطرودة للشيطان عن الجسد » وقد رواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم » ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصحيح والمسانيد عن أبي هريرة أن رسول الله (س) قال : « يمتد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا توضع انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان . وهذا باب واسع . وقد قال هود فيما أخبر الله عنه : [اعبدوا الله ما لكم من إله غيره] ثم قال : [ويزدكم قوة إلى قوتكم] وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم و يقينهم ودينهم وتوكلهم ؛ وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسمائهم وأبصارهم وأجسادهم وأموالهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله بما خلف مال غيره .

قلت : وهذا كما في الحديث « أيكم مال وأرث أب إليه من ماله ؟ فقالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال : إن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر » . قال : وسمعت وهبا على المنبر يقول : احفظوا عني ثلاثا ، إياكم وهوى متبعا ، وقرين سوء ، وإعجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الامام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن معقل حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بني آدم إلى الشيطان النذور الأكل .

وقال الامام أحمد : حدثنا غوث بن جابر حدثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل يحفظ بالعبد الصالح القليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن عقيل حدثنا عمران أبو الهذيل من الأنبياء عن وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان موكل به ، فأما الكافر فيأكل كل معه ويشرب معه ، وينام معه على فراشه . وأما المؤمن فهو بجانب له ينتظر متى يصيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل النذور . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المعتمر ابن أخى بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب الذى أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أتدرى لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا يا رب ، قال : لذل مقامك بين يدي في الصلاة .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : حدثني أبي قال : كان سليمان بن داود ألف بيت أعلاه قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوما فمر بمحراث فنظر إليه المحراث فاستعظم ما أوتى سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتى آل داود ملكا عظيما ، فحملت الريح كلام المحراث فألقته في أذن سليمان ، قال : فأمر الريح فوقفت ، ثم نزل بمشى حتى أتى المحراث فقال له : إني قد سمعت قولك ، وإنما مشيت إليك لئلا تمنى مالا تقدر عليه مما أقدرنى الله عليه تفضلا وإحسانا منه على ، لأنه هو الذى أقمنى لهذا وأعانتى . ثم قال : والله لتسيبحة واحدة يقبلها الله عز وجل منك أو من مؤمن خير مما أوتى آل داود من الملك ، لأن

ما أوتى آل داود من ملك الدنيا يفنى ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يفنى . فقال الحراث :
أذهب الله همك كما أذهبت همي

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :
إن الله عز وجل أعطى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : هبه لي يا أخي ، فوهبه له ، فأعطاه
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آنية تعظمها الأنبياء والملوك ، فكان ابنا هارون يستقيان في
تلك الآنية الخبز ، فنزلت نار من السماء فاخطفت ابني هارون فصعدت بهما ، ففزع هارون لذلك
فقام مستغيثاً متوجهاً بوجهه إلى السماء بالدعاء والتضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون هكذا أفعل بمن
عصاني من أهل طاعتي ، فكيف فعلت بمن عصاني من أهل معصيتي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل
بي ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة داراً
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم . وقال : من جعل شهوته تحت قدمه
فزع الشيطان من ظله ، فمن غلب علمه هواه فذلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعني ما يتحمل المتحملون من أجلى ، وما يكابدون في طلب
مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى داري ، وتبجحوا في رياض نعمتي ؟ هنالك فليشر المضعفون
لله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أتراني أنسى لهم عملاً ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم
أجود على المولين المرعزين عني ، فكيف بالمقبلين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ
خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ، ولو تعاجلت بالمعقوبة أحداً ، أو كانت الدجلة من شأني ، لتعاجلت
القائطين من رحمتي . ولو رأي عبادي المؤمنون كيف أستوهمهم من اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن
وهبهم بالخلد المقيم ، اتهموا فضلي وكرمي ، أنا الديان الذي لا نحل معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني
برحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي . ولو رأي عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصوراً تحار
فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي ذنباً مالم يوجب على نفسه معصيتي والقنوط
من رحمتي ، وإني مكافئ على المدح فامدحوني .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن
أبو طالت حدثني مهاجر الأسدي عن وهب . قال : مررت عيسى بن مريم ومعه الحوارين بقرية قد
مات أهلها ، إنسها وجننها ، وهوامها وأنعامها وطيورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على
أصحابه فقال : إنما مات هؤلاء بعباد من عند الله ، ولولا ذلك لما توا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :
يا أهل القرية ، فأجابه مجيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنائكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطاغوت وحب الدنيا ، قال : وما كانت عبادتكم للطاغوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطاغوت . قال : وما كان حبكم للدنيا ؟ قال : كحب الصبي لأمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أمل بعيد ، وإدبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساخطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بقنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : حجرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا يتكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن يتكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجمون بلجم من نار . قال : وكيف كلمتني أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أعمالهم ، فلما جاء البلاء عني معهم ، وأنا معلق بشجرة في الهاوية لا أدرى أكرس فيها أم أنجو . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : يبق أقول لكم : تلخز الشعير وتشرب الماء القراح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكيما حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيم ، ولا يعصى الله إلا أحمق ، وكما لا يكلل النهار إلا بالشمس ، ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيم ، كما لا يطير الطير إلا بمجنحين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يطيعه . وكما لا مكث للنار في المساء حتى تطفأ ، كذلك لا مكث لعمل الرياء حتى يبور . وكما يبدى سر الزانية وفضيحتها فملها ، كذلك يفتضح بالفعل السيئ من كان يقرأ جليسه بالقول الحسن ولم يعمل به . وكما تكتب معفرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها عنده ، كذلك تكتب معصية للقارئ لله قراءته إذا كان يقرأها لنفسه لغير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا علي بن بحر بن بري حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل . قال سمعت وهبا يقول : في مزامير آل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يجالس البطالين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فثله كمثل شجرة نابسة على ساقية لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ النساء ، وقطرت المضاه دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا يبدو صغيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وقف سائل على باب داود عليه السلام ، فقال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق التاجر المقيم في أهله . فقال داود : اعطوه ، فوالذي نفسي بيده إنها لفي الزبور . وقال : من عرف بالكذب لم يجز صدقه ، ومن عرف بالصدق ائتمن على حديثه ، ومن أكثر الغيبة

والبغضاء لم يوثق منه بالنصيحة ، ومن عرف بالفجور والخديعة لم يؤمن إليه في المحنة ، ومن انتحل فوق قدره جحد قدره ، ولا تستحسن فيك ما تستقبح في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

و روى داود بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم . قال : قدم علينا وهب مكة فطلق لا يشرب ولا يتوضأ إلا من زمزم ، فقيل له : مالك في الماء العذب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشرب وأتوضأ إلا من زمزم حتى أخرج منها ، إنكم لاتدرون ماماء زمزم ، والذي نفسى بيده إنها انى كتب الله طعام طعم ، وشفاء سقم ، ولا يمد أحد إليها يتضلع منها رياء ، ابتغاء بركتها ، إلا نزعت منه داء وأحدثت له شفاء . وقال : النظر في زمزم عبادة . وقال : النظر فيها يحط الخطايا خطأ . وقال وهب : مسخ يختصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسرأ فكان ملك الطيور ، ثم مسخ ثوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يعقل عقل الانسان ، وكان ملكه قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الانسان ، فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقيل له : أمات مؤمننا ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرق الكتب ، وحرق بيت المقدس ، فلم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق عن بكار بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل بمصر فسألهم ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فمات في اليوم الرابع فكفنوه ودفنوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في محرابهم مكتوب عليه : قتلتموه حياً وبرزتموه ميئاً ؟ قال يحيى : فأنا رأيت القرية التي مات فيها ذلك الرجل ، ومابها أحد إلا وله بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عن وهب بن منبه فذكره . قال : وأهل القرية يعترفون بذلك . فمن ثم اتخذوا بيوتا للضيقات والفقراء خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكار عن وهب . قال : إذا دخلت أممية من الباب خرج الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : مر نبي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، فقال إليه فلم عليه وقال له : يا عبد الله منذ كم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين ميسشتك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرابك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تكون في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على بادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنما هو يومى إلى الليل ، وأما أمس فقد مضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بعد . قال فعجب النبي من قوله : إنما هو

يومي إلى الليل . وبهذا الاسناد أن رجلاً من العباد قال لمعلمه : قطعت الهوى فليست أهوى من الدنيا شيئاً . فقال له معلمه : أتفرق بين النساء والدواب إذا رأيتهن معا ؟ قال : نعم ، قال أتفرق بين الدنانير والدرهم والحصا ؟ قال نعم ، قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك ولكنك قد أوثقت فاحذر انفلاته وانقلابه .

وقال غوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني عتيق بن معقل عن وهب قال : اعمل في نواحي الدين الثلاث ، فإن للدين نواحي ثلاثاً ، هن جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات « أولاهن » تعمل شكر الله على الأنعم الكثيرات الغايات الرانحات ، المظاهرات الباطنات ، الحادثات التذنبات ، يعمل المؤمن شكر الله ورجاء تمامهن « والثانية الثانية من الدين » رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ، ولا يزهدها فيها وفي العمل لها إلا سفيه فاجر ، أو منافق كافر « والثالثة من الدين » أن يعمل المؤمن فراراً من النار التي ليس لأحد عليها صبر ، ولا لأحد بها طاقة ولا يدان ، وإيست مصيبتها كالمصيبات ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، نبأها عظيم ، وشأنها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا يففل عن الفرار والتعود بالله منها إلا سفيه أحمق خامر ، [قد خسر الدنيا ذلك هو الخسران المبين] .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا عبد الملك بن محمد الدماذي قال أخبرني محمد بن سعيد بن رمانة قال أخبرني أبي قال قيل لو هب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فمن أتى الباب بمفتاح بأسنانه فتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح بأسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهباً يقول : ركب ابن ملك في جند من قومه وهو شاب ، فصرخ عن فرسه فدى عنقه فمات في أرض قريبة من القرى ، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطأهم بالأفيال ، فما أبت الأفيال وطنته الخيل ، فما أبت الخيل وطنته الرجال ، فتوجه إليهم بعد أن سقى الأفيال والخيل الخمر وقال : طأوم بالأفيال ، وإلا فما أبت الأفيال فلتطأ الخيل ، فما أخطأته الخيل فلتطأه الرجال فلما سمع بذلك أهل تلك القرية وعرفوا أنه قد قصد لهم ذلك ، خرجوا بأجمعهم فجأروا إلى الله سبحانه وعجوا إليه وابتهلوا يدعونه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم ، وما قصده من هلاكهم . فبينما الملك وجيشه سائرون على ذلك ، وأهل القرية في الأبتغال والدعاء والتضرع إلى الله تعالى ، إذ نزل فارس من السماء فوقع بينهم ، ففترت الأفيال فطفت على الخيل وطفت الخيل على الرجال ، فقتل الملك ومن معه وطأ بالأفيال والخيل ، ونجى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم . وروى عبد الرزاق عن المنذر بن النعمان أنه سمع وهباً يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت

القدس : لأضمن عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقى ، وليأتينك داود يومئذ راكبا . وروى
سماك بن الفضل عن وهب قال : إني لأفقد أخلاقى وما فيها شئ يعجبني . وروى عبد الرزاق عن
أبيه قال قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال بقية بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد
عن خالد بن معدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع
فأصابهم مجاعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلى لهم شبعوا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :
إن أشدكم جزعا على المصيبة أشدكم حبا لدنيا . وقال جعفر بن برقان : بلغتنا أن وهبا كان يقول :
طوبى لمن فطر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل القل
والمسكنة ، وتصدق من مال جمعه من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسعت السنة
ولم يتعدها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت
في زور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرآ على الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي ،
وأسنتهم رطبة بذكري . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيهم : إني قد
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أي رب ، وأي ذنب تغفر لي ؟ فأمر عرقا في عنقه فضرب
عليه ، فلم يرم ولم يهدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت
من عرق ضرب على في عنقك ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خمسين سنة
ما تعمل سكون هذا العرق . وقال وهب : رموس النعم ثلاثة « إحداها » نعمة الاسلام التي لا تتم
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة الغنى التي
لا يتم انعيش إلا بها . ومر وهب بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضع وهو يقول : الحمد لله على
نعمه ، فقال له رجل كلن مع وهب : أي شئ بقي عليك من النعمة فحمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : أذم
بصرك إلى أهل المدينة وانظر إلى كثرة أهلها ، أولا أحد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري ؟ .
وقال وهب : المؤمن يخالط ليعلم ، ويسكت ليعلم ، ويتكلم ليعلمهم ، ويخجل ليعلم . وقال : المؤمن مفكر
مذكر منكر ، تذكر فغلبته السكينة ، سكن فتواضع فلم ينهم ، رفض الشهوات فصاحرا ، ألقي منه
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد في كل فان ما يتسكل العقل ، رغب في كل باق ففعل المعرفة ، قلبه
متعلق بهمه ، وهمه موكل بماده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا
فامت العيون يتلو كتاب الله ويردده على قلبه ، قرءه يزرع قلبه ومرة تسمع عينه ، يقطع عنه القيل
بالنلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلوة والمرقة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعماله . وقال وهب : فهذا
ينادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رموس الخلائق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .

وقال إبراهيم بن سعيد عن عبد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :

الويل لكم إذا سماكم الناس صالحين ، وأكرمكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا همام بن سلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مفضل بن منبه قال : سمعت عمي وهب بن منبه يقول : يا بني ! اخلص طاعة الله بسريرة ناصحة يصدق بها فملك في العلانية ، فان من فعل خيراً ثم أسره إلى الله فقد أصاب مواضعه ، وأبلغه قراره ، ووضع عند حافظه وإن من أسر عملاً صالحاً لم يطلع عليه إلا الله ، فقد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره ، فلا تخافن يا بني على من عمل صالحاً أسره إلى الله عز وجل ضياعاً ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظنن أن العلانية هي أنجح من السريرة ، فان مثل العلانية مع السريرة كمثل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يحرق العرق هلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة ، نمرها وورقها ، والورق يأتي عليه حين يجف ويصير هباء تذرؤه الرياح ، بخلاف العرق ، فانه لا يزال مظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستخفياً لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعلم والعمل ، لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانية العبد ، فان العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فان فرعها زينتها وجمالها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فان العلانية معها تزين الدين وتجمله إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضا ربه عز وجل .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبان عن وهب قال : قرأت في الحكمة : الكفر أربعة أركان ، ركن منه الغضب ، وركن منه الشهوة ، وركن منه الطمع ، وركن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وجلاً ، وعفراً خدك بالتراب ، واسجد لي بمكارم وجهك ويديك ، وسلني حين تسألني بخشية من قلبك ووجل ، واخشني أيام الحياة ، وعلم الجهال آلائي ، وقل لعبادي لا يتبادوا في غي مام فيه فان أخذني أليم شديد . وقال وهب : إذا هم الوالي بالجور أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، وقلت البركات في التجارات والزراعات والضروع والمواشي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه القل في ذاته وفي ملكه . وإذا هم بالعدل والخير كان عكس ذلك ، من كثرة الخيرونمو البركات . وقال وهب : كان في مصحف إبراهيم عليه السلام أيها الملك المبلى ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتبني البنيان ، وإنما بعثتك لترفع لي دعوة المظلوم فاني لأردّها ولو كانت من كافر .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال ملتكم واحدة ، وطريقكم مستقيمة ؟ قال : من قبل أنا لا نخادع ولا يقتاب بعضنا بعضاً . وروى

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلمة بن ميمون عن المعافى بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهبا يقول : كان في بني إسرائيل رجلان ، بلغت بهما عبادتهما أنهما مشيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ قال : بيسير من البر فعلته ، ويسير من الشر تركته ، فطمت نفسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعنيني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالقي ، ولزمت الصمت فإن أقسمت على الله عز وجل أبر قسمي ، وإن سألتني أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئا ينفعني الله به ، قال : أكثر من ذكر الموت ، واقصر أملك ، وخصلة فالتة إن أنت أصبتها بلغت الغاية التصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

ومن توفي فيها من الأعيان

سليمان بن سعد

كان جميلا فصيحاً عالماً بالعربية ، وكان يعلما الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفي صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحاً جميلاً عارفاً بكتابة الديوان ، وبه يخرج أهل العراق من كتابة الديوان وقد ولاء سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

أم الهذيل

لها روايات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتي عشرة سنة ، وكانت قتيبة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بآبن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة

عبد الله بن سعيد بن جبير

له روايات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

عبد الرحمن بن أبان

ابن عثمان بن عفان . له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى^(١)، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى^(٢)، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم. وفيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلمي عن إمرة خراسان وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن، فلما قدم خراسان تلقته خيول الأتراك منهزمين من المسلمين، وهو في سبعة آلاف فتصافوا واقتتلوا قتالا شديداً، وطعموا فيه وفيمن معه لقلتهم بالنسبة إليهم، ومعهم ملكهم خاقان، وكاد الجنيد أن يهلك، ثم أظهره الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة، وأسرا بن أخى ملكهم، وبعث به إلى الخليفة. وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام المخزومي، وهو أمير الحرمين والطائف، وأمير العراق خالد القسري، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري.

ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح حصونا من ناحية ملاطية. وفيها سارت الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكي فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان، فاقتتلوا قبل أن يتكامل إليه جيشه، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بمرج أردبيل، وأخذ العدو أردبيل. فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرشي بجيش وأمره بالاسراع إليهم، فلحق الترك وهم يسرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين، ومن أهل الذمة أيضاً، وقتل من الترك مقتلة عظيمة جدا، وأسروا منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبرا، وشفي ما كان تغلث من القلوب، ولم يكنف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلة بن عبد الملك في أثر الترك، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وسار هو بمن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان، وكان من أمره معهم ما سئد كره. ونهض أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف، فوصل إلى نهر بلخ ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً، وأخرى عشرة آلاف يمنية ويسرة، وجاشت الترك وجيشت، فأتوا سمرقند فكتب أميرها إليه يعلمه بهم، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم، ومعهم ملكهم الأعظم خاقان، فالتوث التوث. فسار الجنيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شعب سمرقند وبقى بينه وبينها أربعة فراسخ، فصبحه خاقان في جمع عظيم، فحمل خاقان على مقدمة الجنيد فأنحازوا إلى السكر والترك تتبعهم من كل جانب، فترامى الجمعان والمسلمون يتغدون ولا يشعرون بانهمزام مقدمتهم وانحيازها إليهم، فنهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم، وذلك في مجال واسع، ومكان بارز، فالتقوا وحملت الترك على ميمنة المسلمين وفيها بنو تميم والأزد، فقتل منهم ومن غيرهم خلق

(١) أي البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول (٢) أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية

كثير ، ممن أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادى خاقان : إن صرت إلينا جملتناك ممن يرقص الصنم الأعظم فنعبدك . فقال : وبحكم ، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناخى المسلمون وتداعت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وحملوا على الترك حملة رجل واحد ، فهزهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقاً حتى لم يبق سوى ألفين ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل يومئذ سودة بن أبيجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فحملوهم إلى الملك خاقان فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشعب . وقد بسطها ابن جرير جداً . ومن توفي فيها من الأعيان :

رجاء بن حيوة الكندي

أبو المقدم ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عادل ، وزير صدق خلفاء بني أمية ، وكان مكحول إذا سئل يقول : سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة وثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

شهر بن حوشب الأشعري المحصي

ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن مولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم : وكان عالماً عابداً فاسكاً ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بفبر إذن ولي الأمر ، فعابوه وتركوه عرضة ، وتركوا حديثه وأنشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها فأنه أعلم . وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثنوا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان والبال عليه متصرفاً فيه فأنه أعلم . قال الواقدي : توفي شهر في هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة ومائة وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة فأنه أعلم . ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها ، وقد أخذ أميرهم رجلاً منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها وغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجرج وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هاشم الخزومي ، فأنه أعلم . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

الأمير عبد الوهاب بن بخت

وهو مع البطال عبد الله بأرض الروم قتل شبيداً وهذه ترجمته

هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر، مولى آل مروان مكي، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة، روى عن ابن عمر وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين. وعنه خلق منهم أيوب ومالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبيد الله العمري، حديثه عن أنس مرفوعاً «نصر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن صدر مؤمن، إخلاص العمل لله، ومناصحة أولى الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، كأن دعوتهم تحيط من ورائهم». وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه». وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعة من أئمة العلماء. وقال مالك: كان كثير الحج والعمرة والغزو، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفاقته، وكان ممحاً جواداً، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال، ودفن هناك رحمه الله. توفي في هذه السنة فله خليفة وغيره، وذلك أنه لقي المدو ففر بهض المسلمين، فجعل ينادى ويركض فرسه نحو العدو: أن هلموا إلى الجنة، وبحكم أفراراً من الجنة؟ أتفرون من الجنة؟ إلى أين وبحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء؟ ثم قاتل حتى قتل رحمه الله.

مكحول الشامي

تابعي جليل القدر، إمام أهل الشام في زمانه، وكان مولى لامرأة من هذيل، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص، وكان نوبياً، وقيل من سبي كابل، وقيل كان من الأبناء من سلالة الأكسرة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا التكميل. وقال محمد بن إسحاق: سمعته يقول: طفت الأرض كلها في طلب العلم: وقال الزهري: العلماء أربعة، سعيد بن المسيب بالحجاز، والحسن البصري بالبصرة، والشعبي بالكوفة، ومكحول بالشام. وقال بعضهم: كان لا يستطيع أن يقول قل، وإنما يقول كل وكان له وجهة عند الناس، مهما أمر به من شيء يفعل. وقال سعيد بن عبد العزيز: كان أفقه أهل الشام، وكان أفقه من الزهري. وقال غير واحد: توفي في هذه السنة، وقيل بعدها فله أعلم:

[مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم، واسم أبي مسلم شهزاد بن شاذل. كذا نقلته من خط عبد الهادي، وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال: من نظف ثوبه قل همه، ومن طلب ربحه زيد في عقله. وقال مكحول في قوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعم) قال: بارد الشراب، وظلال المساكن وشبع البطون، واعتدال الخلق، ولذاذة النوم. وقال: إذا وضع المجاهدون أعتاقهم عن دوابهم أنتم الملائكة، فسمحت ظهورها ودعت لها بالبركة، إلا دابة في عنقها جرس] (١).

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى النخعي سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها التقى عبد الله البطال وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي (ص) ، فأمره البطال ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطائف إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو معشر : إنما خرج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

عطاء بن أبي رباح

الفهري مولاهم أبو محمد المسكي ، أحد كبار التابعين الثقات الرفقاء ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أعور أفتس أشل أعرج ، ثم عفى بعد ذلك ، وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمنايا منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعين حجة ، وعمر مائة سنة ، وكان في آخر عمره يفطر في رمضان من الكبر والضعف ويفدي عن إفطاره ، ويتأول الآية [وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين] وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يفتي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيت فيمن لقيت أفقه منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاء إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأنني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أني إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظ منه له فأريه أني لم أسمع . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

فضل بن عطاء

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمر بن دينار ، وأبو الزبير ، وقاتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وجبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السختياني ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هرزان : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول :

من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل . قال أبو هريرة : قلت لعطاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف تصلى ، كيف تصوم ، كيف تنكح وتطلق وتبيع وتشتري .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : [وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون] قال : كانوا يقرضون الدرام ، قيل كانوا يقصون منها ويقطعونها . وقال النوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوضافي - قال : قلت لعطاء : ما ترى في صاحب قلم إن هو كتب به عاش هو وعياله في سعة ، وإن هو تركه افتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسري لخالد . قال عطاء : قال العبد الصالح : [رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للجرمين] . وقال : أفضل ما أوتي العبد العقل عن الله وهو الدين . وقال عطاء : ما قال العبد : يا رب ، يا رب ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه ، قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : أما قرؤن القرآن [ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا] إلى قوله : [فاستجاب لهم ربهم] الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السلمي حدثنا ضمرة عن عمر بن الورد قال قال عطاء : إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل . وقال سعيد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة النعمان يقول : لحقبت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعاً ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب : فقال عطاء : عرفت فإلزم . وقال عطاء : ما اجتمعت عليه الأمة أقوى عندنا من الاسناد . وقيل لعطاء : إن هاهنا قوما يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فقال : [والذين اهتدوا زادهم هدى] فإلهذا الهدى الذي زادهم ؟ قلت : ويرزعون أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله ، قال : قال تعالى : [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة] فجعل ذلك ديناً . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : ألا أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم ، فانه نفعي ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يمدون فضول الكلام إثمًا ، ما عدا كتاب الله أن يقرأ ، وأمر بمعرف أو نهى عن منكر ، أو ينطق العبد بحاجته في معيشته التي لا بد له منها ، أنتسكرون : [وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين] و : [عن البين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد] أما يستحي أحدكم

لونشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ .
 وقال : إذا أنت خفت الحر من الليل فاقرا : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
 وروى الطبراني وغيره أن الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس
 كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن
 سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدا يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطاوس ،
 ومجاهد . وقال الأمام أحمد : حدثنا ابن عمر حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ،
 وما رأيت على عطاء قيصا قط ، ولا رأيت عليه نوبا يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشعري :
 حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له حبة ، وكان يقعد في
 المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت فاطمة بنت رسول
 الله .س. لتعجن ، وإن كانت قصتها لتضرب بالجفنة . وعن الأوزاعي عنه قال : [ولاناخذكم بهما
 رافة في دين الله] قال : ذلك في إقامة الحد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت باليمامة وعليها رجل وال يمنحن الناس من أصحاب رسول الله .س. ،
 إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعناق أن يسمى المسي مناققا وما يسميه مؤمنا ،
 فأطاعوه على ذلك وجعلوه له ، قال : فلقيت عطاء فيها بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى بذلك بأسا
 يقول الله تعالى : [إلا أن تتقوا منهم تقاة] .

وقال الأمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت
 فإذا تكلم تخيل البناء أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : [لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] قال :
 لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى التي افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها
 وأوائلها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائمه : امسكوا احفظوا عني خمسا :
 القدر خير ، وشره ، حلوه ومره من الله عز وجل ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا
 مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بمحقها . وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال والسلاح ، والشهادة
 على الخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : فجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدث بحديث ، فعرض رجل له في حنديه فنضب
 عطاء وقال : ماهذه الأخلاق ؟ وماهذه الطبائع ؟ والله إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه
 فأريه أني لأحسن شيئا منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا خيرا من أن أرى فيه
 وسادة ، لأنها تدعو إلى النوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد
 عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما بكر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك . وقال ابن عيينة : قلت لابن جرير : ما رأيت مصليا مثلك . فقال : لو رأيت عطاء ؟ . وقال عطاء : إن الله لا يحب الفنى يلبس الثوب المشهور ، فيعرض الله عنه حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : ينبغى للعبد أن يكون كالريض لا بدله من قوت ، وليس كل الطعام يوافقه . وكان يقال : الدعوة تسمى عين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تقبطن ذا نعمة بما هو فيه فانك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت [(١)]

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ففيها وقع طاعون بالشام ، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل وهو نائب الحرمين والطائف . والنواب في سائر البلاد المذكورون في التي قبلها والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان أبو جعفر الباقر

وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر ، وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر كثيرا ، أحد أعلام هذه الأمة علماء وعلا وسيادة وشرفا ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر ، ولم يكن الرجل على طريقة ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخیالهم ، بل كان ممن يقدم أبا بكر وعمر ، وذلك عنده صحيح في الأثر ، وقال أيضا : ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما رضى الله عنهما . وقد روى عن غير واحد من الصعابة ، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق ، والحكم بن عتيبة ، وربيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأوزاعي والأعرج ، وهو أسن منه ، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهرى . وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : حدثني أبي وكان خير محمدى يومئذ على وجه الأرض ، وقال المعلى : هو مدني تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكانت وفاته في هذه السنة في قول وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدها وبعد بعدها والله أعلم . وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين فآله أعلم .

فصل في

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه علي زين العابدين ، وجده الحسين قتيلا شهيدين بالعراق . وصمى الباقر لبقرة العلوم واستنباطه الحكم ، كان ذا كرا خاشعا صابرا وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب على الحساب ، وكان طارفا بالخطرات ، كثير البكاء والمبرات معرضا عن الجدال والمخصومات .

قال أبو بلال أنه شعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : [أولئك يجزون الغرفة بما صبروا] قال : الغرفة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاكر . قلت : وقد روى نحو هذا عن ابن عباس قال : لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب الذاكر . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني لمحزون ، وإني لمشتغل القاب . قلت : وما حزنك وشغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه ، يا جابر ما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركبا ركبته ؟ أو ثوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ! إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يصمهم عن ذكر الله ماسموا بأذنانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة ففازوا بثواب الأبرار . إن أهل التوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثرهم لك معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا لمحبة ربهم عز وجل ، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها عليهم كمنزل نزله ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القاريء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . وكان أبو جعفر يصلي كل يوم ليلة بالمكتوبة . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح اللئام قبسح الكلام . وروى أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان . وقال لابنه : إياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل خبيثة ، إنك إذا كسلت لم تود حقا ، وإن ضجرت لم تصبر على حق . وقال : أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وإنصافك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب عبد شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال لجابر الجعفي : ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى : [لولا أن رأى برهان ربه] ؟ قال : رأى يعقوب عاضاً على إبهامه . فقال : لا ! حدثني أبي عن جدي علي بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها أي طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكمل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بنوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياها منه . فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلهي أستحي

منه أن يرى على هذه الصورة . قال يوسف : تستحين من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لا تنالين مني أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الحافي : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : النقي والعزيمولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه . وقال : إن الله يلقي في قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مديننا كان الرجل منهم أجراً من ليث وأمضى من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والخصومة فانها تفسد القلب ، وتورث النفاق ، وقال : [الذين يخوضون في آيات الله] هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال : لا بأس به ، قد حل أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم عنّي أني إلى الله منهم برئ ، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لآثرتني شفاعته محمد (س) ، إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لعافلون عن فضلهما وسابقتهما ، فأبلغهم أني برئ منهم ومن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة . وقال في قوله تعالى : [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا] الآية ، قال : هم أصحاب محمد (س) ، قال : قلت : يقولون : هو علي قال : علي من أصحاب محمد (س) .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه متعلم ، وقال : كان لي أخ في عيني عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، وقال جعفر بن محمد : ذهبت بغلة أبي فقال : لئن ردها الله علي لأحمدنه بمحامد برضاها ، فما كان بأسرع من أن أتى بها بسرجهما لم يفتقد منها شيء ، فقام فركبها ، فلما استوى عليها وجمع إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، لم يزد علي ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : فهل تركت أو أبقيت شيئاً ؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل . وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرمهما كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية ، إلا من عصمه الله . وقال : أي دخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد تاماً إلا قال : فلستم إخواناً كما تزعمون ، وقال : اعرف مودة أخيك لك بماله في قلبك من المودة .

فان القلوب تتكافأ . وسمع عصفير يصحن فقال : أنترى ماذا يقلن ؟ قلت : لا !! قال : يسبلن الله ويسألنه رزقهن يوما بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع الذى تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شئ أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخير ثوابا البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جليسه بما لا يعنيه . هذه كلمات جوامع موانع لا ينبغي لعاقل أن يفعلها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : صحب عمر بن الخطاب رجلا إلى مكة فمات فى الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، فقل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمرى كأن يأملى دونه * ومخلى من دون ما كان يأملى

وقال أبو جعفر : والله لموت عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما اغرو رقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، وما من شئ إلا وله جزاء إلا الدمة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن با كيا بكى من خشية الله فى أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بثس الأخ أخ برعك غنياً ويقطملك فقيراً . قلت : البيت الذى كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكما وزهدا فى الدنيا قال :

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول

فساخط أمر لا يبدل غيره * وراضى بأمر غيره سيبدل

وبالغ أمرى كأن يأملى دونه * ومخلى من دون ما كان يأملى^(١)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والعراق ، وكان معظم ذلك فى واسط . وفى الحرم منها توفى الجنيد بن عبد الرحمن المرى أمير خراسان من مرض أصابه فى بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فتغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فزله وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزحق روحه . فأتقدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد فى الحرم منها بمرور ، وقال فيه أبو الجريز عيسى بن عصمة يرثيه :

هلك الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحتا ثاويين في بطن مرو * ما تفتى على الفصون الحام
كنما نزهة الكرام فلما * مت مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان أخذ نواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في المصادر والجنائيات ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارزه بالحرب ، وجرت بينهما أمور يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي : وفيها حج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها بعث مروان بن محمد - وهو مروان الحمار - وهو على أرمينية بعثين ففتح حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الإيمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالي الذي ولاه في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فعزله عنها وضمها إلى عبد الله بن خالد القسري مع العراق معادة اليه جريا على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية العراق ، رجاء أن يصيها إليه ، فانعكس الأمر عليه فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً إلى نصيحته ، وأضافها إلى خالد القسري . وفيها توفي

قتادة بن دعامة السدوسي

أبو الخطاب البصري الأعمى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة العاملين ، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، والبصري ، وأبو العالية ، وزرارة بن أوفى ، وعطاء ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، ومسروق ، وأبو مجاز وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من الكبار كأبوب وحامد بن مسلمة ، وحמיד الطويل ، وسعيد بن أبي عروبة ، والأعمش ، وشعبة ، والأوزاعي ، ومسلم ، ومعمّر ، وهمام . قال ابن المسيب : ما جاءني عراقى أفضل منه . وقال بكر المزني : ما رأيت أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال مطر : كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهري : هو أعلم من مكحول . وقال معمّر : ما رأيت أقه من الزهري وحامد وفتادة . وقال قتادة : ما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبي . وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرأ عليه صحيفة جابر مرة واحدة لحفظها . وذكر يوماً فأننى على علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير وغير ذلك ، وقال أبو حاتم : كانت وفاته بواسط

في الطاعون - يعني في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخمسون سنة
 [قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفضة التي لا تنقلب ،
 والحارس الذي لا ينام ، والمهادي الذي لا يضل ، والمالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار
 فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ، فقالوا : إنا كنا نأمركم
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهي . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفي من العلم بشئ لا كتفى
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة] ^(١)
 وفيها توفي : أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا
 الخزامي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

فَضْلُ اللَّهِ

فأما سعيد بن يسار فكان من العباد الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم . كان
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى ؟ قال :
 لأننى لا أماريه ولا أشاريه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان
 يكره أن يعصى الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين علما ولا جاهلا ،
 فانك إن ماريت علما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :
 خرجت بأبى أقوده فى بعض سكك البصرة ، فررنا بمجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،
 فاضطجعت له فر على ظهري ، ثم قت فأخذت بيده . ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،
 فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ! قالت : يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ! إني
 قد أنست من قلبى غلاظة فاستسكن لى منه ، فقرأ الحسن : [أفرأيت إن متنعنا سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون] فسقط الشيخ مغشيا عليه ، فرأيت يفضص برجليه
 كما تنحصر الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد أتعبت الشيخ ، قوموا تفرقوا ،
 فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب فى

نفسى أنه أكبر من هذا ، قال : فوكز فى صدرى وكزة ثم قال : يا بنى لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوما .

وروى الطبرانى عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما فى لهو وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبنى هذه الآية : [ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله] الآية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا بحاجة

وروى الامام أحمد عن معمر بن سليمان الرقى عن فرات بن سليمان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تبلىون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله ، ولا تصفنين بسمعك إلى ذى هوى فانك لا تدري ما يملق بقلبك من هواه . وروى عبد الله بن أحمد عنه فى قوله تعالى : [إن جهنم كانت مرصادا] و [إن ربك لبالمرصاد] فقال : التمسوا هذين المرصدين جوازا . وفى قوله تعالى : [ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون] فيها وعيد شديد للظالم ، وتمزية للظالم . وقال : لو أن أهل القرآن صالحوا لصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشاشى حدثنا أبو المليح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير فى الدنيا إلا رجلين ، رجل قائب - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل فى الدرجات ، فلا خير فى العيش والبقاء فى الدنيا إلا لهذين الرجلين ، رجل يعمل فى الكفارات ورجل يعمل فى الدرجات ، وبقاء ماسواهما وبال عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق فى صدور كثير من الناس فالتمسوا ماسوا من الأحاديث ، وإن فىمن يتبع هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة يلتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخيرهم من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن فاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يتبعه حتى يقذفه فى النار .

وقال الامام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الحلال حتى يجمل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم مامزنته عند الله فليتنظر فى عمله فانه قادم عليه كائنما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فعاتبه ، فقال : إني ذكرت ضيعة لى . فقال : أأكبر الضيعة أضمت . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد الدسقى حدثنا أبو جعفر النضلى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتن على بيت مال أحب إلى من أن أوتن على امرأة .
وقال أبو يعلى الموصلي : حدثنا هاشم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق
قال قال ميمون : وددت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت الأخرى أتمتع بها ، وأنى لم آل عملاق .
قلت : ولا لعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمر بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لا لعمر ولا لغيره .
وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفیان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران
قال : ما عرضت قولي على علي إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن
داود حدثنا علي بن ميمون حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل
لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله
ابن أحمد عنه في قوله تعالى : [خافضة رافعة] قال : تخفض أوقاما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن
أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم حدثنا أبو المليح حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع
ميمون فنظر فرأى على ثوب كتان فقال : أما بلغك أنه لا يلبس الكتان إلا غنى أو غاؤ ؟ وبهذا
الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس
الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار .
وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح
قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الرها إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول
أحمد : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين
مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرخى عليه ستاره ، لجاءه رزقه . وقال : لو أن كل
إنسان منا يتعاهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتجج إلى الأغنياء ، ولا احتاج
الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكر وه قط إلا كان إسقاط المكره
عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كان قوله لم أقبل أحب إلى من ثمانية يشهدون
عليه ، فإن قال : قلت ولم يعتذر ، أبفضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما
بلغني عن أخ لي مكر وه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن
كان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها
فإن أرض الله واسعة .

وقال أنان بن أبي راشد القشيري : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ،
فأزيدني على كلمتين . اتق الله ولا يفرنك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء
هم ضالتي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله

تعالى : [إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] قال : عزقا . وقال : لأن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كلف يقال : الذكركر أن ، ذكر الله بالاسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت . وقال : ثلاث الكافر والمؤمن فيهن سواء ، الأمانة تؤديها إلى من ائتمنتك عليها من مسلم وكافر ، وبر الوالدين وإن كانا كافرين ، والعهد تفي به للمؤمن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا هارون أبو محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائها وخراجها ، فكث حينئذ كتب إلى عمر يستعفيه عن ذلك ، وقال : كلفتنى مالا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكثب إليه عمر : اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك ، فاذا التبس عليك أمر فارفعه إلى ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء ، فاذا تاب محبت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل المرأة ، ما يأتية الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يقتابع في الذنوب فانه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الامام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قدأكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأباعر ، لاهم لها إلا ما تجمل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إنى لأراني من شرم بمرأ واحد . وبهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تغرب المملوك ولا تضرب به على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فاذا عصي الله عز وجل فعاقبه على معصية الله وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟ .

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا سعيد بن حفص النفيلي حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : الفاسق بمنزلة السبع فاذا كلمت فيه غلخيت سبيله فقد خليت سبعا على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلانا يسقط نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا

بأس وإن طال المكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال :
 لا نجد غريماً أهون عليك من بطنك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الله بن ميمون
 حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له :
 ماهذا ؟ قال : نعم ! فلا تخبر به أحدا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو
 المليح عن ميمون قال : من أساء سرّاً فليتب سرّاً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فان الله
 يغفر ولا يعبر ، وإن الناس يعبرون ولا يغفرون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجبا صاحبه من واحدة لم ينج من اثنتين ،
 وإن نجبا من اثنتين كان قيناً أن لا ينجو من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالاً طيباً ، فأيكم الذي يسلم
 كسبه فلم يدخله إلا طيباً ؟ فان سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله ، فان سلم من
 هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس بمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك
 الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحربي حدثنا أبو المليح عن ميمون
 ابن مهران قال : ما قال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر . وبهذا الاسناد قال : الدنيا حلوة
 خضرة قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل .
 وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ،
 فكتب إلي : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وأنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنساناً ،
 وإني أكره البلاء إذا أقبل ، فاذا أدبر لم يسر في أنه لم يكن ، وأما أنت فعليك بكتاب الله ، فان
 الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإياك والمرافق في
 الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهووزاً ، ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلقى أبي شيخ فماتقه ، ومع الشيخ
 فتى نحو مني ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة
 يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيته فيها ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوثر فيه
 - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس
 الميابون ، ولا يلبس الكنان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فان ظهرك لا يطيق كل هذا الذي
 يحمل ، من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تحمله ، نخفف عن ظهرك .
 وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في ناديم المنكر إلا حق هلاكهم .
 وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ [وامتازوا اليوم أيها المجرمون] ثم فارق حتى بكى ، ثم قال :

ما سمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو عروانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أربيع لا تكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والأقدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسمى بغير الاسلام . وروى شعبة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلى أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما غيرهما ، إنهما كانا رداي الاسلام ، ورأس الاسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مز به ، وكان أبو بكر هو الذي يختلف بينه وبين خديجة حتى أنسكحها إياه . وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . وروى عن ابن عمر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال في آخر الزمان المماليك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الاخوان بلا شيء فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحدا ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القاتل والامور والظالم والراضي بالظلم ، كلهم في الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ما تنكره نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى [^(١)]

نافع مولى ابن عمر

أبو عبد الله المدني أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . روى عن مولاه عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل رافع بن خديج ، وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم ، وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخاري : أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات في هذه السنة على المشهور

ذو الرمة الشاعر

واسمه غيلان بن عتبة بن بهيس ، من بني عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، نزل الحارث أحد فحول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان يتنزل في مي بنت مقاتل بن طلحة بن فيس

ابن عاصم المنقري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخلق أسود اللون ، ولم يكن بينهما فحش ولا خنا ولم يكن رآها قط ولا رآته ، وإنما كانت تسمع به ويسمع بها ، ويقال : إنها كانت تنذر إن هي رآته أن تذبح جزورا ، فلما رآته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

على وجهي لحمة من حلاوة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

قال فأنسلخت من ثيابها فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صافيا

فقلت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إى والله ، فقلت : تذوق الموت قبل أن تذوقه .

فأنشأ يقول :

فواضية الشعر الذي راح وانقضى * بى ولم أملك ضلال فؤاديا

قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب * به أهل بي هاج شوق هبوبها

هوى تذرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وأنشد عند الموت :

يا قابض الأرواح في جسمي إذا احتضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار

ثم دخلت سنة ثمانى عشرة ومائة

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم سمي بخداش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما التفوا عليه دعاهم إلى مذهب الحزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ فجى به إلى خالد بن عبد الله القسرى أمير العراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وسل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسرى . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب القرشى الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زهرة بنت مبرح بن معديكرب الكندى ، أحد الملوك الأربعة الأقبال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مبرح ، وحمل ، ومخولس ، وأبضعة : وأختهم العمرة وكان مولد على هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة علي وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي
الأملاك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره
فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميت محمد ، فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطيته ،
وأحسن إليه . وقد كان على هذا في غاية العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل والعدالة والنبقة
كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة ، قال عمرو بن علي الفلاس : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته
بالجمعة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلدان أنه تزوج لبابة
بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقه إياها أنه
عض تفاحة ثم رمى بها إليها فأخذت السكين فحزت من التفاحة مامس فمه منها ، فقال : ولم تفعلين
هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها - وذلك لأن عبد الملك كان أبخر - فطلقها عبد الملك ، فلما تزوجها
علي بن عبد الله بن عباس هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضربه بالسياط ، وقال
إنما أردت أن تذلل بذنبا من الخلفاء ، وضربه مرة ثانية لأنه اشتهر عنه أنه قال : الخلافة صائرة إلى
بينه ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح
والمصور وهما صغيران ، فأكرمه هشام وأدنى مجلسه ، وأطلق له مائة وثلاثين ألفاً ، وجعل علي بن
عبد الله يوصيه بابنيه خيراً ، ويقول : إنهما سيليان الأمر ، فجعل هشام يتعجب من سلامة بطنه
وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان علي في غاية الجلال وتمام القامة ، كان
بين الناس كأنه راكب ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ،
وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن
يموت علي هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده
عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهوره في سنة اثنتين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى
عمرو بن شعيب ، وعبادة بن نسي ، وأبو صخرة جامع بن شداد ، وأبو عياش المماقري .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ففيها غزا الوليد بن القعقاع بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القسري ملك الترك الأعظم
خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله
على العراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة ختل فافتتحها ، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون
ويغنمون ، فجاءت العيون إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرق في بلاد ختل ، فاغتنم
خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد ، وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً ،
وقديداً وملحاً ، وساروا في حنق عظيم ، وجاء إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم

كثيف ، فتجهز لذلك وأخذ أهبطه ، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه ، فلما وأشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله قتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الاسلام وازدادوا حنقا على عدوم ، وعزموا على الأخذ بالنار ، فقصدوا الموضع الذى فيه أسد ، فاذا هو حى قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانب ، وصار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، ففكر أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر ، فما خلصوا منه جيداً حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دهم ، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر و بعض الضعفة ، فلما وقفوا على حافة النهر أحجموا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فقتلوا الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة - وكانوا خمسين ألفاً - فيقتحمون النهر ، فضربوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فنبت المسلمون في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه ، فبات الجيشان تترامى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذى للمسلمين فقتل منهم خلقاً وأسراً مما وإبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد ، فما صلوا إلا على وجل ، ثم سار أسد بمن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان ، أو في التحصن ببلخ . فنهض من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بملتناه والتوكل على الله ، فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فقصده بجيشه نحو خاقان ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما ، ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بمن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان ، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فأنتهى إلى أغنامهم فاستنقاه ، فاذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معهم ، وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومعه رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح ، فهو يدلهم على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هرب الأتراك في كل جانب ، وانهزم خاقان ومعه الحارث ابن شريح بحميه ويتبعه ، فتنبهم أسد ، فلما كان عند الظهيرة انخزل خاقان في أربعة آلاف من أصحابه ، عليهم الخنزير ومعهم الكؤسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضرباً شديداً ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه

بما فيه من الأمتعة العظيمة ، والأواني من الذهب والفضة ، والنساء والصبيان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم ، مما لا يحمد ولا يوصف لكثرة وعظمه وقيمه وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بخنجر فقتلها ، فوصل المسلمون إلى المسكر وهي في آخر رمق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تنلى باطعماتهم ، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها ، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فتوعده خاقان بقطع اليد ، فخنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يعدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضا ، وبعث أسد إلى أخيه خالد يعلمه بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبعث إليه بطبول خاقان - وكانت كباراً لها أصوات كالرعد - وبشيء كثير من حواصله وأمتعته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال وقد قال بعض الشعراء في أسد مدحه على ذلك :-

لوسرت في الأرض تقيس الأرض * تقيس منها طولها والعرضا
لم تلق خيراً إمرأة ونقضا * من الأمير أسد وأمضى
افضى إلينا الخير حتى افضا * وجمع الشل وكان ارفضا
ما فاته خاقان إلا ركضا * قد فض من جموعه ما فاضا
يا ابن شريح قد لقيت حمضا * حمضاً به تشفى صداع المرضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المغيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابعوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً فاجراً شيعياً خبيثاً ، قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المغيرة بن سعيد يقول : لو أراد أن ينجي عاداً وثموداً وقرناً بين ذلك لأحييهم . قال الأعمش : وكان المغيرة هذا يخرج إلى القبرة فيتكلم فيرى مثل الجراد على القبور ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وخبثه . ولما بلغ خالداً أمره أمر بإحضاره فجئ به في ستة نفر أو سبعة نفر ، فأمر خالد فأبرز سريره إلى المسجد ، وأمر بإحضار أطياب النصب والنفط فصب فوقها ، وأمر المغيرة أن يحتضن طنباً منها ، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنباً واحداً وصب فوق رأسه النفط ، ثم أضرم بالنار . وكذلك فعل ببقية أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة ، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري ، فبعث إليهم البعوث فكسروا الجيوش واستفحل أمرهم جداً لشجاعتهم وجلدهم ، وقلة نصح من يقاتلهم من الجيوش ، فردوا المساكر من الألوف المؤلفة ، ذوات الأساحة والخليل المسومة ، هذا وهم لم يبلغوا المائة ، ثم إنهم راموا قديم الشام لقتل الخليفة

هشام ، ففصدوا نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما ، فقتلوا عامة أصحاب بهلول الخارجي . ثم إن رجلا من جديلة يكنى أبا الموت ضرب بهلولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه بقية أصحابه ، وكانوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثاهم بعض أصحابهم ^(١) فقال :-

بَدَلْتُ بَعْدَ أَبِي بِشْرٍ وَصُحْبَتِهِ * قَوْمًا عَلَيَّ مَعَ الْأَحْزَابِ أَعْوَانًا
بَانُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا مِنْ صَحَابَتِنَا * وَلَمْ يَكُونُوا لَنَا بِالْأَمْسِ خِلَانًا
يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوعًا مِنْكَ نَهْتَانَا * وَابْكِي لَنَا صُحْبَةً بَانُوا وَجِيرَانَا
خَلُّوا لَنَا ظَاهِرَ الدُّنْيَا وَبَاطِنَهَا * وَأَصْبَحُوا فِي جَنَّاتِ الْخُلَدِ جِيرَانَا

ثم تجمع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا وقتلوا ، وجهزت إليهم العساكر من عند خالد القسري ، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم باقية . وفيها غزا أسد القسري بلاد الترك ، فعرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذ قهرا فقتله صبرا بين يديه ، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونساءه وأمواله . وفيها خرج الصحاري بن شبيب الخارجي واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسري جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم يتركوا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهري ليعلمه مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسري ، ونائبه على خراسان بكالها أخوه أسد ابن عبد الله القسري ، وقد قيل إنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة عشرين فله أعلم . ونائب أرمينية وأذربيجان مروان الحمار والله أعلم .

سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقيلي تومان شاه ، وافتتحها وخرب أراضيها . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد ابن عبد الله القسري أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُبيلة في جوفه ، فلما كان مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن السكار - من سائر البلدان بالهدايا والتحف ، على أسد ، وكان فيمن قدم هراة ودهقانها ، واسم دهقانها خراسان شاه ، فقدم بهديا عظيمة وتحف عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، وصحاف من ذهب وفضة ، وتفاصيل من حرير تلك البلاد ألوان ملونة ، فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى استلأ المجلس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسدا بمخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعبدله ومنعه أهله وخاصته أن يظلموا أحدا من الرعايا بشئ قل أو كثير ، وأنه قهر الخلق الأعظم ، وكان في مائة ألف

(١) هو الضحاك بن قيس . أنظر الطبري (٢ : ١٦٢٧) طبع أوربا

فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يفد إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفرح وأشد سرورا ،
فأتى عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هناك أجمع على الأمراء
والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أفاق إفاقة
وجيء بهدية كثرى فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة
فانفجرت دبيلته وكان فيها حتفه ، واستخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهراني ، فمكث أميرا أربعة
أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ،
وقد قال فيه ابن عرس العبدى يرثيه :

نعى أسد بن عبد الله ناع * فربّ القلب للكل المطاع
يبلخ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
فجودى عين بالعبوات سحاً * ألم يحزنك تفريق الجاع
أناه حمامه في جوف ضيع * وكم بالضيع من بطل شجاع
أناه حمامه في جوف صيغ * وكم بالصيغ من بطل شجاع
كثائب قد يحبيون المنادى * على جرد مسومة سراع
سقيت الغيث إنك كنت غيثاً * مرياً عند مرئاد النجاع

وفيها عزل هشام خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبلغه
من إطلاق عبارة فيه ، وأنه كان يقول عنه ابن الحقاء ، وكتب إليه كتابا فيه غلظة ، فرد عليه هشام
رداً عنيفاً ، ويقال إنه حسده على سعة ما حصل له من الأموال والحواصل والغلات ، حتى قيل إنه
كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف
ألف ، وقيل إنه وفد إليه رجل من أئام المؤمنين من قريش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم
يبدأ به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبكته على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من
فوره بمن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو صاغرا ذليلاً مستأذاً
عليه ، متنصلاً إليه مما وقع ، فإن أذن لك وإلا فقف على بابه حولا غير متحلل من مكانك ولا زائل ،
ثم أمرك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبقاك ، وإن شاء انتصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو
يعلمه بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطاً على رأسه ، إن رأى
ذلك مصلحة . ثم إن هشاماً عزل خالداً وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف
ابن عمر فولاه إمرة العراق ، وأمره بالمسير إليها والقдом عليها في ثلاثين راكبا ، قدموا الكوفة وقت
السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالاقامة : قال : إلى أن يأتي الأمام - يعني خالداً -

فأنهره وأمره بالأقامة وتقديم يوسف فصلى وقرأ [إذا وقعت الواقعة] و [سأل سائل] ثم انصرف فبعث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالا كثيرة ، صادر خالداً بمائة ألف ألف درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة - أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسري ، واستناب على خراسان جديع بن علي السكراني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعا في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العقار والأموال وهلة واحدة ، وقد كان أشار عليه بعض أصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه أن يبعث إليه يرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب منها أخذه وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خير من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق فامتنع من ذلك واغتر بالدنيا وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأه العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه ومنعه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد لله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشمري في ذلك :

أضحت خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسف أخبار ما لقيت * اختار نصراً لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطأت شيعة آل العباس كتاب محمد بن علي إليهم ، وقد كان عتب عليهم في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بخداش ، وكان خرمياً ، وهو الذي أحل لهم المنكرات ودنس المحارم والمصاهرات ، فقتله خالد القسري كما تقدم ، فعتب عليهم محمد بن علي في تصديقهم له واتباعهم إياه على الباطل ، فلما استبطأوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولا يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولا ، فلما جاء رسولهم أنله محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتابا مختوما ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، تعلموا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسل رسولا إليهم فلم يصدقوه كثير منهم وهوابة ، ثم جاءت من جهته عصى ملوياً عليها حديد ونحاس ، فعلموا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون باختلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فيما قاله أبو معشر ، قال : وقد قيل إن الذي حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فله سبحانه وتعالى أعلم ،

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح مطامير وهو حصن ، واقتتح مروان بن محمد بلاد صاحب الذهب ، وأخذ قلاعه وخرب أرضه ، فأذعن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه

رها على ذلك . وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تنسب إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام الكلبي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين وعشرين فله أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعاً للواقدي ، وهو أن زيداً هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد القسري عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأحلفه أنه ما أودع عنده شيئاً ، فأمر يوسف بن عمر بإحضار خالد من السجن فجئ به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئاً نستخلصه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أشتم أباه كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فغفا عن ذلك ، ويقال بل استحضرهم فحلفوا بما حلفوا . ثم إن طائفة من الشيعة النفث على زيد بن علي ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، فنهاه بعض النصحاء عن الخروج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له : إن جسدك خير منك ، وقد النفث على بيعته من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أحوج ما كان إليهم ، وإني أحذرك من أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يبايع الناس في الباطن في الكوفة ، على كتاب الله وسنة رسوله حتى استفحل أمره بها في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سنده قريياً . وفيها غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كورصول في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه وتحققه ، سأل منه كورصول أن يطلقه على أن يرسل له ألف بعير من إبل الترك . وهي البغاتي . وألف رذون ، وهو مع ذلك شيخ كبير جداً ، فشاور نصر بن سيار بحضرته من الأمراء في ذلك ، فنهى من أشار بإطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأله نصر بن سيار كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يجعمون ويبيكون عليه ، وجندوا لحام وشعورهم وقطعوا آذانهم وحرقوا خياما كثيرة ، وقتلوا أنعاما كثيرة ، فلما أصبح أمر نصر باحراقه لئلا يأخذوا جثته ، فكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا خائبين صاغرين خاسرين ، ثم كر نصر على بلادهم فقتل منهم خلقاً وأسر أمماً لا يحصون كثرة ، وكان فيمن حضر بين يديه عجوز كبيرة جداً من الأعاجم أو الأتراك ، وهي من بيت مملكة ، فقالت لنصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس بملك ، وزير صادق يفصل خصومات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطباخ يصنع له ما يشتهي ، وزوجة حسناء إذا دخل عليها مغتما فنظر إليها سرته وذهب غمه ، وحصن منيع إذا فزع رعاياه لجأوا إليه فيه ، وشيف إذا قارع به الأقران لم يخش خيائته ، وذخيرة إذا حملها فأين ما وقع من الأرض عاش بها .

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب العراق يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرمينية مروان بن محمد .
ذكر من توفي فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

مسلمة بن عبد الملك

ابن مروان القرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصبع الدمشقي ، قال ابن عساكر : وداره بدمشق في حجلة القباب عند باب الجامع القبلي ، ولي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات وحاصر القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمرة العراقيين ، ثم عزله وتولى أرمينية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وعبيد الله بن قزعة ، وعيينة والد سفيان بن عيينة وابن أبي عمير ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى الفسافي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونكاية في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك فباع باب الأبواب فهدم المدينة التي عنده ، ثم أعاد بناءها بعد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأخذوه وهو يغازيهم صداع عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال : ضعها على رأسك يذهب صداعك ، فخشى أن تكون مكيدة فوضعها على رأس بهيمة فلم ير إلا خيراً ، ثم وضعها على رأس بعض أصحابه فلم ير إلا خيراً ، فوضعها على رأسه فذهب صداعه ، ففتقها فاذا فيها سبعون سطرًا هذه الآية [إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا] الآية مكررة لاغير ، رواه ابن عساكر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعاً شديداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، فحلف مسلمة أن لا يقلع عنهم حتى يبنوا له جامعاً كبيراً بالقسطنطينية ، فبنوا له جامعاً ومئذنة ، فمروا بها إلى الآن يصلي فيه المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يفتحها المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ، كما ستورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك ، وبالجملة كانت لمسلمة مواقف مشهورة ، ومساعي مشكورة ، وغزوات متتالية منشورة ، وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بعزمه قصوراً وبقاعاً ، وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة مغازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجوده تصرفه في نقضه وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفصاحة ، وقال يوماً لنصيب الشاعر : سألني ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كفك بالجزيل أكثر من مسألتي باللسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء [لا يقتنابون] كما يقتناب الناس ما ناب نبي قط [وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنها صنعة جحف أهلها . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء لسبع مضين من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته بموضع يقال له الخانوت ، وقد دفن بموضعهم ، وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقولُ وما البعدُ إلا الردى * أمْسَلُ لا تبعدن مسلة
فقد كنت نوراً لنا في البلاد * مضياً فقد أصبحت مظلمة
ونفكتم موتك نخشى اليقين * فأبدي اليقين لنا الجملة

نمير بن قيس

الأشعري قاضي دمشق ، تابعي جليل ، روى عن حذيفة مرسلًا وأبي موسى مرسلًا وأبي الدرداء وعن معاوية مرسلًا وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثيرون ، منهم الأوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث الذمري . ولاد هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بعد عبد الرحمن ابن الخشاش المذري ، ثم استعفى هشاماً فعفاه وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك . وكان نمير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقيل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة ممن بآيحه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهبة لذلك . فانطلق رجل يقال له سليمان بن سراقه إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره - وهو بالحيرة يومئذ - خبر زيد بن علي هذا ومن معه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويلح في طلبه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك برحمتك الله في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر ، ولكن التوم سناثروا علينا به ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً ، قدولوا فعدلوا ، وعملوا بالكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذا ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وستة نبيه (ص) ، وإحياء السنن وإماتة البدع ، فان تسمعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تابوا فلست عليكم بوكيل . فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهمذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما ، وإيس على مقدما عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قول أهل السنة الثابتة ، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج بمن بقي معه من أصحابه ، فواعدهم ليلة الأربعاء من مستهل صفر من هذه السنة . فبلغ ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع ، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلخ الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخارج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون يامنصور يامنصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً ، فجعل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ فقيل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بمن معه جرثومة منهم فبهن خمسمائة فارس ، ثم أتى الكناسة فحل على جمع من أهل الشام فهزمهم ، ثم اجتاز بيوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر لقتله ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما لقي طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا ، ثم لما أمسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة ، وقد قتل بعض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأمسوا فعبأ يوسف بن عمر جيشه جداً ، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أخذوا على الساء ، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً ، حتى كان جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل إلى دماغه ، فرجع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وجيء بطبيب فاتزع ذلك السهم من جبهته ، فاعدا أن انتزع حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين يدفونه ، فقال بعضهم : ألبسوه درعه وألقوه في الماء ، وقال بعضهم :

أحترقوا رأسه وأتركوا جثته في القنلى ، فقال ابنه : لا والله لأتأكل ألبى الكلاب . وقال بعضهم :
 ادفنوه في العباسية ، وقال بعضهم : ادفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ، ففعلوا ذلك وأجروا على
 قبره الماء لئلا يعرف ، وانفعل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون به ، فما أصبح الفجر ولحم قائمه
 ينهضون بها ، وتتبع يوسف بن عمر الجرحى هل يجد زيدا بينهم ، وجاء مولى لزيد سندی قد شهد
 دفنه فدل على قبره فأخذ من قبره ، فأمر يوسف بن عمر بصليبه على خشبة بالكناسة ، ومعه نصر بن
 خزيمية ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزيد النهدي ، ويقال إن زيدا مكث
 مصلوبا أربع سنين ، ثم أنزل بعد ذلك وأحرق بالله أعلم . وقد ذكر أبو جعفر ابن جرير الطبري
 أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من ذلك حتى كتب له هشام بن عبد الملك : إنك لغافل ، وإن زيد
 ابن علي غارز ذنبه بالكوفة ببائع له ، فألح في طلبه وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل فقاتله ، فتطلبه
 يوسف حتى كان من أمره ماتتقدم ، فلما ظهر على قبره حذر رأسه وبعثه إلى هشام ، وقام من بعده الوليد
 ابن يزيد فأمر به فأنزل وحرق في أيامه قبض الله الوليد بن يزيد . فأما ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار
 بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبعث إليه يوسف بن عمر يتهده حتى يحضره ، فقال له عبد الملك
 ابن بشر : ما كنت لأوى مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا . فصدقه يوسف بن عمر في
 ذلك ، ولما هدا الطالب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان
 فأقاموا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : ولما قتل زيد خطب يوسف بن عمر أهل الكوفة قتهدهم وتوعدهم وشتهم وقال
 لهم فيما قال : والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منكم ، ولو أذن لي لقتلت مقاتلتكم
 وسبيت ذراريتكم ، وما صنعت لهذا المنبر إلا لأسمعكم ما تكرهون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ، ولم
 يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير فقال :

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطال

كان ينزل إنطاكية ، حكى عنه أبو مروان الأنطاكي ، ثم روى بإسناده أن عبد الملك بن
 مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ، ولي على رؤساء أهل الجزيرة والشام البطال ،
 وقال لابنه : سيره على ظلأعك ، وأمره فليبعس بالليل العسكر ، فانه أمين ثقة مقدم شجاع . وخرج
 معهم عبد الملك يشيعهم إلى باب دمشق . قال : فقدم مسلمة البطال على عشرة آلاف يكونون بين
 يديه ترسا من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين . قال محمد بن عائذ الدمشقي : ثنا الوليد بن مسلمة
 حدثني أبو مروان - شيخ من أهل إنطاكية - قال : كنت أغارز مع البطال وقد أوطأ الروم ذلا ،

قال البطال فسألني بعض ولاية بنى أمية عن أعجب ما كان من أمرى في مغازى فيهم ، فقلت له : خرجت في سرية ليلاً فدفعتنا إلى قرية فقلت لأصحابي : اركبوا خيلكم ولا تتركوا أحداً بقتل ولا بشئ حتى تستمکنوا من القرية ومن سكانها ، ففعلوا وافترقوا في أزقتها ، فدفعت في أناس من أصحابي إلى بيت يزهر سراجة ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهي تقول له : لتسكتن أو لأدفنك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلتني من سريرته وقالت : خذني يا بطال ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائذ عن الوليد بن مسلم عن أبي مروان الأنطاكي عن البطال قال : انفردت مرة ليس معي أحد من الجنود ، وقد سمعت خلفي مخللة فيها شمير ، ومعنى منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لعلني ألقى أحداً منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فنزلت وأكأت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النقل ، فأخذني إسهال عظيم قت منه مراراً ، نجفت أن أضعف من كثرة الإسهال ، فركبت فرسي والإسهال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسي أن أضعف عن الركوب ، وأفرط بي الإسهال في السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهي لا أدري أين يسير الفرس بي ، فلم أشعر إلا بقرع لعاله على بلاط ، فأرفع رأسي فإذا دير ، وإذا قد خرج منه نسوة صحبة امرأة حسناء جميلة جداً ، فجعلت تقول بلسانها : أنزلني ، فأنزلني ففسلن عني ثيابي ومرتجى وفرسي ، ووضعنني على سرير وعملن لي طعاماً وشراباً ، فمكثت يوماً وليلة مستوية ، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالي ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسي فحول وعلق على الباب الذي أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتها ، فأخبره من كان هنالك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فهم بالهجوم على فئنته المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فتح عليه الباب لم أقض حاجته ، فثناء ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريق إلى آخر النهار في ضياقتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : فتهضت في أثرهم فهمت أن تمنعني خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فجعلت عليه فأنفج عنه أصحابه ، وأراد الفرار فألحقه فأضرب عنقه واستلبته وأخذت رأسه مسطاً على فرسي ، ورجعت إلى الدير ، فخرجن إلى ووقفن بين يدي ، فقلت : اركبن ، فركبن ما هنالك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتن إليه ، ففعلني ما شئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسناء بعينها ، فهي أم أولادي . والبطريق في لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعني تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتب أباهاً ويهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاه المصيصة بعث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغلب عنه خبرها فلم يدبر ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية ، فطرق بابها ليلاً

فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطال : فقلت أنا سيف الملك ورسوله إلى البَطْرِيْق ، فأخذ لي طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئت في رسالة فر هؤلاء فليُنصروا ، فأمر من عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء فجلس مكانه ، فاخترطت سيفي وضربت به رأسه صفحاً وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها ، فقال : هم في بلاد يَنْتهبون ما تهميأ لهم ، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادي كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان . فقلت : إيتني بطعام ، فأمر أصحابه فجاءوا بطعام فوضع لي ، فأكلت فقامت لا أنصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر فإذا أصحابي هنالك ، فأخذتهم ورجعت إلى المصيصة . فهذا أغرب ماجرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطال وهو قافل من حجته ، وكان قد شغل بالجهاد عن الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريرق - الذي البطال متزوج بابنته التي ذكرنا أمرها - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير مالك بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضي أن تتحصن في مدينة حران ، فنكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك ودهمهم الجيش ، فاقتتلوا قتالاً شديداً والأبطال تحوم بين يدي البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوه باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة ، فاقتلوه من سرجه برماحهم فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها ، وأصبح اليون فوقف على مكان المعركة فإذا البطال باخر رمق فقال له ليون : ماهذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكذا تقتل الأبطال ، فاستدعى ليون بالأطباء ليدأوا به فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ليون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من يملك من المسلمين أن يلوا غسل والصلاة على ودفي ، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا فحاصرهم ، فبينما هم في تلك الشدة والحصار إذ جاءتهم البرد بقدم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، ففر ليون في جيشه الخبيث هارباً راجعاً إلى بلاده ، قبحه الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن حسان الزياتي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قيل وقد قاله غيره ، وإنه قتل هو والأمر عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فأنه أعلم ، ولكن ابن جرير لم يورخ وفاته إلا في هذه السنة فأنه أعلم .

قلت : فهذا ما خص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للاخبار وإطلاعه عليها ، وأما ما يذكره العمامة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلمة والبطال والأمر عبد الوهاب والقاضي عقبة ، فكذب وافتراء ووضع بارد ، وجهل وتخبط فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو جاهل ردي . كما يروج عليهم سيرة عنزة العبسي المكذوبة ، وكذلك سيرة البكري والدفن وغير ذلك ، والكذب المقتل في سيرة البكري أشد إثمًا وأعظم جرماً من غيرها ، لأن واضعها يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

إياس الذكي

وهو إياس بن معاوية بن مرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن أوس بن سواه ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نسبه خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو وائلة المزني قاضي البصرة ، وهو تابعي ولجده صحبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً في الحياء عن أنس وسعيد بن جبيرة وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجلز ، وعنه الحمادان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سعد والمجلى وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سعد وكان عاقلاً من الرجال فطناً ، وزاد المجلى وكان فقيهاً غفياً . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : تحاكم إياس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تسأله في الكلام ، فقال إياس : إن كان كبيراً فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يشككم بمحقي إذا سكنت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال إياس : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالماً له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقض حاجته واخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدي بن أرطاة عن قضاء البصرة فرّ منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجده

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فتكلم رجل من بنى أمية فرد عليه إياس ، فأغلظ له الأموي فقام إياس ، فقيل للأموي : هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من الغد اعتذر له الأموي وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بثياب السوق وكلتنا بكلام الاشراف فلم نحتمل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال المجلي : دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رآهن قال : أما إحداهن فريض ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقيل له بم علمت هذا ؟ فقال : أما المرضع فكلما قعدت أمسكت ثديها بيدها ، وأما البكر فكلما دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكلما دخلت نظرت ورمت بعينها . وقال يونس بن صعلب^(١) : ثنا الأخنف بن حكيم بأصبهان ثنا حماد بن سلمة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف الليلة التي ولدت فيها ، وضعت أمي على رأسي جفنة . وقال المدائني قال إياس بن معاوية لأمه : ما شيء سمعته وأنت حامل بي وله جلبة شديدة ؟ قالت : ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ، ففرغت فوضعتك تلك الساعة . وقال أبو بكر الخرائطي عن عمر بن شيبه النخعي قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرني أن أكنب كذبة يطلع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاصمت أحداً من أهل الاهواء بعقل كذا إلا القدريه ، قلت لم أخبروني عن الظلم ما هو ؟ قالوا : أخذ الانسان ماله من الله ، فقلت : فأن الله له كل شيء . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصارى يضحكون من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون أنه لا فضلة لطعام أهل الجنة ، فقلت للفقهاء - وكان نصرانياً - : أليس تزعم أن في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن ؟ قال : بلى ، قلت فما ينكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم ؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سنذكره إن شاء الله في أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جشاء وعرقاً كما لك ، فإذا البطن ضامر . وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاهه ابن شبرمة بمسائل قد أعدها ، فقال له : أأأذن لي أن أسألك ؟ قال : سل وقد ارتبت حين استأذنت ، فسأله عن سبعين مسألة يجيبها فيها ، ولم يخلفها إلا في أربع مسائل ، رده إياس إلى قوله ، ثم قال له إياس : أقرأ القرآن ؟ قال : نعم ! قال أنحفظ قوله [اليوم أكملت لكم دينكم] ؟ قال : نعم ! قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم ! قال : فهل أبت هذه الآية لآل شبرمة رأياً ؟

وقال عباس عن يحيى بن معين : حدثنا سعيد بن عامر بن عمر بن علي قال قال رجل لإياس ابن معاوية : يا أبا وائلة حتى متى يبقى الناس ؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون ؟ فقال لجلسائه : أجيئوه فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تنكامل المدتان ، عدة أهل الجنة ، وعدة أهل النار .

وقال بعضهم : أكرى إياس بن معاوية من الشام قاصدا الحج ، فركب معه في المحارة غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فمكنا ثلاثا لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث تحادنا فتعارفا وتمجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إياس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : [الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله] ويقول أهل النار [ربنا غلبت علينا شقوتنا] وتقول الملائكة [سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا] ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فناظر بينهما فقهره إياس ، وما زال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذبا ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك والله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسن : لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا ! قال : السند . والهند والترك ؟ قلت : لا . قال : أسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحمر طويل الذراع غليظ الثياب ، يلون عمامته ، وهو قد غلب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا غلاه ، وقد قال له بعضهم : ليس فيك عيب سوى كثرة كلامك ، فقال : بحق أتتكلم أم بباطل ؟ قليل بل بحق ، فقال : كلما كثر الحق فهو خير ، ولما به بعضهم في لباسه الثياب الغليظة فقال : إنما ألبس ثوبا يخدمنى ولا ألبس ثوبا أخدمه ، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سأل رجل إياسا عن النبيذ فقال : هو حرام ، فقال الرجل : فأخبرنى عن الماء فقال : حلال ، قال : فالكسور ، قال : حلال ، قال : فالتمر قال حلال ، قال فما باله إذا اجتمع حرم ؟ فقال إياس : رأيت لورميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الحفنة من التبن ؟ قال لا توجعنى ، قال : فهذه الغرفة من الماء ؟ قال لا توجعنى شيئا ، قال : أفرايت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استعجر ثم رميتك أبوجعك ؟ قال : إى والله وتقتلنى ، قال : فكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت . وقال البدائي : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أزيمة على البصرة نائبا وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشنى ، فأيهما كان أفضقه فليوله القضاء ، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى : أيها الرجل سل قضيى البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به - يعنى بالقاسم - لأنه كان

يأتيهما ، فقال القاسم لعدي : والله الذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضل مني وأفقه مني ، وأعلم بالقضاء ، فان كنت صادقاً فوله ، وإن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولى كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجل أوقف على شفير جهنم فافسد مني يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدي : أما إذ فطنت إلى هذا فقد وليتك القضاء . فكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغفاه القضاء ، فولى عدي بعده الحسن البصري .

قالوا : لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أيوب : لقد رموها بحجرها ، وجاءه الحسن وابن سيرين فسلما عليه ، فبكي إياس وذكر الحديث « القضاء ثلاثة ، قاضيان في النار وواحد في الجنة » . فقال الحسن [وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث] إلى قوله [وكلا آتينا حكما علما] قالوا : ثم جالس للناس في المسجد واجتمع عليه الناس للخصومات ، فقام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه بشرح القاضي . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شيء بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إياس : إني لأكلم الناس بنصف عقلي ، فإذا اختصم إلي اثنان جمعت لهما عقلي كله . وقال له رجل : إنك لتعجب برأيك ، فقال : لولا ذلك لم أقض به ، وقال له آخر : إن فيك خصالاً لا تهجيني ، فقال : ما هي ؟ فقال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب الغليظة . فقال له : أبها أكثر الثلاثة أو الاثنان ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال أو يجمل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما مجالستي لكل أحد فلأن أجلس مع من يعرف لي قدرى أحب إلي من أن أجلس مع من لا يعرف لي قدرى ، وأما الثياب الغلاظ فأنا ألبس منها ما يقيني لا ما أقيه أنا . قالوا ، ونحنا كم إليه اثنان فادعى أحدهما عند الآخر مالا ، وجعله الآخر ، فقال إياس للودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة في بستان . فقال : انطلق إليها فقف عندها لملك تذكر ، وفي رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تذهب إليها فتأني بورق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجلس الآخر فجعل إياس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المكان ؟ فقال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فاد إليه حقه ، وإلا جعلتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديعته بكاملها . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جعدي ، فقال له : اذهب الآن واتني غدا . وبعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا مال فلم نر له أمينا نضمه عنده إلا أنت ، فضمه عندك في مكان حرير . فقال له ممما وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتني غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له اعطني حقي وإلا رفعتك إلى القاضي ، فقال له ذلك يخاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره ، فدفع إليه ماله بكامله ، فجاء إلى

إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الغد رجاء أن يودع فأنتهره إياس وطرده وقال له : أنت خائن . وتحاكم إليه اثنتان في جارية فادعى المشتري أنها ضعيفة العقل ، فقال لها إياس : أى رجل بك أطول ؟ فقالت : هذه ، فقال لها : أتذكرين ليلة ولدت ؟ فقالت نعم . فقال للبائع رد رد .

وروى ابن عساكر أن إياس سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل بصبي ، فلما ولدت ولدت كما قال ، فسئل بم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي صوتها ضحك فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً ببعض المسكاتب فإذا صبي هنالك فقال : إن كنت أدري شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد رجل عند إياس فقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو العنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعمش : دعوني إلى إياس فإذا رجل كلما فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يعرف عيب نفسه فهو أحمق ، فقيل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فتبيل له في ذلك فقال : كان لي بابان ، فتوحان إلى الجنة فغلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلدون أبناء وولدت أنا أباً . وكان أصحابه يجاسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى رجل قد جاء فجلس على دكة حانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم عاد ، فقال لأصحابه : هذا فقيه كتاب قد أبق له غلام أعور فهو يتطلبه ، فقاموا إلى ذلك الرجل فسألوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلس على دكة الحانوت علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به فعرفت أنه قد فقد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر ، عرفت أن غلامه أعور . وقد أورد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عنده رجل في بستان فقال له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة سنين ؟ فقلت : لا أدري وأقررت شهادته .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يغير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت أن تخرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصغد من أمير خراسان نصر بن سيار أن يردم إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب من ارتد منهم عن الاسلام ، ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ، فعاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمروا على

ممانعتهم للمسلمين كان ضرره أشد ، أجابهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفدا إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضعف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما كثيرا ، فلم يلتفت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان وولايتها . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والعمال فيها من تقدم ذكركم في التي قبلها . وتوفي في هذه السنة ربيعة بن يزيد القصير من أهل دمشق ، وأبو يونس سليمان بن جبير ، وسماك بن حرب ، ومحمد ابن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال تميت القلب : الذنب على الذنب ، ومجالسة الموتى ، قيل له : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى مترف ، وسلطان جائر . وكثرة مشافة النساء ، وحديثهن ، ومخالطة أهله . وقال مالك بن دينار : إني لأغبط الرجل يكون عيشه كفافا فيقنع به . فقال محمد بن واسع : أغبط منه والله عندي من يصبح جائعا وهو عن الله راض . وقال : ما آسى عن الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججت قومي ، وصلاة في جماعة يحمل عنى سهوها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله على فيه تبعة . وروى رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق بزور وهو يعرض حماراً له للبيع ، فقال له رجل : أنرضاه لى ؟ فقال لو رضيته لم أبعه .

ولما قتل محمد بن واسع كثر عليه الناس في العيادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فاذا قوم قعود وقوم قيام ، فقال : ماذا يفنى هؤلاء عنى إذا أخذ بناصيتي وقدمى غداً وألقيت في النار ؟ ! وبعث بعض الخلفاء مالا مستكثراً إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلمس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فانه قبل ما أمر له به ، واشترى به أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان . فقال له : يا مالك قببات جوائز السلطان ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله ! سل أصحابي ماذا فعلت منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم ، فقال له : سألتك بالله أأقبلك الآن لهم مثل ما كن قبل أن يصلوك . فقام مالك وحشى على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع ، إنما مالك حمار إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جداً رحمه الله ^(١)

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فأتى ملك الروم فقاتله فسلم سليمان وغنم.

وفيهما قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان قاصدين إلى مكة فمروا بالكوفة فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن فدعواهم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل العجلي ، وكان محبوسا فأعجبهم شهامته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشتراه بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستقنوه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتنج ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سئد كره إن شاء الله تعالى فيما بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدي إليها الألفاظ والتحف ويعتذر إليها من التقصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي :

القاسم بن أبي بزة (١)

أبو عبد الله المكي القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووثقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة والله أعلم

الزهري

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهري أحد الأعلام من أئمة الاسلام ، تابعي جليل ، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم . روى الحافظ ابن عساكر عن الزهري قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتفعت إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فجئت جامعها فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأولاد برويه عن عمر بن الخطاب - قلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، فأخذني فأدخلني على عبد الملك : فسألني ممن أنت ؟ فانتسبت له ، وذكرت له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ،

(١) في نسخة القسطنطينية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة .

فسألني عن ذلك كله فأجبته ، قضى ديني وأمر لي بمجازة ، وقال لي : اطلب العلم فاني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبة ، فأتيها فسألها عن ذلك ، فقالت : إن بعلي غاب وترك لنا خادما وداجنا ونحيلات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من ثمرها ، فبينما أنا بين النائمة واليقظ رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشتدا - قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا يضيق علينا اللبن ، ثم نصب القدر وقطعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغير كما قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدي الكبير فقال : أين اللبن ؟ فقلت : يا بني شربه ولد الداجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا اللبن ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدي الصغير فغيته في بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فتمت فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك مفتمة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أحذر منه فقال : يارؤيا يارؤيا ، فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أضغاث يا أضغاث ، فأقبلت امرأة سوداء شنيعة فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت إنها امرأة صالحة فأحببت أن أعلمها ساعة ، ثم استيقظت فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراه فكأنما هدى إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وكان قصيرا قليل اللحية ، له شعرات طوال خفيف المارزين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سعيد بن المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يخدم عبيد الله بن عبد الله يستسقي له الماء المالح ، ويأور على مشايخ الحديث ، ومعه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا أن لا نمنعه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من عند عروة فيقول لجارية عنده فيها الكنة : ثنا عروة ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمعه منه ، فتقول له الجارية : والله ما أدري ما تقول ، فيقول لها : اسكتي لكاع ، فاني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وفد على عبد الملك بدمشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان بعد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، الوليد وسليمان ، وكنها عند عمر

ابن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقصاه يزيد مع سليمان بن حبيب ، ثم كان حظيا عند هشام ، وحج معه وجعله معلماً لأولاده إلى أن توفي في هذه السنة ، قبل هشام بسنة . وقال ابن وهب : سمعت الليث يقول : قال ابن شهاب : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، قال : وكان يكره أكل التفاح وسؤر الفأرة ، ويقول : إنه ينسى ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكي ، وفيه يقول فايد بن أقرم .

زرذا وأثنى على الكريم محمد * واذا كر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بماله * قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه * وربيغ ناديه على الأعراب

يشري وفاء جفانه ويمدها * بكسور انتاج وفق لباب

وقال ابن مهدي : سمعت مالكا يقول : حدث الزهري يوماً بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أتستفهمني ؟ ما استفهمت عالماً قط ، ولا رددت على عالم قط ، ثم جعل ابن مهدي يقول فذلك الطوال وتلك المغازي .

وروى يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلمي عن الوليد بن مسلم عن سعيد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبقية شيئاً من حديثه ، فأملى على كاتبه أربعين حديثاً ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاماً قال للزهري : إن ذلك الكتاب ضاع ، فقال : لا عليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يفتقد حرفاً واحداً ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أحسن سؤلاً للحديث إذا حدث من الزهري . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري ، ولا أهون من الدينار والدرهم عنده ، وما الدراهم والدنانير عند الزهري إلا بمنزلة البعر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالست جابراً وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فما رأيت أحداً أسبق للحديث من الزهري .

وقال الإمام أحمد : أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري ، وقال النسائي : أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي عن رسول الله (ص) . وقال سعيد عن الزهري : مكثت خمساً وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنت أسمع حديثاً أستطرفه . وقال الليث : ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ، ولو سمعته يحدث في الترغيب والترهيب لقلت : ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعاً جامعا ، وكان يقول : اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به علمك

وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . قال الليث : وكان الزهري أسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس الثريد ويستقيم العسل ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شراهم ، ويقول استونا وحدثونا ، فإذا نفس أحدهم يقول له : ما أنت من سمار قريش ، وكانت له قبة معصرة ، وعليه ملحفة معصرة ، وتحت بساط معصر ، وقال الليث قال يحيى بن سعيد : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب فإنه ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري ، فقيل له : ولا الحسن ؟ فقال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من ؟ قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يتحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المديني : الذين أفتوا أربعة ، الزهري ، والحكم ، وحاد وقنادة ، والزهري أفتهم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضي فليس بقاض ، إذا كره الملاوم وأحب المحامد ، وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله ، رحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله (ص) ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ما أدى إليه ، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاعتصام بالسنّة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله (ص) ، كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه ، وفي رواية أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب ، فإن من غوائل قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائل النسيان والكذب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ ونصيب ، وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفاً ، وفي رواية عشرين ألفاً . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين ، فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك ، قال : فوعده الزهري أن يقصر ،

فر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي
فارقنا عليه ، فقال له الزهري : انزل فان السخى لا تؤدبه التجارب . وقد أشد بعضهم في هذا المعنى
له سحائب جود في أنامله * أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في السر إن أسرت نانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب
وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخمسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله
بثلاث بشعب زبدا ، فأقام بها فرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته
لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : وكان ثقة كثير الحديث
والعلم والرواية ، فيها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني : رأيت قبر الزهري بشعب زبدا
من فلسطين مسما بمحصا ، وقد وقف الأوزاعي يوماً على قبره فقال : يا قبر كم فيك من علم ومن حلم
* يا قبر كم فيك من علم ومن كرم * وكم جمعت روايات وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري
بأمواله بشعب ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن
ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعوه المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة ، وقال أبو معشر : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

فَضْلُ الْمَرْكُزِ

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن
كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء
عن النبي (ص) ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فانه سنة ، قلت : إنه ليس بسنة فلا
نكتب ، قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأتهجج وضيمت . وروى الامام أحمد عن معمر
قال : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من
خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع الطست بين يدي ابن
شهاب فتذكر حديثاً فلم تزل يده في الطست حتى طلع الفجر ومجحه . وروى اصبع بن الفرج عن
ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : للعلم واد فاذا هبطت واديه فعليك بالتؤدة حتى تخرج منه ،
فانك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن
زبالة عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت عبيد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادمه ليخرج
فيقول : من بالباب ؟ فنقول الجارية : غلامك الأعمش ، فنظن أني غلامه ، وإن كنت لأخدمه

حتى أَسْتَقِي له وضوءه . وروى عبد الله بن أحمد عن محمد بن عباد عن الثوري عن مالك بن أنس أراه عن الزهري . قال : تبعث سعيد بن المسيب ثلاثة أيام في طلب حديث . وروى الأوزاعي عن الزهري قال : كنا فأتى العالم فاستعلم من أدبه أحب إلينا من علمه . وقال سفيان : كان الزهري يقول حدثني فلان ، وكان من أوعية العلم ، ولا يقول كان علما . وقال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب . وقال أبو المليح : كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث ، فكان الناس يكتبون بعد ذلك . وقال رشيد بن سعد قال الزهري : العلم خزانة وتفتحها المسائل . وقال الزهري : كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصاد الوحش . وكان ابن شهاب ينزل بالأعراب يعلمهم لئلا ينسى العلم ، وإنما ينهب العلم النسيان وترك المذاكرة . وقال : إن هذا العلم إن أخذته بالكبر غلبك ولم تظفر منه بشئ ، ولكن خذ مع الأيام والأيام أخذا رفيقا تظفر به . وقال : ما أحدث الناس مروءة أعجب إلى من الفصاحة . وقال : العلم ذكر لا يجهل إلا الذكور من الرجال ويكره مؤنثوم . وروى الزهري عن أبي حازم وهو يقول : قال رسول الله (ص) ، فقال : مالي أرى أحاديث ليس لها خطم ولا أزمة ؟ . وقال : ما عبد الله بشئ أفضل من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم : حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن القاسم بن هزان أنه سمع الزهري يقول : لا يوثق الناس علم عالم لا يعمل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى . وقال ضمرة عن يونس عن الزهري قال : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها . وروى الشافعي عن الزهري قال : حضور المجلس بلا نسخة ذل . وروى الأصمعي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين فقال : أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم . قال : فعليك بذلك الشيخ - يعني سعيد بن المسيب - قال : فلزمت سعيدا سبع سنين ثم تحوات عنه إلى عروة ففجرت ثبج بحره . وقال الليث : قال ابن شهاب : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط بتري ، فأما عروة بن الزبير فبئر لا تنكدره الدلاء ، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب . وقال مكى بن عبدان : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوصي حدثنا مالك بن أنس أن ابن شهاب سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فذكر علمه بخير وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك سعيدا فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء فعلم على سعيد فلم يرد عليه ولم يكلمه ، فلما انصرف سعيد مشى الزهري معه فقال : مالي سلمت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغك عني وما قلت إلا خيرا ؟ قال له : ذكرتني لبني مروان ؟ . وقال أبو حاتم : حدثنا مكى بن عبدان حدثنا محمد بن يحيى حدثني عطاء ابن خالد الخزومي عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن ابن شهاب قال : أصاب أهل المدينة حاجة زمان فتنة عبد الملك بن مروان ، فعمت أهل البلد ، وقد خيل إلى أنه قد أصابنا أهل

البيت من ذلك ما لم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك لخبرتي بأهلي ، فتذكرت : هل من أحد أمت إليه برحم أو مودة أرجو إن خرجت إليه أن أصيب عنده شيئاً ؟ فاعلمت من أحد أخرج إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجسم الرجال وأجلهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي أنا فيه فتحشوا له - أي أوسعوا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاء مثله منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عامله على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أن ابنا لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ ميراثاً منه فنعها عروة بن الزبير ، وزعم أنه لا ميراث لها ، فتوهم أمير المؤمنين حديثنا في ذلك سمعه من المسيب يذكر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه الآن ، وقد شذ عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب فقلت : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال السلام عليك ، فقال له عبد الملك بحبياً : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك ادخل ، فدخل قبيصة على عبد الملك وهو أخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين يحدثك بالحديث الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري فقلت : سمعت سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يقو من في أموال أبنائهن بقيمة عدل ثم يعتنن ، فكتب عمر بذلك صدراً من خلافته ، ثم توفي رجل من قريش كان له ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يعجب بذلك الغلام ، ففر ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير وني بين أن يسترقوا أمي ^(١) فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما أمرت بأمر إلا قلتم فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال : أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ، فأبما امرئ كان عنده أم ولد فملكها يمينه ما عاش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، فقال : أما والله إن كان أبوك لأباً نعاراً في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري فقلت : يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد الصالح : [لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم] فقال : أجل ! [لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم] قال فقلت : يا أمير المؤمنين افرض لي فاني منقطع من الديوان ، فقال : إن بلدك ما فرضنا فيه

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبيصة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أومأ إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهلي إلا وهم في شدة وحاجة ما يعلمها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلك أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم يخدمنا ، فإن أهلي ليس لهم خادم إلا أختي ، فانها الآن تعجن وتخبز وتطحن قال : قد أخدمك أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله (س) قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقال : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمروا أحاديث رسول الله (س) كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبید بن ربيعة التي يقول فيها :

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَقَلُ * وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْعَجَلُ
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدُّ لَهُ * بِيَدِهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ
مِنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى * نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلُ

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فإذا هو مغتاض ينفخ ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أميركم آنفا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا علي السلام ، فقلت :

لَا تَعْجَبَا أَنْ تُؤْتِيَا فِتْكَلْمَا * فَمَا حَشَى الْأَقْوَامُ شَرَّ أَمْنِ الْكِبَرِ
وَمَسَاتِرَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ خُلِقْتُمَا * وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْحَشْرِ

فقلت : يرحمك الله ! ! انك في فقهك وفضلك وسنك تقول الشعر ؟ ! فقال : إن المصدور إذا نفث برا . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حدثني ، فقال : إنك لا تعرف اللغة ، فقال الشيخ : لعل أعرفها ، فقال : فما تقول في قول الشاعر :

صَرِيحٌ نَدَامَى بَرَفُ الشَّرْبِ رَأْسُهُ * وَقَدِمَاتُ مِنْهُ كُلُّ عَضْوٍ وَمَفْصَلُ ؟
مَا الْمَفْصَلُ ؟ قَالَ : اللِّسَانُ ، قَالَ : عَدَّ عَلَى أَحَدِكَ . وكان الزهري يتمثل كثيرا بهذا :
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَا يَعُودُ جَمَانًا * وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ كَانَا
فَطَوَيْتُ كَفِيَّ بِاجْمَانٍ عَلَى الْمَصَا * وَكَفِيَّ جَمَانٍ بِطَبَّهَا حَدَانَا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله العافية . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان عمك يتطيب ؟ قال : كنت أشم ريح المسك من سوط دابة الزهري . وقال : استكنروا من شيء لا تسمه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المروف . وامتدحه رجل مرة فأعطاه قيصه ، فقيل له : أنعطى على كلام

الشيطان؟ قال: إن من ابتغاه الخير اتقاء الشر. وقال سفیان: سئل الزهري عن الزاهد فقال: من لم يمنع الحلال شكره، ولم يغلّب الحرام صبره. وقال سفیان: قالوا للزهري: لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة، فقممت إلى مسجد رسول الله (ص)، ودرجت وجلستنا إلى عمود من أعمدته فذكرت الناس وعلمتهم؟ قال: لو أني فعلت ذلك لوطني عقي، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبياً، ماتوا من الجوع والعمل. كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا، ولا يلبسون إلا ما عرفوا وكان يقول: العبادة هي الورع والزهد، والعلم هو الحسنه، والصبر هو احتمال المسكاره، والدعوة إلى الله على العمل الصالح [(١)].

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عساكر
بلال بن سعد

ابن نعيم السكوني أبو عمرو، وكان من الزهاد الكبار، والعباد الصوام القوام، روى عن أبيه وكان أبوه له صحبة، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد المظيية في قصصه ووعظه، وقال: ما رأيت واعظاً قط مثله. وقال أيضاً: ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه، كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة. وقال غيره وهو الأصمى: كان إذا نَس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة، فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم. وقال الوليد بن مسلم: كان إذا كبر في المحراب سمعوا تكبيره من الأوزاع. قلت: وهي خارج باب الفرديس. وقال أحمد بن عبد الله الدجلى: هو شامى تابى ثقة. وقال أبو زرعة الدمشقي: كان أحد العلماء قاصاً حسن القصص، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالفساد حتى قال بلال يوماً في وعظه: رب مسرور ومفرور، ورب مفرور ولايشمر، فويل لمن له الويل وهو لايشمر، يأكل ويشرب، ويضحك، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار، فياويل لك روحاً، ياويل لك جسداً، فلتبك ولتبك عليك البواكى لطول الأبد. وقد ساق ابن عساكر شيئاً حسناً من كلامه في مواعظه البليغة، فمن ذلك قوله: والله لاكنى به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها، زاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، ومجتهدكم مقصر. وقال أيضاً: أخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيبك من الله، وأخبرك بميب فيك، أحب إليك، وخير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً. وقال أيضاً: لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوه في السر ولا تكن عدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر، ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين

فتظهر للناس أنك تخشى الله ليحمدوك وقلبك فاجر . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للفناء
وإعما خلقتم للبقاء ، ولكنكم تنتقلون من دار إلى دار ، كما نقلتم من الأصباب إلى الأرحام ، ومن
الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار .
وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي
دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفع ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم
الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغلا ، ولو علمتم بما تعملون لكان لكم مقتدا وملنجا ، عباد الرحمن
أماما وكلم به فتضيعونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه ، ما هكذا نعت الله عباده الموقنين ،
أذو وعقل في الدنيا وبله في الآخرة ، وعى عما خلقتم له بصراء في أمر الدنيا ؟ فكما ترجون رحمة الله
بما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تتهككون من معاصيه ، عباد الرحمن اهل جاءكم
مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد قبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ [أم حسبتم أنما
خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون] والله لو عمل لكم الثواب في الدنيا لاستفلام ما فرض عليكم .
أترغبون في طاعة الله لدار معمورة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرضها
عرض الأرض والسماوات [تلك عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار] وقال أيضا : الذكر ذكران
ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدنا : نحب
أن نموت ؟ فيقول : لا ! فيقال له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : اعمل ، فيقول سوف أعمل ، فلا
نحب أن نموت ، ولا نحب أن نعمل ، وأحب شيء إليه يحب أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر
الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضع
ماسواها ، فما يزال يمتيه الشيطان ويزين له حتى ما يرى شيئا دون الجنة ، مع إقامته على معاصي الله . عباد
الرحمن قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فامضوها وإن كانت لغير
الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فانه قال [إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] وقال أيضا : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المقبل ويدعو
المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متعرجا لحوحا ماربيا معجبا برأيه فقد تمت خسارته . وقال
الأوزاعي : خرج الناس بدمشق يستسقون قمام بهم بلال بن ساعد فقال : يا معشر من حضرة السقم
مقرين بالاساءة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إني قلت [ما على الحسين من سبيل] وقد أقرنا بالاساءة
فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك : وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أدركت أقواما يشنون
بين الأغراض ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جهنم الليل كانوا رهبا . وسمعته أيضا يقول :
لا تنتظر إلى صغر الذنب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من بادأك بالود قد استرقتك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيف القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات العين . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عياد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة إلا عملتموها ولا معصية إلا اجتنبتموها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لكفكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله يغفر الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

ترجمة الجعد بن درهم

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر خلفاء بني أمية . كان شيخه الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ، سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلايين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم غربها عند حمام القطنين الذي يقال له حمام قلينس . قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان ، وأخذها بيان عن طلوت ابن اخت لبيد بن أعصم ، زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله (ص) ، عن يهودى بالين ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الخزري ، وقيل الترمذي ، وقد أقام ببليخ ، وكان يصلي مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتناظران ، حتى نفى إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ، وقيل بمر و ، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دواد عن بشر ، وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقية فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ، ثم إن خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خالداً خطب الناس فقال في خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبجه في أصل المنبر .

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخاري وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساکر في التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب ينتسل ويقول : أجمع للعقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً : ويلك يا جعد ، أقصر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من الهالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له بدا ما قلنا ذلك ، وأن له عينا ما قلنا ذلك ، وأن له نفساً ما قلنا ذلك ، وأن له سمماً ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن عساکر ، وذكر في ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروي لعمران بن حطان :

ليث على وفي الحروب نعمة * فتخاء تجفل من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالتي الوغي * بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال رسول الله (ص): : ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة ، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سعيد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن مصعب عن الزهري به . قلت : وهذا حديث غريب منكر ، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه علي بن الحسين بن الجنيد : وكذا تكلم في الراوى عنه أيضا والله أعلم . وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان .

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي ، أمير المؤمنين . وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الخزومي ، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها النورية الكبيرة ، وتعرف بدارالقبابين - يعنى الذين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك المحلة داره والله أعلم . وقد بويع له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بهد منه إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جميلا أبيض أحول يخطب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة ، وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات ، ففس إلى سعيد بن المسيب من سألها عنها ففسرها له بأنه يلى الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم ، وكان في خلافته حازم الراى جماعا للأموال يبعث ، وكان ذكيا مدبرا له بصرا بالأموال جليلها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة ، شتم مرة رجلا من الأشراف فقال : أنتمنى وأنت خليفة الله في الأرض ؟ فاستحيا وقال : اقتص منى بدلها أو قال بمنلها ، فقال : إذا أكون سفيها . تلك ، قال نخذ عوضا قال : لا أفعل ، قال : فآتركها الله ، قال : هي لله ثم لك ، فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها .

وقال الأصمعي : أسمع رجل هشاما كلاما فقال له : أتقول لى مثل هذا وأنا خليفتك ؟ وغضب مرة على رجل فقال له : أسكت وإلا ضربتك سوطا ، وكان على بن الحسين قد اقترض من مروان

ابن الحكم مالا أربعة آلاف دينار ، فلم يتعرض له أحد من بنى مروان ، حتى استخلف هشام فقال :
ما فعل حقنا قبلك ؟ قال : موفور مشكور ، فقال ! هو لك .

[قلت : هذا الكلام فيه نظر ، ذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء ، وهي سنة أربع
وتسعين ، قبل أن يلي هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة ، فانه إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، فتقول
المؤلف : إن أحداً من خلفاء بنى مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام فطالبه
بالمال المذكور ، فيه نظر ولا يصح . لتقدم موت علي على خلافة هشام ، والله سبحانه وتعالى أعلم]
وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء ، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر
سديد وقال : وددت أنى اقتديتهما بجميع ما أملك . وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر مول
هشام قال : أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط ، فقال : اكسروا الطيبور على رأسه
فبكى الشيخ ، قال بشر : فضربه ، قال أترانى أبكى للضرب ، إنما أبكى لاحتراك البربط حتى سمته
طيبورا ، وأغلظ لهشام رجل يوماً في الكلام فقال : ليس لك أن تقول هذا لامالك . وتعتقد أحد ولا
يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة ؟ فقال : إن بغلتى عجزت عني ، فبعث إليه أما كان يمكنك
المشي ، ومنعه أن يركب سنة ، وأن يشهد الجمعة ماشياً

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردتهما السفير إلى هشام ، وهو جالس على
سرير في وسط داره ، فقال له : أرسلهما في الدار ، فأرسلهما ، ثم قال : جأرتي يا أمير المؤمنين فقال :
ويحك وما جأرتك على هدية طيرين ؟ خذ أحدهما ، فجعل الرجل يسعى خلف أحدهما ، فقال :
ويحك ما بالاك ؟ فقال أختار أجودهما : قال : وتختار أيضاً الجيد وتترك الرديء ؟ ثم أمر له بأربعين
أو خمسين درهما . وذكر المدائني عن محرم ، كاتب يوسف بن عمر . قال : بعثني يوسف إلى هشام
بباقونة حمراء ولؤلؤة كاتنا لرابعة ، جارية خالد بن عبد الله القسري ، مشتري الباقونة ثلاثة وسبعون
ألف دينار ، قال : فدخلت عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش ،
فأوريتها له ، فقال : كم زنتها ؟ فقلت : إن مثل هذه لا مثل لها ، فسكت . قالوا : ورأى قوما يفرطون
الزيتون فقال القطوه لقطا ولا تنفضوه نفضا ، فتعاقب عيونه وتكسر غصونه ، وكان يقول : ثلاثة
لا يضمن الشريف : تعاهد الصنعة ، وإصلاح المعيشة ، وطلب الحق وإن قل . وقال أبو بكر الخرائطي :
يقال إن هشام لم يقل من الشعر سوى هذا البيت :

إذا أنت لم تنص الهوى قاذك الهوى * إلى كل ما فيه عليك مقال

وقد روى له شعر غير هذا ، وقال للمدائني عن ابن يسار الاعرجي حدثني ابن أبي بجيلة عن عقاب بن

شبة قال : دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضر ، فوجهنى إلى خراسان ، ثم جعل يوصينى وأنا أنظر إلى القباء ، ففطن فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فتك أخضر ، [وكنت رأيت عليك مثله] قبل أن تلى الخلافة ، فجعلت أتأمل هذا هو ذاك أم غيره ، قال : والله الذى لا إله غيره هو ذاك ، مالى قباء غيره ، وما ترون من جمعى لهذا المال وصونه إلا لكم . قال عقبال : وكان هشام محشوا بخلا .

وقال عبد الله بن على عم السفاح : جمعت دواوين بنى أمية فلم أر أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام . وقال المدائنى عن هشام بن عبد الحميد : لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً فى أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة فى الفحص عنهم من هشام ، وهو الذى قتل غيلان القدرى ، ولما أخضر بنى يديه قال له : ويحك قل ما عندك ، إن كان حقاً انبعثه ، وإن كان باطلا رجعت عنه ، فباظه ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء فقال له : أيمضى الله كلها ؟ فسكت غيلان فقدم حينئذ هشام وقتله . وقال الأصبغى عن أبى الزناد عن منذر بن أبى وقال : أصبنا فى خزان هشام اثني عشر ألف قميص كلها قد أنربها . وشكى هشام إلى أبيه ثلثاً إحدى أنه يهاب الصعود إلى المنبر ، والثانية قلة تناول الطعام ، والثالثة أن عنده فى القصر مائة جارية من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صودك إلى المنبر فاذا علوت فوقه فارم ببصرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قلة الطعام فمر الطباخ فليكثر الألوان فملك أن تقتارل من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضء ، ذات نجال وحسن . وقال أبو عبد الله الشافعى : لما بنى هشام بن عبد الملك الرصافة قال : أحب أن أخلوها يوماً لا يأتينى فيه خبر غم ، فإنتصف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثغور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟ وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبى خيثمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ثنا حسين ابن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن على قال : مشيت مع محمد بن على - يعنى ابن الحسين ابن على بن أبى طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبى حدثنى عن أبيه عن على عن النبي (ص) قال : « لن يعمر الله ملكاً فى أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر فى أمته ، فإن الله عمر نبيه (ص) ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبى خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابى فقال : من حدثك به ؟ فقلت : إبراهيم ، فتلف أن لا يكون ممعه ، وقد رواه ابن جرير فى تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامى . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القاسم بن الفضل حدثنى عباد بن المعرافتكى^(١) عن عاصم بن

المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليع عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [عليه] الحزن ، فاستدغى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومى هذا . قال : فكتبنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسوله في الليل يقول : احضر معك دواء للذبحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه ففوفى ، فذهبت إليه ومعى ذلك الدواء فتناولوه وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : يا سالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وخر الدواء عندي ، فذهبت فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصياح عليه ، فجتت فإذا هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم سيكون حوله فقال : جادلتم هشاماً بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء ، وتركتم لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له . ولما مات جاءت الخزنة ففتحتوا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على فحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالرصافة يوم الأربعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فإله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الاسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدبر أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعده نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك مبسوطاً مقدراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .



بحمد الله قد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فهرست الحجرات المتتابع

من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
٣٣ جبير بن نفير	٢ ثم دخلت سنة اربع وسبعين
عبدالله بن جعفر بن ابي طالب	٢ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٣٤ ابو ادريس الخولاني	ابو سعيد الخدري
معبد الجهني القدري	٤ عبدالله بن عمر
ثم دخلت سنة احدى وثمانين	٥ عبيد بن عمير
٣٥ فتنة ابن الأشعث	٦ ابو جحيفة
٣٧ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر	١٠ مالك بن ابي عامر ابو عبد الرحمن السلمي
عبدالله بن شداد ابن الهاد	ابو معرض الأسدي
٣٨ محمد بن علي بن ابي طالب	٧ بشر بن مروان
٣٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين	ثم دخلت سنة خمس وسبعين
٤٠ وقعة دير الجماجم	١١ ابو ثعلبة الخشني
٤٣ اسماء بن خارجة الفزاري الكوفي	١٢ لأسود بن يزيد حران بن أبان
المغيرة بن المهلب الحارث بن عبدالله	ثم دخلت سنة ست وسبعين
محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة	١٥ صلة بن اشيم العدوي
عبدالله بن ابي طلحة بن ابي الأسود	١٦ زهير بن قيس الهلوي
عبد الله بن كعب بن مالك	١٧ ثم دخلت سنة سبع وسبعين
٤٤ عفان بن وهب جميل بن عبدالله	١٩ مقتل شبيب عند ابن الكلبي
٤٦ عمر بن عبيد الله كميل بن زياد	٢١ عياض بن غنم الأشعري
٤٧ ذاذان ابو عمرو الكندي	مطرف بن عبدالله
ام الدرداء الصفري	ثم دخلت سنة ثمان وسبعين
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين	٢٢ شريح بن الحارث
٥١ بناء واسط عبد الرحمن بن جحدرة	٢٦ عبدالله بن غنم جنادة بن أمية الأزدي
طارق بن شهاب عبيدالله بن عدي	اللاء بن زياد البصري
٥٢ ثم دخلت سنة اربع وثمانين	٢٧ ثم دخلت سنة تسع وسبعين
ايوب بن القرية	٣١ ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة
٥٣ روح بن زنياع الجذامي	٣٢ ومن توفي في هذه السنة من الأعيان
٥٤ ايوب بن القرية	اسلم مولى عمر بن الخطاب
روح بن زنياع	

صحيفة

صحيفة

- ٥٥ ثم دخلت سنة خمس وثمانين
 ٥٧ عبد العزيز بن مروان
 ٦٠ بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم
 من بعده لولده سليمان
 ٦١ ثم دخلت سنة ست وثمانين
 عبد الملك بن مروان والد الخلفاء
 الأمويين
 ٦٩ ارطاة بن زفر مطرف بن عبدالله
 * خلافة الوليد بن عبد الملك
 ٧٠
 ٧١ ثم دخلت سنة سبع وثمانين
 ٧٣ عتبة بن عبد السلمي
 المقدم بن معدى كرب
 ابو امامة الباهلي قبيصة بن زؤيب
 عروة بن المغيرة بن شعبه
 ٧٤ شريح بن الحارث بن قيس القاضي
 ثم دخلت سنة ثمان وثمانين
 ٧٥ ومن توفي فيها من الأعيان
 عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني
 عبدالله بن أبي أوفى
 ٧٦ وفيها توفي هشام بن اسماعيل
 عمير بن حكيم
 ثم دخلت سنة تسع وثمانين
 ٧٧ ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة
 ٨٠ يتاذوق العاجيب خالد بن يزيد بن معاوية
 عبدالله بن الزبير
 ٨١ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين
 ٨٢ سهل بن سعد الساعدي
 ٨٣ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين
 ٨٤ طويس المغني
- ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين
 ٨٥ فتح سمرقند
 ٨٨ انس بن مالك
 ٩٢ عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة
 ٩٣ بلال بن أبي الدرداء بشر بن سعيد
 زرارة بن أوفى خبيب بن عبدالله
 حفص بن عاصم سعيد بن عبد الرحمن
 فروة بن مجاهد ابو الشعثاء جابر بن زيد
 ٩٥ ثم دخلت سنة أربع وتسعين
 ٩٦ مقتل سعيد بن جبير رحمه الله
 ٩٨ ذكرى من توفي فيها من المشاهير
 ٩٩ سعيد بن المسيب
 ١٠١ طلق بن حبيب العنزي
 عروة بن الزبير بن العوام
 ١٠٣ علي بن الحسين
 ١١٥ ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
 ١١٦ ثم دخلت سنة خمس وتسعين
 ١١٧ تزوجة الحجاج بن يوسف الثقفي ووفاته
 فضة
 ١٢٨ فضة
 فيما روى عنه من الكلمات النافعة
 والجرأة البالغة .
 ١٤٠ ومن توفي فيها من الأعيان
 الحسن بن محمد بن الحنفية
 حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
 ثم دخلت سنة ست وتسعين
 ١٥٤ فضة
 فيما روي في جامع دمشق من الآثار وما

ابو الزاهرية حدير بن كريب المحصي
ابو الطفيل عامر بن وائلة
ابو عثمان النهدي

١٩١ ثم دخلت سنة احدى ومائة
١٩١ وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز
الأمام المشهور رحمه الله

١٩٦ فضة
وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار

٢٠٧ فضة

٢٠٩ فضة

٢٠٨ ذكر سبب وفاته رحمه الله

٢١٢ فضة

٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك

٢٢٠ ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

٢٢٢ ولاية مسلمة على بلاد العراق
وخراسان

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

٢٢٣ الضحاك بن مزاحم الهلالي

ابو المتوكل الناجي

١٩١ ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

يزيد بن ابي مسلم

٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي

فضة

٢٢٩ مصعب بن سعد بن ابي وقاص

ثم دخلت سنة اربع ومائة

٢٣٠ خالد بن سعدان الكلاعي

عامر بن سعد بن ابي وقاص الليثي

عامر بن شراحيل الشعبي

ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من

السادة الأخيار

١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى

بن زكريا عليها السلام

١٥٨ ذكر الساعات التي على بابه

١٥٩ ذكر ابتداء امر السبع بالجامع الأموي

١٦٠ فضة

١٦١ وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني

جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام

١٦٦ عبد الله بن عمر بن عثمان

✱ خلافة سليمان بن عبد الملك

١٦٧ مقتل قتيبة مسلم رحمه الله

١٦٩ ثم دخلت سنة سبع وتسعين

١٧٠ الحسن بن الحسن بن علي

١٧١ موسى بن نصير

١٧٤ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

١٧٧ عبد الله بن عبد الله بن عتبة

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

١٨٥ الحسن بن محمد بن الحنفية

عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد

١٨٦ محمود بن لبيد بن عقبة

نافع بن جبير بن مطعم كريب بن مسلم

محمد بن جبير بن مطعم مسلم بن يسار

١٨٧ حنش بن عمرو الصنعاني

خارجة بن زيد

سنة مائة من الهجرة النبوية

١٨٩ وفيها كان بدو دعوة بني العباس

ومن توفي فيها من الأعيان

١٩٠ أبو أمامة سهل بن حنيف

صحيفة

٢٣١ ابو بردة بن ابو موسى الأشعري

ابو قلابة الجرمي

ثم دخلت سنة خمس ومائة

٢٣٣ خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان

أبان بن عثمان بن عفان

٢٣٤ ثم دخلت سنة ست ومائة

٢٥٠ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق

وفيهما توفي كثير عزة الشاعر المشهور

٢٥٦ ثم دخلت سنة ثمان ومائة

٢٥٧ محمد بن كعب القرظي

٢٥٩ ثم دخلت سنة تسع ومائة

٢٦٠ سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

٢٦٥ جرير الشاعر

وأما الفرزدق

٢٦٦ فأما الحسن بن ابي الحسن

٢٦٧ وأما ابن سيرين

فصل

٢٦٨ أما الحسن

٢٧٤ محمد بن سيرين

٢٧٦ وهيب بن منبه الياني

فصل

٣٠٢ سليمان بن سعد

عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي

عبد الله بن سعيد بن جبير

عبد الرحمن بن أبان

٣٠٣ ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومائة

٣٠٤ رجاء بن حيوة الكندي

صحيفة

شهر بن حوشب الأشعري المحصي

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة

الأمير عبد الوهاب بن نخت

٣٠٥ مكحول الشامي

٣٠٦ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

عطاء بن ابي رباح

٣٠٩ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ابو جعفر الباقر

فصل

٣١٢ ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

٣١٣ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

قتادة بن دعامة السدوسي

٣١٤ فصل

٣١٩ نافع مولى ابن عمر

ذو الرمة الشاعر

٣٢٠ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

علي بن عبد الله بن عباس

٣٢١ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

٣٢٤ سنة عشرين ومائة من الهجرة

٣٢٦ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

٣٢٨ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن

ابي طالب

مسامة بن عبد الملك

٣٢٩ نمير بن قيس

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

٣٣١ عبد الله ابو يحيى المعروف بالبطلال

٣٣٤ أياس الذكي

صحيفة

٣٣٨ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة
 ٣٣٩ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة
 ٣٤٠ القاسم بن ابي بزة (١)

الزهري

٣٤٤ فضيلة

٣٤٨ بلال بن سعد

٣٥٠ ترجمة المجدد بن درهم

٣٥١ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة
 ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

انتهى القهرست



